النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ١٢

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

بسم الله الرحمن الرحیم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

کاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعۀ:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۱۲

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوك مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۲]

ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

تقدّم ذکر الملک الظاهر برقوق و أصله و خبر قدومه من بلاد الجارکس إلی الدیار المصریّة و ما وقع له بها إلی أن ملکها و تسلطن، کلّ ذلک فی ترجمته الأولی من هذا الکتاب. و ذکرنا أیضا ما وقع له من یوم خلع نفسه و سجن بالکرک إلی أن خرج من الحبس و قاتل منطاشا و انتصر علیه و عاد إلی الدیار المصریة بعد أن أعید إلی السلطنة بمنزلة شقحب، و أشهد علی الملک المنصور بخلع نفسه، ثم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲

سار حتی نزل بالصالحیة، کلّ ذلک فی ترجمة السلطان الملک المنصور حاجی مفصّلا، فمن أراد شیئا من ذلک فلینظره فی محلّه، و من یومئذ نذکر رحیله من منزلة الصالحیة إلی نحو الدیار المصریة فنقول:

و لمّا نزل الملک الظاهر برقوق علی منزلة الصالحیّة فی یوم عاشر صفر سنة اثنتین و تسعین و سبعمائة أقام بها نهاره، و أعیان الدولة تأتیه فوجا بعد فوج، مثل أکابر الأمراء الذین کانوا بالحبوس و أعیان العلماء و مباشری الدولة و غیرهم.

ثمّ رحل من الغد بعساکره و صحبته الخلیفة و الملک المنصور حاجی و القضاة و سار بهم یرید الدیار المصریة إلی أن نزل بالرّیدانیّة خارج القاهرة فی بکرة یوم الثلاثاء رابع عشر صفر، فخرج الأعیان من العلماء و الأمراء و الفقراء إلی لقائه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳

فخرجت الأشراف مع السید الشریف علیّ نقیب الأشراف، و خرجت طوائف الفقراء بأعلامها و أذکارها، و مشایخ الخوانق بصوفیّتها، و خرجت العساکر المصریّة بلبوسها الحربیّة، لأن العسکر المصریّ کان من یوم خروج بطا و أصحابه من السجن و ملکوا الدیار المصریّة؛ علیهم آلة الحرب، و خرجت الیهود بالتوراة و النصاری بالإنجیل، و معهم الشموع المشعولة. و خرج من الناس ما لا یحصیه إلا اللّه تعالی و عندهم من الفرح و السرور ما لا یوصف، و هم یصیحون بالدعاء له حتّی لقوه و خاطبوه.

فشرع الملک الظاهر یکلّم الناس و یدنیهم و یرجع رءوس النّوب عن منعهم من السلام علیه. و کلّما دعا له شخص منهم رحّب به. هذا و قد فرشت له الشّقق الحریر خارج التّرب إلی باب السلسلة، فلمّا وصل الملک الظاهر إلی الشقق المفروشة له، تنحّی بفرسه عنها و قدم الملک المنصور حاجّی، حتی مشی بفرسه علیها، و مشی الملک الظاهر برقوق بجانبه خارجا عن الشقق، فصار الموکب کأنه للملک المنصور لا للظاهر، فوقع هذا من الناس موقعا عظیما، و رفعوا أصواتهم له بالدعاء و الابتهال لتواضعه فی حال غلبته و قهره له و کون المنصور معه کالأسیر، و صارت القبّة و الطیر علی رأس الملک المنصور أیضا، و الخلیفة أمامها و قضاة القضاة بین یدی الخلیفة، و تناهبت العامّة الشّقق الحریر بعد دوس فرس السلطان علیها، من غیر أن یمنعهم أحد، و کذلک لمّا نثر علیه الذهب و الفضّة تناهبتّه العامّة. و کانت عادة ذلک کلّه للجمداریّة، فقصد الظاهر بذلک زیادة التحبّب للعامّة، کونهم أظهروا المحبّة له فی غیبته، و قاموا مع الممالیک، و صاروا مع ممالیکه، و صار الملک الظاهر یعظّم الملک المنصور فی مشیه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴

و خطابه، و یعامله کما یعامل الأمیر سلطانه، إلی أن أدخله داره بالقلعة؛ ثم عاد الملک الظاهر إلی حیث نزل من القلعة، و تفرّغ عند ذلک لشأنه، و استدعی الخلیفة و قضاة القضاة و الشیخ سراج الدین عمر البلقینیّ و الأمراء و أعیان الدولة، فجدّد عقد السلطنة له و تجدید التفویض الخلیفتیّ، فشهد بذلک القضاة علی الخلیفة ثانیا و أفیضت التشاریف الخلیفتیّة علی السلطان بسلطنته، ثم أفیضت التشاریف السلطانیة علی الخلیفة، و رکب السلطان الملک الظاهر من الإسطبل السلطانیّ من باب السلسلة بأبّهة السلطنة و شعار الملک، و طلع إلی القلعة و نزل إلی القصر، و جلس علی تخت الملک، و دقت البشائر و عملت التهانی و الأفراح بالقلعة و فی دور الأمراء و أهل الدولة، و کان هذا الیوم من الأیام التی لم یقع مثلها إلا نادرا.

ثم قام السلطان و دخل إلی حرمه و إخوته، ففرشت له أیضا الشّقق الحریر و الشقق المذهّبة تحت رجلیه، و نثر علیه الذهب و الفضة و لاقته التهانی من خارج باب السّتارة، ثم أصبح السلطان فی یوم الأربعاء؛ فأمر أن یکتب إلی ثغر الإسکندریة بالإفراج عن الأمراء

المسجونين بها، و إحضارهم إلى الديار المصريّة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵

ثم خلع السلطان على فخر الدين بن مكانس صاحب ديوان الجيش باستقراره فى وظيفته نظر الجيش عوضا عن القاضى جمال الدين محمود القيصرىّ العجمىّ بحكم توجّهه مع منطاش إلى دمشق، و خلع على الوزير موفّق الدين أبى الفرج و استقرّ به فى الوزارة، و نظر الخاصّ، و على ناصر الدين محمد بن آقبغا آص شادّ الدواوين باستمراره. و أنعم على الأمير بطا الطّولوتمرىّ الظاهرىّ بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية، و عيّن للدواداريّة الكبرى و أخلع على الأمير قرقماش الطشتمرىّ أستادارا.

ثم فى سابع عشر صفر قدم الأمراء من الإسكندرية إلى بر الجيزة، فباتوا به و عدّوا فى ثامن عشره و طلعوا إلى القلعة و هم سبعة عشر أميرا، أعظمهم الأتابك يلبغا الناصرىّ، الذى كان خرج على الملك الظاهر، و قبض عليه و حبسه بالكرک ثم الأمير ألطنبغا الجوبانىّ نائب الشام الذى كان قبض على الملک الظاهر برقوق من بيت أبى يزيد، و طلع به إلى القلعة نهارا، ثم الأمير الكبير قرادمرداش الأحمدىّ الذى كان الظاهر جعله أتابک العساكر بديار مصر، و أنعم عليه بثلاثين ألف دينار فتركه و توجّه إلى يلبغا الناصرى المقدّم ذكره، و الأمير ألطنبغا المعلّم أمير سلاح و هؤلاء الأربعة من أعيان اليلبغاويّة خشداشيّة الملک الظاهر برقوق، ثم الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس الذى كان سببا لكسرة عسكر الملک الظاهر بدمشق بهرو به إلى الناصرىّ، و الأمير قردم الحسنىّ اليلبغاوىّ رأس نوبة النّوب و الأمير سودون باق أحد أمراء الألوف اليلبغاوية و الأمير سودون طرنطاى أحد الألوف أيضا و الأمير آقبغا الماردينىّ الأستادار أحد الألوف، و كشلى اليلبغاوىّ و بجاس النّوروزى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶

كلاهما أيضا مقدّم ألف و مأمور القلمطاوى نائب حماة و الكرک و ألطنبغا الأشرفىّ أحد الألوف أيضا و يلبغا المنجكىّ و يونس العثمانىّ، فوقف الجميع بين يدى الملک الظاهر برقوق و قبّلوا الأرض له، و هم فى غاية ما يكون من الخجل و الحياء منه، بما تقدّم منهم فى حقّه، فرحّب بهم الملک الظاهر و طيّب خواطرهم و لم يذكر لهم ما فعلوه به و لا عتبهم عن شئ مما وقع منهم فى حقّه، بل أكرمهم غاية الإكرام بكلّ ما يمكن القدرة إليه، ثم أمرهم بالنزول إلى بيوتهم، فنزل الجميع و هم فى غاية السرور.

ثم فى يوم الاثنين العشرين من صفر جلس السلطان بالإيوان من القلعة المعروفة بدار العدل، و أخلع على الأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ بنيابة السلطنة بالديار المصرية على عادته أوّلا، و على الأمير إينال اليوسفىّ اليلبغاوى باستقراره أتابک العساكر بالديار المصرية، و على الأمير الكبير يلبغا الناصرى صاحب الوقعة باستقراره أمير سلاح، و على الأمير ألطنبغا الجوبانىّ باستقراره رأس نوبة الأمراء و أطابكا و على الأمير كمشبغا الأشرفىّ الخاصكىّ باستقراره أمير مجلس و على الأمير بطاالطّولوتمرىّ الظاهرىّ باستقراره دوادارا كبيرا، و هو الذى كان خرج من حبس القلعة و ملک باب السلسلة فى فتنة الملک الظاهر و على الأمير طوغان العمرىّ باستقراره أمير

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷

جاندار، و على سودون النظامىّ باستقراره نائب قلعة الجبل، و نزل الجميع بالخلع و تحتهم الخيول بالسروج الذهب و الكنابيش الزّركش إلى دورهم، بعد أن خرجت الناس للفرجة عليهم، فكان يوما من الأيام المشهودة.

ثم فى يوم حادى عشرين صفر أخلع السلطان على الأمير بكلمش العلائىّ باستقراره أمير آخور كبيرا، و سكن بالإصطبل السلطانىّ.

ثم فى يوم الخميس ثالث عشرين صفر قرئ عهد السلطان الملک الظاهر برقوق بدار العدل، و خلع السلطان على الخليفة المتوكّل على اللّه و أخلع على القاضى علاء الدين علىّ بن عيسى المقيّرىّ الكركى كاتب سرّ الكرک فى كتابة سرّ مصر، لما تقدم له من الإيادى على الظاهر فى القيام معه بالكرک، عوضا عن القاضى بدر الدين محمد ابن فضل اللّه بحكم توجّهه أيضا مع منطاش إلى دمشق.

ثم أخلع السلطان على بيجاس السّودونىّ باستقراره فى نيابة صفد.

و فى سادس عشرينه قبض السلطان على حسين بن الكورانىّ و أمر به فعذّب بأنواع العذاب.

و فيه قدم البريد على السلطان من صفد بفرار الأمير طغاى تمر القبلاوىّ من دمشق إلى حلب فى مائتين و واحد من المنطاشية.

و فى سابع عشرين صفر استقرّ الأمير محمود بن على الأستادار كان باستقراره مشير الدولة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٨

و فى يوم الأربعاء تاسع عشرينه جلس السلطان الملك الظاهر بالميدان من تحت القلعة للنظر فى أحوال الرعية و الحكم بين الناس على العادة، و استمرّ على ذلك فى كلّ يوم أحد و أربعاء.

و فى ثامن عشر شهر ربيع الأوّل أخلع السلطان على الشيخ محمد الرّكراكىّ المالكىّ باستقراره فى قضاء المالكية بالديار المصرية عوضا عن تاج الدين بهرام الدّميرىّ. و الرّكراكىّ هذا هو الذى كان امتنع من الكتابة على الفتيا فى أمر الملك الظاهر برقوق لمّا كتب عليها البلقينىّ و غيره من القضاة و العلماء، و ضربه منطاش بسبب عدم كتابته. و حبسه إلى أن أطلقه بطا فيمن أطلق من سجن منطاش، فعرف له الظاهر ذلك و ولّاه قضاء المالكية.

و فيه استقرّ سعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين مرسى المعروف بابن كاتب السعدىّ باستقراره فى نظر الخاصّ عوضا عن الصاحب موفّق الدّين، و انفرد موفّق الدين بالوزر.

و فى خامس عشرين شهر ربيع الأوّل استقرّ الأمير ألطنبغا الجوبانىّ رأس نوبة الأمراء فى نيابة الشام عوضا عن جنتمر أخى طاز بحكم انضمامه مع منطاش.

و استقرّ الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ فى نيابة طرابلس و رسم لهما الملك الظاهر فى محاربة الأمير منطاش.

و فى يوم السبت أوّل شهر ربيع الآخر استقرّ الأمير مأمور القلمطاوىّ فى نيابة حماة و استقرّ أرغون العثمانىّ فى نيابة الإسكندرية، و آلابغا العثمانىّ حاجب حجّاب دمشق، و أسندمر السيفى حاجب حجّاب طرابلس

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٩

و فيه أيضا أنعم السلطان على كل من ألطنبغا الأشرفىّ و سودون باق و بجمان المحمّديّ بإمرة مائة بدمشق و رسم لهم أن يخرجوا نوّاب البلاد الشامية.

و فى سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور استقرّ سعد الدين نصر اللّه بن البقرىّ فى الوزارة عوضا عن موفّق الدين أبى الفرج، و استقرّ الصاحب علم الدين سنّ إبرة فى نظر الدولة.

و فى رابع عشرينه قبض السلطان على الأمير سربغا الظاهرىّ و على الأمير أيدكار العمرىّ و على بكتمر الدوادار و على طشبغا الحسنىّ و قرابغا و أرغون الزّينىّ.

و فيه أيضا خلع السلطان على الأمير جلبان الكمشبغاوىّ الظاهرىّ المعروف بقراسقل باستقراره رأس نوبة النّوب بعد وفاة الأمير حسين قجا. كلّ ذلك و الأخبار ترد على السلطان بأن المنطاشيّة تدخل فى الطاعة شيئا بعد شىء و أن منطاشا فى إدبار.

و فيه أخلع السلطان على الأمير يلبغا الناصرىّ و استقرّ به مقدّم العساكر المتوجّهة لقتال منطاش، و ندبه للتوجّه صحبة النوّاب، و قال له: هو غريمك، اعرف كيف تقاتله. و جعل إليه مرجع العسكر جميعه.

و فيه أيضا خلع على نوّاب الشام خلع السّفر. و أنعم السلطان على جماعة كبيرة من مماليكه و غيرهم بإمريات بالبلاد الشامية، و رسم أيضا لجماعة من أمراء مصر بالسفر صحبة الأمير يلبغا الناصرىّ لقتال منطاش.

و فى عاشر جمادى الأولى برزت أطلاب النّوّاب و الأمراء إلى الرّيدانية خارج القاهرة، هذا بعد دخول الأمير قطلوبغا الصّفوى فى طاعة السلطان و حضوره إلى الديار المصرية بمن معه، كما سيأتى ذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠

و كان من خبر قطلوبغا الصّيفوىّ أن منطاشا جهّزه على تجريدة من دمشق لمحاصرة مدينة صفد، فلما قارب قطلوبغا صفد، دخل هو و جميع من معه فى طاعة السلطان.

ثم قدم قطلوبغا المذكور بمن معه فى ثالث عشر جمادى المذكورة، و كان لقدومه يوم مشهود. و عند دخوله إلى القاهرة قدم البريد فى إثره بأن منطاشا لمّا بلغه مخامرة الصفوىّ بمن معه، قبض على الأمير جنتمر أخى طاز نائب الشام و هو أعظم أصحابه و على ولده و على أستاداره ألطنبغا و على الأمير أحمد بن خوجى و على الأمير أحمد بن قجق و على كمشبغا المنجكىّ نائب بعلبك و على القاضى شهاب الدين أحمد بن عمر القرشىّ الشافعىّ قاضى دمشق و على عدّة من الأمراء و الأعيان؛ هذا و مجىء المنطاشية يتداول إلى مصر شيئا بعد شئ.

و فى تاسع عشرينه استقرّ الأمير محمود بن علىّ الأستادار أستادارا على عادته عوضا عن الأمير قرقماس الطشتمرىّ بعد وفاته.

هذا و القتال عمّال بالبلاد الشامية فى كلّ قليل بين عسكر منطاش و عساكر السلطان.

ثم قدم البريد بأن منطاشا أخذ بعلبك بعد ما حاصرها محمد بن بيدمر نحو أربعة أشهر و أنه وسّط ابن الحنش و أربعة نفر معه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱

و فى سابع عشر جمادى الآخرة قدم البريد بأن منطاشا لمّا بلغه قدوم العساكر لقتاله برز من دمشق و أقام بقبة يلبغا أياما، ثم رحل نصف ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة بخواصّه، و هم نحو ستمائة فارس و معه نحو سبعين حملا ما بين ذهب و فضة، و توجّه نحو قارا و النّبك، بعد أن قتل جماعة من المماليك الظاهرية و قتل الأمير ناصر الدين محمد بن المهمندار نائب؟؟؟ اة كان و أنّ الأمير الكبير أيتمش خرج من سجنه بقلعة دمشق، و أفرج عمن كان محبوسا بها، و ملك القلعة و أرسل إلى النوّاب يعلمهم بذلك. فلمّا سمع النوّاب ذلك ساروا إلى دمشق و ملكوها من غير قتال، فسرّ السلطان بذلك سرورا عظيما و دقت البشائر و نودى بالقاهرة و مصر بالزينة.

و فى سابع عشر جمادى الآخرة المذكور، قدم البريد من دمشق بثلاثة عشر سيفا من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بدمشق.

ثم فى حادى عشرينه قدم البريد أيضا بثمانية سيوف أيضا من المنطاشية، ثم قدم البريد بسبعة سيوف أخر، منهم سيف الأمير ألطنبغا الحلبىّ و سيف دمرداش اليوسفىّ.

و فى ثالث عشرينه قدم البريد بأن الأمير نعير بن حيّار قبض على الأمير منطاش فدقّت البشائر لذلك، ثم تبيّن كذب الخبر.

و فى سابع عشرينه حضر الأمراء المقبوض عليهم من المنطاشية بدمشق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲

و فى يوم الخميس ثانى شهر رجب قدم القاضى عماد الدين أحمد بن عيسى المقيّرىّ قاضى الكرك إلى القاهرة، بعد أن خرج الأعيان إلى لقائه و طلع إلى القلعة فلمّا وقع بصر السلطان عليه قام له، و مشى لتلقّيه خطوات، و عانقه و أجلسه بجانبه و حادثه ساعة، ثم قام و نزل إلى داره؛ كلّ ذلك لما كان له على السلطان أيام حبسه بالكرك من الخدم.

و فى ثانى عشر شهر رجب حضر من دمشق القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه كاتب السر و القاضى جمال الدين محمود العجمىّ ناظر الجيش و نزلا فى بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسلطان لتوغّر خاطر السلطان عليهما لكونهما توجّها إلى دمشق صحبة منطاش.

و فى ثالث عشره أخلع السلطان على القاضى عماد الدين الكركىّ المقدّم ذكره باستقراره قاضى قضاة الديار المصرية عوضا عن القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء، فصار عماد الدين هذا قاضى قضاة مصر و أخوه علاء الدين المقدّم ذكره كاتب سرّ مصر.

ثم قدم الخبر على السلطان من حلب بأن الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب لمّا انهزم و توجّه إلى حلب جهّز إليه منطاش من دمشق بعد عود الملك الظاهر إلى مصر عسكرا عليه الأمير تمان تمر الأشرفى، فوصل تمان تمر المذكور إلى حلب و اجتمع به أهل بانقوسا،

و قاتلوا كمشبغا المذكور و حصروه بقلعة حلب نحو أربعة أشهر و نصف، و أحرقوا الباب و الجسر، و نقبوا القلعة من ثلاثة مواضع، فنقب كمشبغا على أحد النّقوب من أعلاه، و رمى على من به من فوق بالمكاحل و اختطفهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ١٣

بكلاليب الحديد، و صار يقاتلهم من النقب فوق السبعين يوما و هو فى ضوء الشموع بحيث إنه لا ينظر شمسا و لا قمرا و لا يعرف الليل من النهار، و قاسى شدائد و محنّا، و دام ذلك عليه إلى أن بلغ تمان تمر المذكور فرار منطاش من دمشق فضعف أمره، فثار عليه أهل بانقوسا و نهبوه، فحضر حاجب حجّاب حلب إلى الأمير كمشبغا و أعلمه بذلك، فعمّر كمشبغا الجسر فى يوم واحد، و نزل و قاتل أهل بانقوسا يومين، و قد أقاموا عليهم رجلا يعرف بأحمد بن الحراميّ؟ فلمّا كان اليوم الثالث وقت العصر انكسر أحمد بن الحراميّ المذكور و قبض كمشبغا عليه و على أخيه و على نحو الثمانمائة من الأتراك و الأمراء و البانقوسية، فوسّطهم كمشبغا بأجمعهم و ضرب بانقوسا حتى صارت دكّا، و نهب جميع ما فيها. ثمّ إن الكتاب يتضمّن أيضا أن كمشبغا بالغ فى تحصين قلعة حلب و عمارتها و أعدّ بها مؤونة عشر سنين، و أنه جمع من أهل حلب مبلغ ألف درهم، و عمّر سور مدينة حلب و كان منذ خرّبه هولاكو خرابا، فجاء فى غاية الحسن، و عمل له بابين و فرغه فى نحو الشهرين و نصف، و كان أكثر أهل حلب يعمل فيه و أن الأمير شهاب الدين أحمد بن المهمندار و الأمير طغجى نائب دوركى كان لهما قيام تام مع الأمير كمشبغا فى هذه الوقعة. انتهى.

قلت: يقال: إنه قتل فى واقعة كمشبغا مع الحلبيين بحلب نحو العشرين ألفا من الفريقين. ثم أشيع بالقاهرة أن الأمير بطا الطولوتمرى الدوادار يريد إثارة فتنة، فتحرّز الأمراء و اعتدّوا للحرب إلى أن كان يوم الاثنين عشرينه جلس السلطان بدار العدل على العادة، ثم توجّه إلى القصر و معه الأمراء فتقدّم الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ١٤

بطا إلى السلطان و قال للسلطان: قد سمعت ما قيل عنى و هأنا. و حلّ سيفه و عمل فى عنقه منديلا، فسأل السلطان الأمراء عما ذكره الأمير بطا و أظهر أنه لم يسمع شيئا من ذلك، فذكر الأمراء أن الأمير كمشبغا رأس نوبة تنافس مع الأمير بكلمش العلائى أمير آخور.

ثم وقع بين الأمير بطا و محمود الأستادار مخاشنة فى اللفظ، فأشاع الناس ما أشاعوه فجمعهم السلطان و أصلح بينهم.

ثم حلّفهم على طاعته و حلّف المماليك أيضا، و طيّب خواطر الجميع بلين كلامه و دهائه؛ و فى النفس من ذلك شىء.

ثم أحضر السلطان مملوكا اتّهم أنه هو الذى أشاع الفتنة، فضرب ضربا مبرّحا و سمّر على جمل و شهّر، ثم سجن بخزانة شمائل، فلم يعرف له خبر بعد ذلك، و هو من المماليك الظاهرية.

ثم قبض السلطان على الأمير يلبغا أحد أمراء العشرات، و سمّر و نودى عليه: هذا جزاء من يرمى الفتن بين الأمراء. و سكنت الفتنة بعد أن كادت أن تثور. و بينما السلطان فى ذلك وصل إليه الخبر من الشام بأن منطاشا و نعير بن حيّاز جمعوا جمعا كبيرا من المماليك الأشرفية و التركمان و العربان و قصدوا النوّاب، و الأمير يلبغا الناصرىّ مقدّم العساكر، فلمّا بلغ الناصرىّ ذلك خرج بالعساكر هو و الأمير ألطنبغا الجوبانىّ نائب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ١٥

الشام و غيره من دمشق و نزل بسلمية، و خلّفوا الأمير الكبير أيتمش البجاسى بدمشق لحفظها، فثار على أيتمش المذكور بدمشق بعد خروج العسكر منها جماعة من المماليك البيدمريّة و الطازيّة و الجنتمريّة فى طوائف من العامّة يريدون أخذ مدينة دمشق من أيتمش، فأرسل أيتمش بطاقة من قلعة دمشق إلى سلمية، يعلم الأمراء و النوّاب بذلك، فحالما سمع الناصرىّ الخبر ركب ليلا فى طائفة من عسكره و قدم دمشق و معه الأمير آلابغا العثمانىّ حاجب حجّاب دمشق، و قاتل المذكورين قتالا شديدا، قتل بينهما خلائق كثيرة من العامّة و الأتراك، حتى انتصر الناصرىّ و قبض على جماعة منهم و وسّطهم تحت قلعة دمشق، و قبض أيضا على جماعة كثيرة فقطع أيديهم و هم: نحو سبعمائة رجل، قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ- سامحه اللّه- و حبس جماعة أخر. ثم عاد الناصرى إلى سلمية بعد

أن مهّد أمر الشام و اجتمع مع أصحابه النوّاب، فذكروا له أنّ منطاشا فرّق أصحابه ثلاث فرق، فأشار عليهم الناصرىّ بأنه أيضا يفرّق أصحابه و عساكره، فتفرّقوا هم أيضا ثلاث فرق: الناصرىّ فرقة، و الجوبانىّ فرقة، و قرادمرداش نائب طرابلس فرقة.

فأما الناصرىّ، فإنه تولّى قتال نعير بن حيّار، فحاربه و كسره أقبح كسرة، و قتل جمعا كبيرا من عربانه؛ على أن نعيرا كان من أصحاب الناصرىّ قبل ذلك، و ممن خرج على منطاش غضبا للناصرىّ، و ركب الناصرىّ قفا نعير إلى منازله.

و أما الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ نائب طرابلس فانتدب لقتال منطاش، فإنه كان بينهما عداوة قديمة، فتواقعا و تقاتلا قتالا شديدا، برز فيه كلّ من منطاش و قرا دمرداش لصاحبه، و ضرب كلّ مهما الآخر بسيفه، فجاءت ضربة منطاش

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٦

فى يد قرا دمرداش، فقلعت عدّة أصابع من أصابعه، و جاءت ضربة قرا دمرداش فى كتف منطاش فحلّته، هذا و الحوبانىّ فى القلب واقف بعساكره، فخامرت جماعة من الأشرفية من خجداشية منطاش و جاءت إليه، و صارت من عسكره، و كان حضر إلى الجوبانىّ قبل ذلك جماعة أخر من المماليك الأشرفية، فأحسن إليهم ألطنبغا الجوبانىّ و قرّبهم و جعلهم من خواصّ عسكره، فاتفقوا مع بعض مماليك الجوبانىّ على قتل الجوبانىّ، فلما كان وقت الوقعة، و قد التحم القتال بين الناصرىّ و نعير و بين قرا دمرداش و منطاش وثبوا عليه من خلفه و قتلوه بالسيوف، ثم قبضوا على الأمير مأمور القلمطاوىّ نائب حماة و وسّطوه، ثم قتلوا الأمير آقبغا الجوهرىّ و الثلاثة من عظماء المماليك اليلبغاوية خجداشية الملك الظاهر برقوق و أكابر أمرائه، ثم قتلوا عدّة أمراء أخر من اليلبغاوية و كانت هذه الوقعة من أعظم الملاحم، قتل فيها من الفريقين عالم لا يحصى كثرة و انتهبت العربان و التركمان و العشير ما كان مع العسكرين، و قدم البريد بذلك على السلطان، فشقّ عليه قتل الأمراء إلى الغاية، و أخبر البريد أيضا أنّ منطاش لمّا انكسر من قرا دمرداش و هو مجروح أشيع موته، فأقام الأشرفية عوضه عليهم خجداشهم الأمير ألطنبغا الأشرفىّ، فلما حضر منطاش من الغد غضب من ذلك و أراد قتل ألطنبغا الأشرفىّ فلم تمكّنه الأشرفية من ذلك.

و أما يلبغا الناصرىّ فإنه لما رجع من محاربة نعير و وجد الأمير ألطنبغا الجوبانى قد قتل، جمع العساكر و عاد إلى دمشق و أقام به يومين حتى أصلح أمره، ثم خرج من دمشق بجميع العساكر و أغار على آل علىّ، فوسّط منهم جماعة كبيرة نحو مائتى نفس و نهب بيوتهم و كثيرا من جمالهم، و عاد إلى دمشق و كتب للسلطان أيضا بذلك،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٧

فكتب السلطان للناصرىّ الجواب بالشكر و الثناء و التأسف على الأمير ألطنبغا الجوبانىّ و غيره و أرسل إليه الأمير أبا يزيد بن مراد بالتقليد و التشريف بنيابة الشام عوضا عن ألطنبغا الجوبانىّ و مبلغ عشرين ألف دينار برسم النفقة فى العساكر.

قلت: و أبو يزيد هذا هو الذى كان اختفى عنده الملك الظاهر برقوق لمّا خلع نفسه عند حضور الناصرىّ و منطاش إلى الديار المصرية.

ثم فى يوم الخميس أوّل ذى الحجة من سنة اثنتين و تسعين المذكورة، رسم السلطان للأمير قرا دمرداش الأحمدىّ نائب طرابلس باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن الأمير كمشبغا الحموىّ بحكم عزله و قدومه إلى القاهرة و جهّز إليه التقليد و التشريف على يد الأمير تنبك المعروف بتنم الحسنىّ الظاهرىّ.

ثم فى خامس ذى الحجّة استقرّ السلطان بالأمير إينال من خجا أتابك حلب باستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قرا دمرداش المنتقل لنيابة حلب، و استقرّ الأمير آقبغا الجمالىّ الظاهرىّ أتابك حلب عوضا عن إينال المذكور و استقر الأمير محمد بن سلّار حاجب حجّاب حلب و كتب لسولى بن دلغادر بنيابة أبلستين.

ثم فى يوم عيد النحر خرج الأمير بيليك المحمدىّ لإحضار الأمير كمشبغا الحموىّ اليلبغاوىّ نائب حلب، ثم أرسل السلطان الملك الظاهر الأمير تمربغا المنجكىّ بمال كبير ينفقه فى العساكر الشاميّة و يجهّزهم إلى عينتاب لقتال منطاش.

ثم فى سادس محرّم سنة ثلاث و تسعين و سبعمائة ورد الخبر من دمشق بأن الأمير يلبغا الناصرىّ تنافس هو و الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ فأضمر الناصرىّ الخروج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٨

عن الطاعة و لبس السلاح و ألبس حاشيته و نادى بدمشق من كان من جهة منطاش فليحضر، فصار إليه نحو ألف و مائتى فارس من المنطاشيّة، فقبض على الجميع و سجنهم، ثم قلع السلاح و كتب بذلك إلى السلطان يعرّفه، فأجابه السلطان بالشكر و الثناء.

ثم فى ثانى صفر رسم السلطان بهدم سلالم مدرسة السلطان حسن فهدمت و فتح بابها من شباك بالرّميلة تجاه باب السلسلة.

ثم قدم الأمير كمشبغا الحموىّ نائب حلب إلى القاهرة فى سابع صفر، بعد أن خرج الأمير سودون النائب مع أعيان الأمراء و الحجّاب إلى لقائه و طلع إلى القلعة و قبّل الأرض، فقام له السلطان و اعتنقه و أجلسه فى الميمنة فوق الأمير الكبير إينال اليوسفىّ و نزل إلى دار أعدّت له، و بعث له السلطان ثلاثة أرؤس من الخيل بقماش ذهب و حضر مع كمشبغا أيضا الأمير حسام الدين حسن الكجكنىّ نائب الكرك و كان قد انهزم مع كمشبغا نائب حلب من يوم وقعة شقحب، فرحّب السلطان به أيضا و أكرمه و أرسل إليه فرسا بقماش ذهب و قدم معهما أيضا عدّة أمراء أخر.

ثم قدم البريد فى أثناء ذلك بأن العساكر الشامية وصلت إلى مدينة عينتاب ففرّ منطاش إلى جهة مرعش و فرّ من عنده جماعة كبيرة و دخلوا تحت طاعة السلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٩

ثم أحضر السلطان الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة من السجن و ضربه بالمقارع و أحضر أيضا آقبغا الماردينىّ نائب الوجه القبلى و ضربه على أكتافه و أمر والى القاهرة بتخليص حقوق الناس منه و استقرّ عوضه فى كشف الوجه القبلىّ الأمير يلبغا الأحمدىّ المجنون أحد المماليك الظاهرية.

ثم فى تاسع عشرينه أحضر السلطان القاضى شهاب الدين أحمد بن الجبّال الحنبلىّ قاضى طرابلس فضرب بين يديه عدّة عصىّ بسبب قيامه مع منطاش.

ثم أنعم السلطان على الأمير حسام الدين الكجكنى نائب الكرك كان بإقطاع أرغون العثمانىّ البجمقدار نائب الإسكندرية و الإقطاع تقدمة ألف بالقاهرة.

ثم خرج البريد من مصر بإحضار الأمير أيتمش البجاسىّ من دمشق و كان بها من يوم قبض عليه الناصرىّ فى واقعة الناصرىّ و منطاش مع الملك الظّاهر برقوق و حبس بقلعة دمشق إلى أن أطلق بعد خروج منطاش من دمشق و استمرّ بدمشق لمصالح الملك الظاهر حتى طلب فى هذا التاريخ و خرج بطلبه الأمير قنق باى الأحمدىّ رأس نوبة، فقدم فى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى على البريد، فتلقّاه الأمير سودون النائب و الحجّاب و قدم مع أيتمش المذكور عدّة أمراء، منهم:

آلابغا العثمانىّ حاجب حجّاب دمشق و الأمير أيتمش المذكور و الأمير جنتمر أخو طاز نائب دمشق كان و أمير ملك ابن أخت جنتمر و دمرداش اليوسفىّ و ألطنبغا الحلبىّ و كثير من المماليك السلطانية و جماعة أخر و الجميع فى الحديد على ما يأتى ذكرهم، ما خلا المماليك الظاهريّة و طلع الأمير أيتمش إلى السلطان و قبّل الأرض فأكرمه السلطان و أجلسه فى الميسرة تحت الأمير سودون النائب و كانت منزلته فى الميمنة، فإنّه كان أتابك العساكر بالديار المصرية قبل توجّهه إلى قتال الناصرىّ، لكنه لمّا حضر الآن كان بطّالا و كان الأتابك يومئذ الأمير إينال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٠

اليوسفىّ اليلبغاوىّ، على أنه يجلس تحت الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ نائب حلب كان، فلو جلس الأمير أيتمش الآن فى الميمنة لجلس ثالثا، فإنّه لا يمكنه الجلوس، فوقف إينال كونه متولّيا أتابك العساكر و أيتمش الآن منفصل، فرسم له السلطان أن يجلس فى

المیسرة و لم یجسر أن یأمره بالجلوس فوقه لکبر سنّه و قدمته، فجلس تحته.

قلت: و هذا شأن الدنیا، الرفع و الخفض، ثم أحضر السلطان الأمراء القادمین صحبة الأمیر الکبیر أیتمش و عدّتهم ستة و ثلاثون أمیرا و معهم أیضا قاضی القضاة شهاب الدین أحمد بن عمر القرشیّ الشافعیّ قاضی قضاة دمشق و القاضی فتح الدین محمد بن محمد بن أبی بکر بن إبراهیم بن الشهید کاتب سرّ دمشق و ابن شکر ناظر جیش دمشق و الجمیع فی القیود، فونّج السلطان ألطنبغا الحلبیّ و جنتمر نائب الشام و ابن القرشیّ و أطال الحدیث معهم و کانوا قابلوه فی محاربته لدمشق بأشیاء قبیحة إلی الغایة و أفحشوا فی أمره إفحاشا زائدا، بحیث إنّ القاضی شهاب الدین القرشیّ المذکور کان یقف علی سور دمشق و ینادی: إن قتال برقوق أوجب من صلاة الجمعة و کان یجمع عوامّ دمشق و یحرّضهم علی قتاله و یرمی الملک الظاهر بعظائم فی دینه و یختلق علیه ما لیس هو فیه.

ثم أمر بهم الملک الظاهر فسجنوا و أسلم ابن شکر لشادّ الدواوین، فعصره و الزمه بحمل ستة آلاف دینار ثم أفرج عنه. و لما نزل الأمیر أیتمش إلی داره بعث إلیه السلطان بأشیاء کثیرة من الخیل و الجمال و القماش و الممالیک، ثم قبض السلطان علی أسندمر و إسماعیل الترکمانیّ و کزل القرمیّ و آقبغا البجاسیّ و سربغا و سلّمهم إلی والی القاهرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱

ثم قبض السلطان أیضا علی أحد عشر أمیرا و هم: قطلوبغا الطّشتمریّ الحاجب و طقطای الطّشتمریّ الطواشی الرومیّ و آلابغا الطشتمریّ و قرابغا السیفیّ و آقبغا السیفیّ و بیبغا السیفیّ و طیبغا السیفیّ و محمد بن بیدمر أتابک دمشق و خیر بک الخوارزمیّ و منجک الزّینیّ و أرغون شاه السیفیّ و حبسهم و رسم بتسمیر أسندمر الشّرفیّ رأس نوبة و آقبغا الطّریف البجاسیّ و إسماعیل الترکمانیّ و کزل القرمیّ و سربغا، فسمّروا و شهّروا بالقاهرة. ثم وسّطوا بالکوم و هذا شیء لم یفعله ملک قبله بأمیر، ففعل ذلک لما کان فی نفسه منهم.

ثم أحضر السلطان الأمیر ألطنبغا الحلبیّ و ألطنبغا أستادار جنتمر إلی مجلس قاضی القضاة شمس الدین الرّکراکیّ المالکیّ و ادّعی علیهما بما یقتضی القتل فسجنهما القاضی بخزانة شمائل مقیّدین.

ثم قبض السلطان علی الأمیر سنجق الحسنیّ نائب طرابلس کان، ثم شکا رجل القاضی شهاب الدین القرشیّ إلی السلطان فأحضره السلطان من السجن و ادّعی علیه غریمه بمال له فی قبله و بدعاوی شنیعة، فأمر به السلطان فضرب بالمقارع و سلّم إلی والی القاهرة لیخلّص منه مال المدّعی علیه، فضربه الوالی و أهانه و عصره مرارا ثم سجنه بخزانة شمائل.

ثم وقف شخص و ادّعی أن أمیر ملک ابن أخت جنتمر أخذ له ستمائة ألف درهم و أغری به منطاش، حتّی ضربه بالمقارع، فأحضره السلطان حتّی سمع

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲

الدّعوی. ثم أمر به فضرب بالمقارع ضربا مبرّحا و سلّمه إلی والی القاهرة، فمات بعد ثلاثة أیام تحت العقوبة.

ثم قبض السلطان علی ممالیک الأمیر برکة الجوبانیّ و الممالیک الذین خدموا عند منطاش و تتبعوا من الأماکن، ثم ضرب والی القاهرة القاضی شهاب الدین أحمد القرشی نحو مائتی شیب.

ثم قدم البرید من الشام بأن منطاشا فی أوّل شهر رجب قدم دمشق و کان من خبر منطاش أنّ الناصریّ لمّا کان بدمشق ورد علیه الخبر بمجیء منطاش إلیه فخرج من وقته بعساکره یرید لقاءه علی حین غفلة و مرّ من طریق الزّبدانیّ، فبادر أحمد بن شکر بجماعة البیدمریة و دخل دمشق من باب کیسان و نهب إسطبل الناصریّ و إسطبلات أمراء دمشق و خرج یوم الأحد تاسع عشرین جمادی الآخرة من دمشق لیلحق منطاش، فدخل منطاش من صبیحة الیوم و هو یوم الاثنین أوّل رجب إلی دمشق من طریق آخر و نزل بالقصر الأبلق و نزل جماعته حوله، فعاد ابن شکر فی إثره إلی دمشق و أحضر إلیه الخیول التی أخذها و هی نحو ثمانمائة فرس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳

و كان منطاش لمّا خرج من عند نعير يريد دمشق، سار إلى مرعش على العمق حتى قدم على حماة فطرق نائبها بغتة فانهزم نائب حماة إلى نحو طرابلس من غير قتال، فدخل منطاش حماة و لم تحدث بها مظلمة.

ثم توجّه منها إلى حمص ففرّ منها أيضا نائبها إلى دمشق و معه نائب بعلبك و اجتمعا بالناصرىّ و عرّفاه الخبر، فخرج الناصرىّ على الفور- كما قدمنا ذكره- من طريق و جاء منطاش من طريق آخر. انتهى.

ثم إن منطاشا لما أقام بالقصر الأبلق ندب أحمد بن شكر المذكور ليدخل إلى مدينة دمشق و يأخذ من أسواقها المال، فبينما هو فى ذلك إذ قدم الناصرى بعساكره فاقتتلا قتالا عظيما دام بينهم أياما إلى أواخر الشهر، و قتل كثير من الفريقين و الأكثر ممن كان مع منطاش و فرّ عن منطاش معظم التركمان الذين قدموا معه شيئا بعد شىء، و صار منطاش محصورا بالقصر الأبلق و القتال عمّال بينهم فى كل يوم، حتى وجد منطاش له فرصة، ففرّ إلى جهة التركمان و تبعه عساكر دمشق فلم يدركه أحد، فعظم هذا الخبر على الملك الظاهر برقوق إلى الغاية و اتّهم الناس الناصرىّ بالتراخى فى قتال منطاش.

ثم إن الملك الظاهر خلع على الأمير قطلوبغا الصوىّ باستقراره حاجب الحجّاب بديار مصر و على الأمير بتخاص باستقراره حاجب ميسرة و على الأمير قديد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢۴

باستقراره حاجبا ثالثا بإمرة طبلخاناه و على الأمير على باشاه باستقراره حاجبا رابعا و خلع على الأمير يلبغا الأشقر الأمير آخور باستقراره فى نيابة غزة عوضا عن آقبغا الصغير بحكم طلبه إلى القاهرة و على ناصر الدين محمد بن شهرى فى نيابة ملطية ثم خلع السلطان على الأمير أرغون شاه الإبراهيمىّ الظاهرىّ الخازندار، باستقراره حاجب حجاب دمشق عوضا عن آلابغا العثمانىّ و استقر آلابغا العثمانى المذكور فى نيابة حماة.

قلت: و كلّ من نذكره من هذا الوقت و ننعته بالظاهرىّ فهو منسوب إلى الملك الظاهر برقوق و لا حاجة للتعريف بعد ذلك. ثم أنعم السلطان على كلّ من قاسم ابن الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ و لاجين الناصرىّ و سودون العثمانىّ النظامىّ و أرغون شاه الآقبغاوىّ و سودون من باشاه الطغاى تمرىّ و شكرباى العثمانى الظاهرىّ و قجق القرمشىّ الظاهرىّ بإمرة طبلخاناه و على كل من قطلوبغا الطّقتمشىّ و عبد اللّه أمير زاه ابن ملك الكرج و كزل الناصرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢۵

و علّان اليحياوىّ الظاهرىّ و كمشبغا الإسماعيلىّ الظاهرىّ و قلمطاى العثمانىّ الظاهرىّ بإمرة عشرة.

ثم فى تاسع شهر رجب ضرب القاضى شهاب الدين القرشىّ قاضى قضاة دمشق بخزانة شمائل، حتى مات تحت العقوبة من ليلته و أخرج على وقف الطّرحى.

ثم فى خامس عشر رجب اجتمع القضاة و الأمير بتخاص الحاجب بالمدرسة الصالحية بين القصرين و أحضر الأمير ألطنبغا دوادار جنتمر و أوقف تحت الشّباك عند خيمة الغلمان على الطريق و ادّعى عليه بما اقتضى إراقة دمه و شهد عليه و ضربت رقبته، ثم فعل بالأمير ألطنبغا الحلبىّ مثله و حملت رءوسهما على رمحين و نودى عليهما بشوارع القاهرة.

ثم رسم السلطان فى أوّل شعبان بخروج تجريدة من الأمراء إلى الشام لتكون معاونة للناصرىّ على قتال منطاش، فأخذ من عيّن للسفر فى التجهيز، ثم أشيع سفر السلطان بنفسه و أخذ أرباب الدولة فى إصلاح أمر السفر.

ثم فى خامس شعبان قتل السلطان الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة كان، و سببه أنّه لمّا عوقب و استمرّ محبوسا بخزانة شمائل جمع ولده كثيرا من العشير و نهب الرملة و قتل كثيرا من الناس، فلما بلغ السلطان ذلك أمر بقتله فقتل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢۶

ثم ضرب السلطان الأمير حسام الدين حسين بن علىّ الكورانىّ فى سجنه بخزانة شمائل بالمقارع ضربا مبرّحا.

ثم فى عاشر شعبان علّق السلطان جاليش السفر إلى بلاد الشام فتحقّق كلّ أحد عند ذلك بسفر السلطان و أصبح من الغد و هو يوم حادى عشر شعبان تسلّم الأمير علاء الدين علىّ بن الطّبلاوىّ والى القاهرة الأمير صراى تمر دوادار منطاش الذى كان والى الغيبة بديار مصر و كان سكن بباب السلسلة و الأمير تكا الأشرفىّ و دمرداش القشتمرىّ و دمرداش اليوسفى و عليّا الجركتمرىّ، فقتلوا جميعا إلّا عليّا الجركتمرىّ فإنّه عصر و عوقب، ثم قتل بعد ذلك مع الأمير قطلوبغا النظامىّ نائب صفد.

ثم فى ثانى عشره عرض السلطان المحابيس من المنطاشية فأفرد [منهم] جماعة كبيرة للقتل فقتلوا فى ليلة الأحد ثالث عشره، منهم الأمير جنتمر أخو طاز نائب الشام و الأمير ألطنبغا الجربغاوىّ و الطواشى طقطاى الطّشتمرىّ الرومىّ و القاضى فتح الدين محمد بن الشهيد كاتب سر دمشق، ضربت أعناقهم بالصحراء.

ثم خلع السلطان فى يوم خامس عشر شعبان على القاضى جمال الدين محمود القيصرىّ العجمىّ و أعيد إلى قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية و صرف قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل و نزل فى موكب جليل و كتب له فى توقيعه الجناب العالى،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷

كما كتب للقاضى عماد الدين أحمد الكركىّ و كان سبب كتابة ذلك لعماد الدين إيادى سلفت له على الملك الظاهر برقوق فى أيام حبسه فى الكرك و أيضا اعتنى به أخوه القاضى علاء الدين على الكركىّ كاتب السر الشريف و هو أوّل من كتب له: الجناب العالى من المتعمّمين و ما كان يكتب ذلك إلا للوزير بديار مصر فقط و كان يكتب للقضاة بالمجلس العالى.

ثم فى ثامن عشر شعبان المذكور قبض السلطان على عدّة من الأمراء فسجنوا بالقلعة، فكان ذلك آخر العهد بهم.

و فيه عيّن السلطان لنيابة الغيبة الأمير كمشبغا الحموىّ اليلبغاوىّ و رسم للأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ النائب أن يتحوّل إلى قلعة الجبل، فتحوّل إليها هو و الأمير بجاس النّوروزىّ و رسم السلطان بأن يقيم بالقلعة أيضا ستمائة مملوك و أميرهم تغرى بردى اليشبغاوى الظاهرىّ رأس نوبة، أعنى: (الوالد) و الأمير الطواشى صواب السعدىّ شنكل مقدّم المماليك السلطانية و تعيّن للإقامة بالقاهرة من الأمراء الأمير قطلوبغا الصّيفوى حاجب الحجّاب و الأمير بتخاص السّودونىّ الحاجب الثانى و الأمير قديد القلمطاوىّ الحاجب الثالث و أحد أمراء الطبلخاناه و الأمير طغاى تمر باشاه الحاجب و قرابغا الحاجب فى عدة من الأمراء العشرات.

و رسم للشيخ سراج الدين عمر البلقينىّ و قاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء و هو غير قاض و القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه [العمرى] المعزول عن كتابة السرّ و قضاة العسكر و مفتى دار العدل بالسفر صحبة السلطان من جملة القضاة الأربعة فتجهّزوا لذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸

و نزل السلطان بعد صلاة الظهر فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شعبان المذكور من قلعة الجبل و توجّه حتى نزل بالرّيدانية خارج القاهرة و أقام به، ثم طلب من الغد سائر المسجونين بخزانة شمائل إلى الريدانية، فحضروا و عرضوا على السلطان، فأفرد منهم سبعة و ثلاثين رجلا، فأمر بثلاثة منهم فغرّقوا فى النيل: و هم محمد بن الحسام أستادار أرغون أسكى و أحمد بن النقوعىّ و مقبل الصّيفوى و سمّر منهم سبعة و هم: شيخ الكريمى و أسندمر نائب قلعة الجبل و ثلاثة من أمراء الشام و اثنان من التّركمان، ثمّ وسّطوا، ثمّ قتل من بقى منهم فى السجن.

ثمّ فى رابع عشر منه استقر ناصر الدين محمد بن كلبك شاد الدواوين، و أنعم على الأمير أبى بكر بن سنقر الجمالى بإمرة طبلخاناه و رسم له بإمرة الحاج.

ثم رحل السلطان الملك الظاهر بعساكره من الريدانية فى سادس عشرين شعبان سنة ثلاث و تسعين و سبعمائة و بعد سفر السلطان من الرّيدانيّة قتل والى القاهرة اثنى عشر أميرا من الأمراء المسجونين بالقاهرة فى ليلة الثلاثاء، و هم:

أرغون شاه السّيفى و آلابغا الطشتمرىّ و آقبغا السيفى و بزلار الخليلىّ و آخرون.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹

ثمّ فى ليلة الأربعاء سلخه قتل الأمير صنجق الحسنى نائب حماة، ثمّ طرابلس و قرابغا السيفىّ و منصور حاجب غزّة و أظنّ هؤلاء هم تمام السبعة و الثلاثين نفرا الذين عرضهم السلطان بالريدانية. و اللّه أعلم.

ثمّ استقل السلطان بالمسير إلى نحو البلاد الشامية حتى دخل دمشق فى يوم الخميس ثانى عشرين شهر رمضان و قد زيّنت له دمشق و خرج الأمير يلبغا الناصرى نائب الشام إلى لقائه بمنزلة اللّجون، فكان لدخوله إلى دمشق يوم مشهود و حمل الناصرىّ على رأسه القبّة و الطير و عند دخول السلطان إلى دمشق نادى فيها بالأمان لأهل دمشق، فإنهم كانوا قاموا مع منطاش قياما عظيما و أفحشوا فى أمر الملك الظاهر و قتاله.

ثم فى يوم ثالث عشرين شهر رمضان صلّى السلطان صلاة الجمعة بجامع دمشق و عند ما فرغ السلطان من الصلاة نادى الجاويش فى الناس بالأمان، و الماضى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰

لا يعاد، و نحن من اليوم تعارفنا، فضجّ الناس بالدعاء للسلطان و خرجوا من بيوتهم إلى معايشهم و حوانيتهم و أمنوا بعد أن كانوا فى وجل و خوف و هم مترقّبون ما يحلّ بهم منه، لما وقع منهم فى حقّه فى السنة الماضية لمّا حضر منطاش و مبالغتهم فى سبّه و لعنه و استمرارهم على قتاله.

و أمّا الأمير كمشبغا نائب الغيبة فإنه عمل النيابة على أعظم حرمة، حتى إنّه نادى فى تاسع عشرين شهر رمضان بمنع النساء فى يوم العيد إلى التّرب، و من خرجت وسّطت هى و المكارى و ألّا يركب أحد فى مركب للتفرّج و أشياء كثيرة من هذا النّموذج، فلم يجسر أحد على مخالفته.

ثم نادى ألّا تلبس امرأة قميصا واسع الأكمام و لا يزيد تفصيل القميص على أكثر من أربعة عشر ذراعا، و كان النساء بالغن فى سعة القمصان حتى كان يفصّل القميص الواحد من اثنين و سبعين ذراعا من القماش، فمشى ذلك و فصّلوا قمصانا سمّوها كمشبغاويّة. و رأيت أنا القمصان الكمشبغاويّة المذكورة، و كان أكمامها مثل أكمام قمصان العربان.

و أمّا السلطان الملك الظاهر برقوق فإنّه أقام بدمشق إلى ثانى شوّال و خرج منه يريد مدينة حلب، فسار بعساكره حتى وصلها فى ثانى عشرين شوّال، بعد أن أقام بمدينة حمص و حماة أيّاما كثيرة و أعاد السلطان القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه إلى كتابة السّرّ لضعف القاضى علاء الدين الكركىّ و عندما دخل السلطان إلى حلب ورد عليه الخبر أن سالما الدّوكارىّ قبض على الأمير منطاش و أنّ صاحب ماردين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱

قبض أيضا على جماعة من المنطاشية، فسرّ السلطان بذلك و بعث بالأمير قرا الأحمدىّ نائب حلب فى عساكر حلب لإحضار منطاش من عند سالم الدّوكارىّ، فسار قرا دمرداش حتى وصل إلى سالم الدوكارىّ و أقام عنده أربعة أيام يطالبه بتسليم منطاش و هو يماطله، فحنق منه قرا دمرداش و ركب بمن معه من العساكر و نهب بيوته و قتل عدّة من أصحابه و فرّ سالم بمنطاش إلى سنجار، و امتنع بها و فى عقب ذلك وصل الأمير يلبغا الناصرىّ نائب الشام إلى بيوت سالم الدّوكارىّ قرا دمرداش ما وقع منه فى حقّ سالم و أغلظ له فى القول و هم أن يضربه بالسيف، فدخل بعض الأمراء بينهما حتى سكّن ما به و كادت الفتنة أن تقوم بينهما و يعود الأمر على ما كان عليه أوّلا.

و أما الأمير الكبير إينال اليوسفىّ فإنّه وجّه السلطان إلى صاحب ماردين، فسار إلى رأس عين و تسلّم منه الجماعة المقبوض عليهم من المنطاشية و عاد بهم إلى السلطان و كبيرهم الأمير قشتمر الأشرفىّ و بكتاب صاحب ماردين و هو يعتذر فيه و يعد بتحصيل غريم السلطان، فكتب له الجواب بالشكر و الثناء.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٢

و أما السلطان لمّا بلغه ما جرى بين يلبغا الناصرىّ نائب الشام و بين قرا دمرداش الأحمدىّ نائب حلب و عودهما من غير طائل، غلب على ظنه صحة ما نقل عن يلبغا الناصرىّ قبل تاريخه أنّ قصده مطاولة الأمر بين الملك الظاهر و بين منطاش و أن منطاش لم يحضر إلى دمشق فيما مضى إلّا بمكاتبته له بقدومه و أنه طاوله فى القتال، (أعنى: لمّا كان نزل منطاش بالقصر الأبلق بميدان دمشق) و لو شاء الناصرىّ لكان أخذه فى أقلّ من ذلك و أنّ رسل الناصرىّ كانت ترد على منطاش فى كلّ ليلة بما يأمره به و أنّ سالما الدوكارىّ لم يدخل بمنطاش إلى سنجار إلّا بمكاتبته و قوى عند الملك الظاهر برقوق و تحرّكت عنده تلك الكمائن القديمة من خروجه عليه و خلعه من الملك و حبسه بالكرك و كلّ ما هو فيه إلى الآن من الشرور و الفتن، فالناصرىّ هو السبب فيها و سكت حتى قدم الناصرىّ إلى حلب، فقبض عليه و على الأمير شهاب الدين أحمد بن المهمندار نائب حماة و على الأمير كشلى أمير آخور الناصرىّ

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٣

و الشيخ حسن رأس نوبته و سجن الجميع بقلعة حلب، ثم قتلهم من ليلته بقلعة حلب.

و كان الناصرىّ من أجلّ الأمراء و من أكابر مماليك الأتابك يلبغا العمرىّ، و قد تقدّم من أمره فى ترجمة الملك الظاهر برقوق الأولى و فى ترجمة الملك المنصور حاجىّ و ما وقع له مع منطاش و غيره ما يغنى عن التعريف به هنا ثانيا.

قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينىّ الحنفىّ فى تاريخه فى حق يلبغا الناصرىّ المذكور: و كان من ابتداء إنشائه من أيام الملك الناصر حسن إلى آخر عمره على فتنة و سوء رأى و تدبير و شؤم؛ حتى قيل: إنه ما كان مع قوم فى أمر من الأمور إلّا و قد حصل لهم العكس و شوهد ذلك منه، كان مع أستاذه يلبغا الخاصّكىّ العمرىّ فانكسر، ثم أسندمر الناصرىّ فغلب و انقهر، ثم مع الأشرف شعبان بن حسين فقتل، ثم مع الأمير بركة فخذل، انتهى كلام العينىّ.

قلت: نصرته على الملك الظاهر برقوق و أحده مملكة الديار المصريّة و حبسه للملك الظاهر برقوق بالكرك بكلّ ما قاله العينىّ، و قد فات العينىّ أيضا كسرة الناصرىّ من منطاش بباب السلسلة و حبس منطاش له، لأنّ قضيته مع منطاش كانت أعظم شاهد للعينىّ فيما رماه به من الشؤم. انتهى.

ثم عزل الملك الظاهر الأمير قرا دمرداش عن نيابة حلب، و أنعم عليه بتقدمة ألف بالديار المصريّة، عوضا عن الأمير بطا الطّولوتمرىّ الظاهرىّ الدوادار الكبير بحكم انتقال بطا إلى نيابة الشام عوضا عن الأمير الكبير يلبغا الناصرىّ المقدّم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٤

ذكره، و خلع السلطان على بطا المذكور، و على جلبان الكمشبغاوى الظاهرىّ رأس نوبة النّوب المعروف بقرا سقل باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن قرا دمرداش الأحمدىّ فى يوم واحد، و هما أوّل من ترقّى من مماليك الملك الظاهر إلى الرّتب و ولى الأعمال الجليلة.

ثم خلع الملك الظاهر على الأمير فخر الدين إياس الجرجاوى باستقراره فى نيابة طرابلس، و أخلع على الأمير دمرداش المحمدىّ الظاهرى بنيابة حماة، و خلع على الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن بطا المنتقل إلى نيابة الشام، و أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، لما لأبى يزيد المذكور على السلطان من الإيادى عند ما اختفى عنده فى محنة الناصرىّ و منطاش.

ثم أنعم السلطان على الأمير تنبك اليحياوىّ الظاهرىّ بإقطاع جلبان قرا سقل المنتقل إلى نيابة حلب.

ثم خرج السلطان من حلب فى يوم الاثنين أوّل ذى الحجّة عائدا إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشرين ذى الحجّة، و قتل بها يوم دخوله الأمير آلابغا العثمانى الدوادار الكبير كان، و الأمير سودون باق أحد مقدّمى الألوف أيضا، و سمّر ثلاثة عشر أميرا منهم الأمير أحمد بن بيدمر أتابك دمشق، و أحمد بن أمير علىّ الماردينىّ أحد مقدّمى الألوف بدمشق، و يلبغا العلائىّ، و قنق باى السّيفىّ، نائب ملطية، و كمشبغا السيفى نائب بعلبكّ، و غريب الخاصّكى أحد أمراء الطبلخاناه بمصر، و قرا بغا العمرى و جماعة أخر و وسّطوا الجميع، و

أقام السلطان بدمشق، و أهلها علی تخوّف عظیم منه إلی أن خرج منها فی العشر الأخیر من ذی الحجّة سنة ثلاث و تسعین و سبعمائة عائدا إلی الدیار المصریة، فسار بعساکره حتی دخل مدینة غزّة فی یوم الجمعة ثالث محرّم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۵

سنة أربع و تسعین و سبعمائة، فعند ذلک نودی بالقاهرة بالزّینة لقدومه، فزیّنت أعظم زینة إلی یوم ثالث عشر المحرّم، فقدم البرید من السلطان إلی مصر بالخروج إلی ملاقاته إلی بلبیس، فخرج الأمیر کمشبغا الحمویّ نائب الغیبة، و معه الأمیر سودون الشیخونیّ النائب، و بقیة الأمراء، و ساروا حتی وافوا السلطان بمدینة بلبیس، فقبّلوا الأرض بین یدیه و عادوا فی رکابه حتی نزل السلطان بالعکرشة، و أقام بها إلی لیلة الجمعة، ثم رحل فی صبیحة الجمعة سابع عشر المحرّم، فخرج من القاهرة سائر الطوائف إلی لقائه و مشوا فی خدمته، و قد اصطفّت الناس لرؤیته إلی أن طلع إلی القلعة یوم الجمعة المذکور فی موکب جلیل إلی الغایة، و کان لطلوعه یوم مشهود.

و لمّا طلع إلی القلعة جلس بالقصر و خلع علی الأمراء و أرباب الوظائف.

ثم قام و دخل إلی الدور السلطانیة، فاستقبله المغانی و التهانی و فرشت الشّقق الحریر تحت أقدامه، و نثر علی رأسه الذهب و الفضّة، هذا! و قد تخلّق غالب أهل القلعة بالزّعفران.

فلم یمض بعد ذلک إلا أیام یسیرة، و قدم البرید من دمشق فی یوم خامس عشرینه بسیف الأمیر بطا الطّولوتمریّ الظاهریّ نائب الشام، و بطا هذا! هو الذی خرج من سجن القلعة و ملک باب السلسلة فی غیبة الملک الظاهر برقوق حسب ما ذکرناه فی وقته من هذا الکتاب، و اتّهم الملک الظاهر فی موته، فخلع السلطان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۶

فی یوم سابع عشرینه علی الأمیر سودون طرنطای بنیابة دمشق، عوضا عن بطا المذکور.

ثمّ فی یوم الاثنین ثانی عشر صفر قبض السلطان علی الأمیر قرا دمرداش الأحمدیّ الیلبغاویّ المعزول قبل تاریخه عن نیابة حلب و علی الأمیر ألطنبغا، المعلم نائب الإسکندریة و هو أیضا یلبغاویّ، و سجنا بالبرج من القلعة، و قرا دمرداش هذا! هو الذی کان الملک الظاهر خلع علیه باستقراره أتابک العساکر بالدیار المصریة، و أنعم علیه بثلاثین ألف دینار، فأخذها قرا دمرداش و خامر علیه و توجّه إلی الناصریّ و منطاش فأسرّ له السلطان ذلک إلی یوم قبض علیه، فذکرها للأمراء و قد ذکرنا ذلک کلّه مفصّلا فی ترجمة الملک الظاهر الأولی.

ثمّ فی خامس عشرین صفر أیضا مسک السلطان الأمیر قردم الحسنیّ الیلبغاویّ رأس نوبة النوب کان و أخرج بعد أیام علی إمرة عشرة بغزّة، ثم خلع السلطان علی الأمیر قلمطای العثمانیّ الظّاهریّ باستقراره أمیر جاندار بعد موت قطلوبغا القشتمریّ و خلع علی ناصر الدین محمد ابن الأمیر محمود الأستادار بنیابة الإسکندریة عوضا عن ألطنبغا المعلّم المقبوض علیه.

ثمّ قدم البرید من دمشق بأنّ خمسة من الممالیک أتوا إلی نائب قلعة دمشق مشاة، و شهروا سیوفهم و هجموا القلعة و ملکوها و أغلقوا بابها و أخرجوا من بها من المنطاشیّة و الناصریّة و هم نحو مائة رجل و قتلوا نائب القلعة و من معه و أنّ حاجب حجّاب دمشق رکب بعسکر دمشق و قاتلهم ثلاثة أیام حتی أخذ القلعة منهم و قبض علی الجمیع إلا خمسة، فإنهم فرّوا فوسّط الحاجب الجمیع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۷

ثمّ فی ثالث عشرین شهر ربیع الآخر رسم السلطان بقتل الأمیر أیدکار العمریّ حاجب الحجّاب کان و الأمیر قراکسک و الأمیر أرسلان اللّفّاف و الأمیر أرغون شاه.

ثمّ فی أوّل جمادی الأولی أحضرت إلی القاهرة من الإسکندریّة عدّة رءوس من الأمراء المسجونین بها و غیرهم.

و فی تاسع عشر شهر جمادی الأولی المذکور خلع السلطان علی الأمیر کمشبغا الحمویّ باستقراره أتابک العساکر بالدیار المصریة بعد موت الأمیر إینال الیوسفیّ الیلبغاویّ، علی أن کمشبغا کان یجلس فوق إینال المذکور.

ثمّ خلع السلطان على الأمير أيتمش البجاسىّ باستقراره رأس نوبة الأمراء و أطابكا و أنعم عليه بزيادة على إقطاعه حتى صار إقطاعه يضاهى إقطاع الأمير الكبير، لأن أيتمش المذكور كان ولى الأتابكيّة بديار مصر فى سلطنة الملك الظاهر الأولى إلى أن مسكه الناصرىّ و حبسه بقلعة دمشق و قد تقدّم ذلك.

و فى يوم الاثنين أوّل شهر رمضان خلع السلطان على الأمير كمشبغا الأشرفىّ الخاصكىّ أمير مجلس باستقراره فى نيابة دمشق بعد موت سودون طرنطاى.

قلت: هذا رابع نائب ولى دمشق فى أقل من سنة: الأوّل الناصرى، و الثانى بطا، و الثالث سودون طرنطاى، و الرابع كمشبغا هذا، فلعمرى! هل هذه آجال متقاربة لديهم، أم كؤوس منايا تدور عليهم.

ثم قدم البريد على السلطان بقتال عسكر حلب لمنطاش و فرار منطاش و انهزامه أمامهم حتى عدّى الفرات.

ثم أنعم السلطان فى اليوم المذكور على الوالد بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية و أنعم بطبلخانات الوالد على الأمير قلمطاى العثمانىّ الظاهرىّ، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٨

الإقطاع المنعم به على الوالد عوضا عن كمشبغا الخاصّكى المنتقل إلى نيابة الشام و أنعم السلطان بإقطاع قلمطاى على الأمير شادى خجا الظاهرىّ و الإقطاع إمرة عشرة.

ثمّ أمسك السلطان شيخ الشيوخ المعروف بالشيخ أصلم بن نظام الدين الأصبهانىّ صاحب الزاوية على الجبل تجاه باب الوزير و سلّمه لشادّ الدواوين على حمل مائتى ألف درهم، و سببه أنّ السلطان لما اختلّ أمره فى حركة الناصرىّ و منطاش و همّ بالهرب طلب أصلم المذكور، و أعطاه خمسة آلاف دينار، و واعده أنه ينزل إليه و يحتفى عنده، فلم يف له أصلم بذلك، و أخذ الذهب و غيّب، فاختفى السلطان فى بيت أبى يزيد من غير ميعاد واعده.

و فى سابع عشرين شوّال استقرّ الأمير بكلمش العلائىّ الأمير آخور أمير سلاح، و استقر الأمير تنبك اليحياوىّ الظاهرىّ أمير آخور كبيرا عوضه.

و فى ثانى عشر ذى القعدة قتل الأمير قرا دمرداش الأحمدىّ اليلبغاوىّ نائب حلب كان، و الأمير تغاى تمر نائب سيس فى عدة أمراء أخر.

و فى ثالث محرّم سنة خمس و تسعين و سبعمائة قدم البريد على السلطان من الشام بموت الأمير كمشبغا الخاصّكى الأشرفى نائب دمشق، فاستقر السلطان بالأمير تنبك الحسنىّ الظاهرىّ المعروف بتنم أتابك دمشق فى نيابتها عوضا عن كمشبغا المذكور.

قلت: الآن طاب خاطر السلطان الملك الظاهر برقوق بنيابة تنم المذكور فإنّ الشام صار الآن بيد مملوكه، كما نيابة حلب و حماة مع جلبان و دمرداش و لمّا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٩

استقرّ تنم فى نيابة دمشق، رسم السلطان بنقل الأمير إياس الجرجاوىّ نائب طرابلس إلى أتابكيّة دمشق، عوضا عن تنم المذكور، و نقل الأمير دمرداش المحمدى الظاهرى من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس عوضه، و استقر الأمير آقبغا الصغير فى نيابة حماة عوضا عن دمرداش المذكور.

و فى أثناء ذلك قدم البريد على السلطان. يخبر بأنّ منطاشا و نعيرا أمير العرب و ابن بزدغان التّركمانىّ و ابن إينال التركمانىّ صاروا فى عسكر كثيف و حضروا به إلى سلمية فلقيهم محمد بن قارا أمير العرب على شيزر بتراكمين الطاعة، فقاتلهم و قتل ابن بزدغان و ابن إينال، و جرح منطاش و سقط عن فرسه، فلم يعرف لأنه كان حلق شاربه و رمى شعره حتى أدركه ابن نعير و أردفه خلفه و انهزم به، بعد أن قتل من الفريقين عالم كبير، و حملت رأس ابن بزدغان و ابن إينال إلى دمشق، فعلّقتا على قلعتها، ففرح السلطان بذلك، و

کتب لمحمد بن قارا بالشکر و الثناء و أرسل إلیه خلعة هائلة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۰

ثمّ بعد أیام یسیرة ورد الخبر بأن نعیرا و الأمیر منطاشا کبسا حماة فی عسکر کبیر، فقاتلهم الأمیر آقبغا الصغیر نائب حماة فیما بین حماة و طرابلس و کسرهما، فلمّا بلغ الأمیر جلبان الکمشبغاوی قراسقل نائب حلب ذلک رکب بعسکره و سار إلی أبیات نعیر و نهبها و أخذ ما قدر علیه من المال و الخیل و الجمال و الأغنام و النساء و الأطفال، و أضرم النیران فیما بقی عندهم.

ثمّ أکمن کمیا. فلما سمع نعیر بما وقع علیه رجع إلی نحو بیوته بجماعته، فخرج الکمین علیه و قتل من عربانه جماعة کبیرة و أسر مثلها، و قتل فی هذه الوقعة من عسکر حلب نحو المائة فارس، و عدّة من الأمراء، فأعجب السلطان ما فعله نائب حلب، و کتب إلیه بالشکر و الثناء، و أرسل إلیه خلعة عظیمة و فرسا بسرج ذهب و کنبوش زرکش.

ثم أخرج السلطان الأمیر ألطنبغا المعلّم أمیر سلاح کان، من السجن و أرسله إلی ثغر دمیاط بطالا، و أفرج السلطان أیضا عن الأمیر قطلوبغا السیفی حاجب الحجاب کان فی أیام منطاش و أرسله إلی الثغر المذکور.

ثم فی رابع عشر جمادی الآخرة من سنة خمس و تسعین و سبعمائة قدم البرید بموت الأمیر یلبغا الإشقتمری نائب غزة، و فی تاسع عشرین جمادی المذکورة خلع

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۱

السلطان علی الأمیر قلمطای العثمانیّ الظاهریّ باستقراره دوادارا کبیرا بعد موت الأمیر أبی یزید بن مراد الخازن، و خلع السلطان علی الأمیر ألطنبغا العثمانی الظاهری باستقراره فی نیابة غزة عوضا عن یلبغا الأقشتمریّ.

قلت: أدرکت أنا ألطنبغا العثمانی الظاهریّ هذا فی نیابته علی دمشق فی دولة الملک المؤیّد شیخ. انتهی.

و أنعم السلطان بإقطاع ألطنبغا العثمانیّ علی الأمیر تمراز الناصریّ الظاهریّ رأس نوبة، و الإقطاع: إمرة طبلخاناه، و أنعم السلطان بإمرة تمراز المذکور علی الأمیر شرف الدین موسی بن قماری أمیر شکار، و الإقطاع إمرة عشرة.

و فی یوم الاثنین ثالث شهر رمضان من سنة خمس و تسعین المذکورة قدم البرید من حلب بالقبض علی الأمیر منطاش، و کان من خبره، أن الأمیر جلبان نائب حلب لم یزل فی مدّة ولایته علی حلب یبذل جهده فی أمر منطاش، حتی وافقه الأمیر نعیر علی ذلک بعد أمور صدرت بینهما، و کان منطاش فی طول هذه المدّة مقیما عند نعیر، فبعث جلبان شادّ شراب خاناته السیفی کمشبغا فی خمسة عشر مملوکا إلی نعیر، بعد أن التزم الأمیر جلبان لنعیر بإعادة إمرة العرب علیه، فسار کمشبغا المذکور حتی قارب أبیات نعیر، فنزل فی موضع، و بعث یأمر نعیرا بالقبض علی منطاش و یعلمه بحضوره، فندب نعیر أحد عبیده إلیه یستدعیه، فأحس منطاش بالشر و فطن بالقصد فهمّ بالفرار، فرکب فرسه و أراد التوجه إلی حال سبیله، فقبض العبد علی عنان فرسه فهم منطاش بضربه، فأدرکه عبد آخر و أنزلاه عن فرسه و أخذا سیفه، فتکاثروا علیه، فلما تحقّق منطاش أنه أخذ و مسک أخذ سکینا کانت معه و ضرب نفسه بها أربع ضربات أغشی علیه، و حمل و أتی به إلی عند کمشبغا المذکور و معه فرسه و أربعة جمال، فتسلمه کمشبغا و سار به

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۲

إلی حلب، فدخلها فی أربعمائة فارس من عرب نعیر، فکان لدخوله حلب یوم عظیم مشهود و حمل منطاش إلی قلعة حلب و سجن بها.

ثمّ کتب إلی السلطان بمسکه، فلما بلغ السلطان ذلک سرّ سرورا عظیما و أنعم علی کمشبغا المذکور بخمسة آلاف درهم و خلع علیه فوقانیا بطرز ذهب مزرکش و رسم السلطان إلی سائر الأمراء أن یوافوه بالخلع و دقّت البشائر لهذا الخبر بالدیار المصریة و زیّنت القاهرة من الغد زینة عظیمة.

ثمّ خلع السلطان علی الأمیر طولو من علیّ باشاه الظاهریّ أحد أمراء العشرات و ندبه للتوجّه إلی حلب علی البرید لإحضار رأس

منطاش، بعد أن یعذّبه بأنواع العذاب لیقرّ علی أمواله، فسار طولو فی خامسه إلی حلب و أحضر منطاشا و عصره و أجری علیه أنواع العذاب لیقرّ بالمال، فلم یعترف بشیء، فذبحه بعد عذاب شدید، قیل: إنه عذّب بأنواع العذاب و الکسّارات و النار فی أطرافه، حتی لم یبق فیه عضو إلا و تکسّر و هو مصمم علی أنه لا یملک شیئا، ثم قطع رأسه و حملت علی رمح و طیف بها بمدینة حلب، ثمّ أخذها طولو و عاد یرید الدیار المصریة، فصار کلما دخل إلی مدینة طاف بها علی رمح و عمل بها کذلک فی سائر مدن الشام، حتی وصلت إلی الدیار المصریة صحبة طولو المذکور فی یوم الجمعة حادی عشرین رمضان، فعلّقت علی باب قلعة الجبل، ثمّ طیف بها القاهرة علی رمح، ثمّ علقت علی باب زویلة أیاما، ثم سلمت إلی زوجته أم ولده، فدفنتها فی سادس عشرینه.

ثمّ ندب السلطان یلبغا السالمیّ الظاهریّ إلی نعیر بالخلع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۳

ثمّ فی سادس عشرینه قدم رسل الملک الظاهر مجد الدین عیسی صاحب ماردین علی السلطان تخبر بأن تیمورلنک أخذ مدینة تبریز و أرسل یستدعیه إلی عنده فاعتذر لمشاورة سلطان مصر، فلم یقبل منه تیمور ذلک و قال له: لیس لصاحب مصر بملکک حکم و أرسل إلیه خلعة و سکة ینقش بها الذهب و الدنانیر و قدم مع القاصد أیضا رسول صاحب بسطام، یذکر بأن تیمور قتل شاه منصور متملّک شیراز و بعث برأسه إلی بغداد و بعث بالخلع و السکة إلی السلطان أحمد بن أویس صاحب العراق، فلبس السلطان أحمد الخلعة و طاف بها فی شوارع بغداد و ضرب باسمه السکة، و کان ذلک خدیعة من تیمور، حتی ملک منه بغداد فی یوم السبت حادی عشرین شوّال من سنة خمس و تسعین المذکورة.

و کان سبب أخذ تیمور بغداد أن ابن أویس المذکور کان أسرف فی قتل أمرائه و بالغ فی ظلم رعیته و انهمک فی الفجور و الفساد.

قلت فائدة: حکی بعض الحکماء أن الرجل إذا کان فیه خصلة من سبع خصال تمنعه السیادة علی قومه و نظم السبعة بعضهم فقال: [الخفیف]

منع الناس أن یسود علیهم سبعة قاله ذوو التبیان

أحمق کاذب صغیر فقیر ظالم النفس ممسک الکفّ زان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۴

و لما وقع من السلطان أحمد ذلک کاتب أهل بغداد تیمور بعد استیلائه علی مدینة تبریز یحثونه علی المسیر إلی بغداد، فتوجّه إلیها بعساکرها حتی بلغ الدّربند و هو من بغداد مسیرة یومین، فبعث إلیه أحمد بن أویس بالشیخ نور الدین الخراسانیّ فأکرمه تیمور و قال له: أنا أترک بغداد لأجلک و رحل یرید السلطانیة، فبعث نور الدین کتبة بالبشارة إلی بغداد.

ثم قدم فی إثرها فاطمأن أهلها و کان تیمور قد سار یرید بغداد من طریق أخری، فلم یشعر أحمد بن أویس و قد اطمأن إلا و تیمور نزل غربی بغداد قبل أن یصل الشیخ نور الدین فدهش عند ذلک ابن أویس و أمر بقطع الجسر و رحل من بغداد بأمواله و أولاده وقت السحر من لیلته و هی لیلة السبت المذکورة و ترک بغداد فدخلها تیمور لنک و أرسل ابنه فی إثر ابن أویس فأدرکه بالحلّة و نهب ماله و سبی حریمه و أسر و قتل کثیرا من أصحابه، فنجا السلطان أحمد بن أویس بنفسه فی طائفة و هم عراة، فقصد حلب و تلاحق به من بقی من أصحابه.

ثم بعد ذلک قدم البرید علی السلطان الملک الظاهر برقوق بأنّ ابن أویس المذکور نزل بالرحبة فی نحو ثلاثمائة فارس و قدم کتاب ابن أویس و کتاب نعیر،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۴۵

فأجیب أحسن جواب و کتب بإکرامه و القیام بما یلیق به، فلما وصل کتاب السلطان إلی نعیر توجه إلیه، و عندما عاین ابن أویس نزل عن فرسه و قبّل الأرض بین یدیه و سار به إلی بیوته و أضافه.

ثم سيّره إلى حلب فقدمها و معه أحمد بن شكر و نحو الألفى فارس فأنزله الأمير جلبان قرا سقل نائب حلب بالميدان و قام له بما يليق به و كتب مع البريد إلى السلطان بذلك و على يد القادم أيضا كتاب السلطان أحمد بن أويس يستأذن فى القدوم إلى مصر، فجمع السلطان الأمراء للمشورة فى أمر ابن أويس، فاتفقوا على إحضاره و أن يخرج إلى مجيئه الأمير عز الدين أزدمر و معه نحو ثلاثمائة ألف درهم فضة و ألف دينار برسم النفقة على ابن أويس فى طريقه إلى مصر و توجه أزدمر المذكور فى سادس عشرينه و سار أزدمر إلى حلب و أحضر السلطان أحمد ابن أويس المذكور إلى نحو الديار المصرية، فلما قرب ابن أويس من ديار مصر أخرج السلطان عدّة من الأمراء إلى لقائه.

فلمّا كان يوم الثلاثاء سابع عشرين شهر ربيع الأوّل من سنة ست و تسعين و سبعمائة، نزل السلطان الملك الظاهر من قلعة الجبل بأمرائه و عساكره إلى لقاء أحمد بن أويس و جلس بمسطبة مطعم الطير من الرّيدانية خارج القاهرة إلى أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ۴۶

قرب السلطان أحمد بن أويس و وقع بصره على المسطبة التى جلس عليها السلطان، فنزل عن فرسه و مشى عدّة خطوات، فتوجه إليه الأمير بتخاص حاجب الحجّاب بالديار المصرية و من بعده الأمراء للسلام على ابن أويس، فتقدّم بتخاص المذكور و سلم عليه و وقف بإزائه و صار كلما تقدّم إليه أمير ليسلّم عليه يعرّفه بتخاص باسمه و وظيفته و هم يقبّلون يده واحدا بعد واحد، حتى أقبل الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس فقال له: الأمير بتخاص هذا أمير مجلس و ابن أستاذ السلطان، فعانقه ابن أويس و لم يدعه يقبّل يده.

ثمّ جاء بعده الأمير بكلمش العلائىّ أمير سلاح فعانقه أيضا، ثمّ من بعده الأمير أيتمش البجاسىّ رأس نوبة الأمراء و أطابك فعانقه ثمّ من بعده الأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ نائب السلطنة فعانقه، ثمّ الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ أتابك العساكر فعانقه و انقضى سلام الأمراء، فقام عند ذلك السلطان و نزل من على المسطبة و مشى نحو العشرين خطوة، فلمّا رأى ابن أويس مشى السلطان له هرول حتى التقيا، فأومأ أحمد بن أويس ليقبّل يد السلطان فمنعه السلطان من ذلك و عانقه.

ثمّ بكيا ساعة ثم مشيا إلى نحو المسطبة و السلطان يطيّب خاطره و يعده بكل جميل و بالعود إلى ملكه و يده فى يده حتى طلعا على المسطبة و جلسا معا على البساط من غير أن يقعد السلطان على مرتبته و تحادثا طويلا، ثمّ طلب السلطان له خلعة فقدّم قبا حرير بنفسجىّ بفرو و قاقم بطرز زركش هائلة، فألبسه الخلعة المذكورة و قدّم له فرسا من خاصّ مراكيب السلطان بسرج ذهب و كنبوش زركش و سلسلة ذهب فركبه ابن أويس من حيث يركب السلطان، ثمّ ركب السلطان بعده و سارا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ۴۷

يتحادثان و الأمراء و العساكر سائرة على منازلهم ميمنة و ميسرة، حتى قربا من القلعة، هذا و الناس قد خرجت إلى قريب الرّيدانية و امتلأت الصحراء منهم للفرجة على موكب السلطان، حتى أدهش كثرتهم السلطان أحمد بن أويس، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة، و لما وصلا إلى قريب القلعة و أخذت العساكر تترجّل عن خيولهم على العادة، صار ابن أويس مواكبا للسلطان حتى بلغا تحت الطبلخاناه من قلعة الجبل، فأومأ إليه السلطان بالتوجه إلى المنزل الذى أعدّ له على بركة الفيل، و قد جدّدت عمارته و زخرفت بالفرش و الآلات و الأوانى، فسلّم ابن أويس على السلطان، و سار إليه و جميع الأمراء فى خدمته، و طلع السلطان إلى القلعة.

فلما دخل ابن أويس إلى المنزل المذكور و معه الأمراء، مدّ الأمير جمال الدين محمود الأستادار بين يديه سماطا جليلا إلى الغاية فى الحسن و الكثرة، فأكل السلطان أحمد و أكل الأمراء معه، ثم انصرفوا إلى منازلهم، و فى اليوم جهّز السلطان إليه مائتى ألف درهم فضة، و مائتى قطعة قماش سكندرىّ، و ثلاثة أفراس بقماش ذهب و عشرين مملوكا و عشرين جارية، فلما كان الليل قدم حريم ابن أويس و ثقله.

ثمّ فى يوم الخميس عمل السلطان الخدمة بدار العدل المعروفة بالإيوان، و طلع القان أحمد بن أويس المذكور، و عبر من باب الجسر الذى يقال له باب السرّ و جلس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۴۸

تجاه الإیوان حتی خرج إلیه رأس نوبة و مضی به إلی القصر، فأخذه السلطان، و خرج به إلی الإیوان، و أقعده رأس المیمنة فوق الأمیر کمشبغا الحمویّ أتابک العساکر، فلما قام القضاة و مدّ السماط، قام الأمراء علی العادة، فقام ابن أویس أیضا معهم و وقف، فأشار إلیه السلطان بالجلوس فجلس، حتی فرغ الموکب، و لما انقضت خدمة الإیوان دخل مع السلطان إلی القصر و حضر خدمة القصر أیضا، ثمّ خرج الأمراء بین یدیه، حتی رکب و قدّامه جاویشه و نقیب جیشه، فسار الأمراء فی خدمته إلی منزله.

ثمّ علّق السلطان جالیش السفر إلی البلاد الشامیة علی الطبلخاناه، فشرع الأمراء و الممالیک و غیرهما فی تجهیز أحوالهم إلی السفر صحبة السلطان.

ثمّ فی حادی عشرین شهر ربیع الأوّل المذکور، رکب السلطان من القلعة و معه السلطان أحمد بن أویس إلی مدینة مصر و عدّی النیل إلی برّ الجیزة، و نزل بالخیام لیتصیّد، فأقام هناک ثلاثة أیام و عاد، و قد أذهل ابن أویس ما رأی من تجمّل المملکة و عظمتها من ندماء السلطان و مغانیه و ترتیبه فی مجلس موکبه و أنسه ثم فی سلخه قدم البرید من حلب بتوجّه الأمیر ألطنبغا الأشرفیّ نائب الرّها کان، و هو یوم ذلک أتابک حلب، و الأمیر دقماق المحمدیّ نائب ملطیة بعسکریهما

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۴۹

و موافقتهما لطلائع تیمور لنک و هزیمتهما له، بعد أن قتلا من اللّنکیّة خلقا کثیرا، و أسرا أیضا جماعة کبیرة، و عاد إلی حلب بمائة رأس من التّمریّة.

و فی یوم الخمیس ثالث شهر ربیع الآخر ابتدأ السلطان بنفقة الممالیک، لکل مملوک مبلغ ألفی درهم و عدّتهم خمسة آلاف مملوک، فبلغت النفقة فی الممالیک خاصة عشرة آلاف درهم فضة، سوی نفقة الأمراء و سوی ما حمل فی الخزائن و سوی ما تکلفه للقان أحمد بن أویس فیما مضی، و فیما یأتی ذکره.

و بینما السلطان فی ذلک قدم علیه کتاب تیمور یتضمن الإرداع و التخویف، و نصّه:

قل اللهم مالک الملک، فاطر السماوات و الأرض، عالم الغیب و الشهادة، أنت تحکم بین عبادک فیما کانوا فیه یختلفون. اعلموا أنا جند اللّه مخلوقون من سخطه، و مسلّطون علی من حلّ علیه غضبه، لا نرقّ لشاک، و لا نرحم عبرة باک، قد نزع اللّه الرحمة من قلوبنا، فالویل ثم الویل لمن لم یکن من حزبنا و من جهتنا! قد خرّبنا البلاد، و أیتمنا الأولاد، و أظهرنا فی الأرض الفساد، و ذلّت لنا أعزّتها، و ملکنا بالشوکة أزمّتها، فإن خیّل ذلک علی السامع و أشکل، و قال: إن فیه علیه مشکلا، فقل: (إن الملوک إذا دخلوا قریة أفسدوها و جعلوا أعزّة أهلها أذلّة)، و ذلک لکثرة عددنا، و شدّة بأسنا، فخیولنا سوابق، و رماحنا خوارق، و أسنّتها بوارق، و سیوفنا صواعق، و قلوبنا کالجبال، و جیوشنا کعدد الرمال، و نحن أبطال و أقیال، و ملکنا لا یرام، و جارنا لا یضام، و عزّنا أبدا لسؤدد منقام، فمن سالمنا سلم، و من

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۵۰

حاربنا ندم، و من تکلّم فینا بما لا یعلم جهّل. و أنتم فإن أطعتم أمرنا و قبلتم شرطنا، فلکم مالنا و علیکم ما علینا، و إن خالفتم و علی بغیکم تمادیتم، فلا تلوموا إلا أنفسکم، فالحصون منّا مع تشییدها لا تمنع، و المدائن بشدّتها لقتالنا لا تردّ و لا تنفع، و دعاؤکم علینا لا یستجاب فینا فلا یسمع، فکیف یسمع اللّه دعاءکم و قد أکلتم الحرام، و ظلمتم جمیع الأنام، و أخذتم أموال الأیتام، و قبلتم الرشوة من الحکّام، و أعددتم لکم النار و بئس المصیر: (إنّ الذین یأکلون أموال الیتامی ظلما إنما یأکلون فی بطونهم نارا و سیصلون سعیرا) فبما فعلتم ذلک أوردتم أنفسکم موارد المهالک، و قد قتلتم العلماء، و عصیتم رب الأرض و السماء، و أرقتم دم الأشراف، و هذا و اللّه هو البغی و الإسراف، فأنتم بذلک فی النار خالدون، و فی غد ینادی علیکم:

فَالْیَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما کُنْتُمْ تَسْتَکْبِرُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ بِما کُنْتُمْ تَفْسُقُونَ، فأبشروا بالمذلّة و الهوان، یا أهل البغی و

العدوان، و قد غلب عندكم أننا كفرة، و ثبت عندنا و اللّه أنكم الكفرة الفجرة، و قد سلطنا عليكم الإله، له أمور مقدّرة، و أحكام محرّرة، فعزيزكم عندنا ذليل، و كثيركم لدينا قليل، لأننا ملكنا الأرض شرقا و غربا، و أخذنا منكم كلّ سفينة غصبا، و قد أوضحنا لكم الخطاب، فأسرعوا بردّ الجواب، قبل أن ينكشف الغطاء، و تضرم الحرب نارها، و تضع أو زارها، و تصير كلّ عين عليكم باكية، و ينادى منادى الفراق:

هل ترى لهم من باقية، و يسمعكم صارخ الفناء بعد أن يهزّكم هزا، هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً، و قد أنصفناكم إذ راسلناكم، فلا تقتلوا المرسلين، كما فعلتم بالأوّلين، فتخالفوا كعادتكم سنن الماضين، و تعصوا رب العالمين، وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ، و قد أوضحنا لكم الكلام، فأرسلوا بردّ الجواب و السلام

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۱

فكتب جوابه بعد البسملة الشريفة: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، و حصل الوقوف على ألفاظكم الكفريّة، و نزغاتكم الشيطانية، و كتابكم يخبرنا عن الحضرة الخانيّة، و سيرة الكفرة الملائكية، و أنكم مخلوقون من سخط اللّه و مسلطون على من حلّ عليه غضب اللّه، و أنكم لا ترقّون لشاک، و لا ترحمون عبرة باک، و قد نزع اللّه الرحمة من قلوبكم، فذاک أكبر عيوبكم، و هذه من صفات الشياطين، لا من شيم السلاطين، و تكفيكم هذه الشهادة الكافية، و بما وصفتم به أنفسكم ناهية، قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ. لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ ففى كل كتاب لعنتم، و على لسان كلّ مرسل نعتم، و بكل قبيح وصفتم، و عندنا خبركم من حين خرجتم، أنكم كفرة، ألا لعنة اللّه على الكافرين، من تمسّک بالأصول فلا يبالى بالفروع، نحن المؤمنون حقّا، لا يدخل علينا عيب، و لا يضرنا ريب، القرآن علينا نزل، و هو سبحانه رحيم لم يزل، فتحققنا نزوله، و علمنا ببركته تأويله، فالنار لكم خلقت، و لجلودكم أضرمت، إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ، و من أعجب العجب تهديد الرتوت بالتوت و السباع بالضباع و الكماة بالكراع، نحن خيولنا برقيّة، و سهامنا عربية، و سيوفنا يمانية، و لبوسنا مصرية، و أكفّنا شديدة المضارب، وصفتنا مذكورة فى المشارق و المغارب، إن قتلنا كم فنعم البضاعة، و إن قتل منا أحد فبينه و بين الجنة ساعة، وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۲

الْمُؤْمِنِينَ. و أمّا قولكم: قلوبنا كالجبال، و عددنا كالرمال، فالقصّاب لا يبالى بكثرة الغنم، و كثير الحطب يغنيه الضّرم كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ الفارّ الفارّ من الزوايا، و طول البلايا، و اعلموا أنّ هجوم المنيّة، عندنا غاية الأمنية، إن عشنا عشنا سعداء، و إن قتلنا قتلنا شهداء ألا إن حزب اللّه هم الغالبون أبعد أمير المؤمنين، و خليفة رب العالمين، تطلبون منا طاعة، لا سمع لكم و لا طاعة، و طلبتم أن نوضّح لكم أمرنا، قبل أن ينكشف الغطاء، ففى نظمه تركيک، و فى سلكه تلبيک، لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان، أكفرتم بعد إيمان، أم اتخذتم إلها ثان، و طلبتم من معلوم رأيكم، أن نتبع دينكم، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا قل: لكاتبک الذى وضع رسالته، و وصف مقالته، وصل كتابک كضرب رباب، أو كطنين ذباب، كَلَّا سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا، وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ إن شاء اللّه تعالى لقد لبكتم، فى الذى أرسلتم، و السلام. انتهى.

فعرض هذا الجواب على السلطان ثمّ ختم و أرسل إليه.

ثم فى سادس شهر ربيع الآخر المذكور عرض السلطان أجناد الحلقة الذين عيّنوا للسفر و عيّن منهم أربعمائة فارس للسفر صحبة السلطان و ترک الباقى بالديار المصرية.

ثمّ فى سابعه خرجت مدوّرة السلطان من القاهرة و نصبت بالريدانية خارج القاهرة.

ثمّ فى يوم الأربعاء تاسعه عقد السلطان عقده على الخاتون تندى بنت حسين ابن أويس و كانت قدمت مع عمها السلطان أحمد بن أويس، و مبلغ الصداق ثلاثة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٥٣

آلاف دينار و كان صرف الدينار إذ ذاك ستة و عشرين درهما و نصف درهم، و بنى عليها ليلة الخميس عاشره و هو يوم سفره إلى الشام.

و أصبح من الغد فى يوم الخميس المذكور نزل السلطان من قلعة الجبل إلى الإسطبل السلطانىّ، ثمّ خرج من باب السلسلة إلى الرميلة و قد وقف القان أحمد ابن أويس و جميع الأمراء و سائر العسكر ملبسين آلة الحرب و معهم أطلابهم، فسار السلطان و عليه قرقل بلا أكمام و على رأسه كلفتة و تحته فرس بعرقيّة من صوف سميك إلى باب القرافة و العساكر قد ملأت الرّميلة فرتّب هو بنفسه أطلاب الأمراء و مرّ فى صفوفها ذهابا و إيابا غير مرّة، حتى رتّبها أحسن ترتيب و صاحبها ينظر و أخذ يخالف فى تعبئة الأطلاب، كلّ تعبئة بخلاف الذى يتقدّمها، حفظت أنا غالبها عن الأستاذ الأتابك آقبغا التمرازىّ عن أستاذه تمراز الناصرىّ النائب و لو لا الإطالة و الخروج عن المقصود لرسمتها هنا بالنقط. انتهى.

فلمّا فرغ السلطان الملك الظاهر برقوق من تعبئة أطلاب أمرائه أخذ فى ترتيب طلب نفسه و جعله أمام أطلاب الأمراء كالجاليش لكثرة من كان به

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٥٤

و عبّأه قلبا و جناح يمين و جناح شمال و رديفا و كمينا و أمر الكوسات و الطبول فدقّت حربيّا.

ثمّ ترك جميع الأطلاب و مضى فى خواصّه إلى قبة الإمام الشافعىّ [رضى اللّه عنه] و زاره و تصدّق على الفقراء بمال كثير خارج عن الحدّ، ثم سار إلى المشهد النفيسىّ وزاره و تصدّق به أيضا، و فى طول طريقه بجملة مستكثرة، ثمّ عاد إلى الرّميلة و أشار إلى طلب السلطان فسار إلى نحو الرّيدانيّة فى أعظم قوّة و أبهج زىّ و أفخر هيئة و أحسن ملبس، جرّ فيه من خواصّ الخيل مائتا جنيب ملبسة آلة الحرب التى عظمت من الآلات المذهبة و المفضّضة و المزركشة على اختلاف أنواعها و صفاتها التى تحيّر العقول عند رؤيتها.

ثمّ أشار لأطلاب الأمراء فسارت أيضا بأعظم هيئة و قد تفاخر الأمراء أيضا فى أطلابهم و خرج كل طلب أحسن من الآخر حتى حاذوا القلعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٥٥

فوقفوا يمينا و يسارا حتى سار السلطان فى موكبه فى غاية العظمة و الأبّهة و إلى جانبه القان أحمد بن أويس على فرس بقماش ذهب و بجانب ابن أويس الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ ثم الأمراء ميمنة و ميسرة، كلّ واحد فى رتبته حتى انقضى ممرّ السلطان و أمامه العساكر و خلفه، ثمّ سارت أطلاب الأمراء تريد الريدانية شيئا بعد شىء و سار السلطان حتى نزل بمخيّمه بالريدانيّة و أقام بها أياما.

ثم فى رابع عشره خلع على القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء باستقراره قاضى قضاة الشافعية بديار مصر، بعد عزل القاضى صدر الدين المناوىّ و دخل من الرّيدانيّة إلى القاهرة و معه تغرى بردى من يشبغا رأس نوبة النّوب (أعنى الوالد) و الأمير قلمطاى من عثمان الدوادار الكبير و آقبغا اللكّاش رأس نوبة ثان و جماعة أخر.

ثم قدم على السلطان بالريدانية ولد الأمير نعير و معه محضر أنّ أباه أخذ مدينة بغداد و خطب بها للسلطان الملك الظاهر برقوق، فخلع السلطان عليه و وعده بكل خير.

ثمّ كتب السلطان بإحضار الأمير ألطنبغا المعلّم من ثغر دمياط.

ثمّ خلع السلطان على الأمير سودون النائب ليقيم بالقاهرة فى مدّة غيبة السلطان، و على الأمير بجاس ليقيم بالقلعة، و على الأمير محمود

الأستادار، و على ولده و خلع على التاجر برهان الدين المحلّىّ، و على التاجر شهاب الدين أحمد بن مسلم، و على التاجر نور الدين على الخرّوبىّ لكون السلطان اقترض منهم مبلغ ألف ألف درهم.

ثمّ فى ثالث عشرينه رحل السلطان بعساكره و أمرائه من الريدانية، بعد أن أقام بها نحو ثلاثة عشر يوما، و فرّق من الجمال فى المماليك نحو أربعة آلاف جمل،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۶

و من الخيل ألفى فرس و خمسمائة فرس، و حمل معه أشياء كثيرة مما يحتاج السلطان إليه، منها خمسة قناطير من العاج و الآبنوس برسم الشّطرنج الذى يلعب به السلطان، و سببه انه كان إذا لعب بشطرنج و فرغ من لعبه أخذه صاحب النّوبة و جدّد غيره، و أشياء كثيرة أخر من هذه المقولة.

ثمّ فى ثامن عشرينه أرسل السلطان يطلب بدر الدين محمود الكلستانىّ، فأخذ محمود المذكور من خانقاة شيخون فإنه كان من بعض صوفيتها و سار و هو خائف وجل، لأنه كان من ألزام ألطنبغا الجوبانىّ إلى أن وصل إلى السلطان.

و خبره أنّ السلطان كان ورد عليه كتاب من بعض الملوك بالعجمىّ، فلم يعرف القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه كاتب السر يقرؤه، فطلب السلطان من يقرؤه، فنوّه بعض من حضر من الأمراء بذكر الكلستانىّ هذا، فطلب لذلك و حضر و قرأه فأعجب السلطان قراءته، فأمره بالسفر معه، فسافر صحبة السلطان و صار ينزل مع الأمير قلمطاى الدوادار كأنّه من بعض حواشيه فإنه كان فى غاية من الفقر إلى أن وصل إلى دمشق كما سنذكره.

و أما السلطان فإنه دخل دمشق فى عشرين جمادى الأولى و قام به إلى أن أخرج عسكرا إلى البلاد الحلبية فى سابع عشر شهر رجب، و عليهم الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ و الأمير بكلمش أمير سلاح و الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس و بيبرس ابن أخت السلطان الملك الظاهر برقوق، و نائب صفد و نائب غزّة، كل ذلك و السلطان مقيم بدمشق فى انتظار قدوم تيمور لنك.

ثم أمر السلطان للقان غياث الدين أحمد بن أويس بالتوجه إلى محل مملكته ببغداد، فخرج من دمشق فى يوم الاثنين أوّل شعبان من سنة ست و تسعين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۷

المذكورة، بعد ما قام له السلطان بجميع ما يحتاج إليه، و عند وداعه خلع عليه الملك الظاهر خلعة أطلسين متمّرا و قلّده بسيف مسقّط بذهب، و كتب له تقليدا بسلطنة بغداد، و ناوله إيّاه، فأراد أحمد بن أويس أن يقبّل الأرض فلم يمكّنه السلطان من ذلك، إجلالا له و تعظيما فى حقه، و قام له و عانقه و وادعه، ثمّ افترقا، و كان ما أنعم به السلطان الملك الظاهر على القان غياث الدين أحمد بن أويس عند سفره خاصّة من النقد خمسمائة ألف درهم، سوى الخيل و الجمال و السلاح و المماليك و القماش السكندرىّ و غير ذلك، و استمرّ ابن أويس بمخيّمه خارج دمشق إلى يوم ثالث عشر شعبان، فسافر إلى جهة بغداد بعد أن أظهر الملك الظاهر من علوّ همته و مكارمه و إنعامه لابن أويس المذكور ما أدهشه.

قلت: هكذا تكون الشّيم الملوكية، و إظهار الناموس، و بذل الأموال فى إقامة الحرمة، مع أن الملك الظاهر لم يخرج من الديار المصرية، حتّى تحمّل جملة كبيرة من الديون، فإنه من يوم حبس بالكرك و ملك الناصرىّ و منطاش ديار مصر فرّقا جميع ما كان فى الخزائن السلطانية، و حضر الملك الظاهر من الكرك فلم يجد فى الخزائن ما قلّ و لا كثر و صار مهما حصّل له أنفقه فى التجاريد و الكلف، فللّه درّه من ملك! على أنه كان غير مشكور فى قومه.

حدّثنى غير واحد من حواشى الأسياد أولاد السلاطين، قالوا: كنّا نقول من يوم تسلطن هذا المملوك: هذا الكعب الشؤم نشّفت القلعة من الرّزق و خربت الدنيا هذا، و كان الذى يصرف يوم ذلك على نزول السلطان إلى سرحة سرياقوس بكلفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۸

ملوک زماننا هذا! من أوّل السنة إلى آخرها، فلعمرى! هل الأرزاق قلّت أم الهمة اضمحلّت! و ما الشىء إلا کما کان و زیادة، غیر أنّ قلّة العرفان تمنع السیادة. انتهى.

و فى یوم ثانى شعبان خلع السلطان على الشیخ بدر الدین محمود الکلستانى المقدّم ذکره باستقراره فى کتابة سرّ مصر، بعد موت القاضى بدر الدین محمد بن فضل اللّه، و کانت تولیة الکلستانى هذه الوظیفة کتابة السرّ من غریب الاتفاق، کونه کان فقیرا مملقا خائفا من السلطان، و عند طلب السلطان له من خانقاه شیخون لقراءة الکتاب الوارد علیه من العجم لم یخرج من الخانقاه حتى أوصى.

ثم إنّه بعد قراءة الکتاب سافر صحبة السلطان إلى دمشق و اشتغل السلطان بما هو فیه عنه، فضاق عیشه إلى الغایة و بقى فى أعوز حال و بات لیلته یتفکّر فى عمل أبیات یمدح بها قاضى دمشق، لعلّه ینعم علیه بشىء یردّ به رمقه. فنظم قصیدة هائلة و کان بارعا فى فنون عدیدة، و أصبح من الغد لیتوجه بالقصیدة إلى القاضى، فجاءه قاصد السلطان بولایة کتابة سرّ مصر فجاءته السعادة فجاءة.

و کان من أمر السلطان أنه لمّا مات کاتب السرّ طلب من یولیه کتابة السرّ فذکر له جماعة و بذلوا له مالا، له صورة، فلم یلتفت السلطان إلى ذلک و أراد من یکون کفئا لهذه الوظیفة التى یکون متولّیها صاحب لسان و قلم فلم یجد غیر الکلستانى المذکور، و کان أهلا لها، فطلبه و ولّاه کتابة السرّ، فباشرها على أحمل وجه. انتهى.

ثمّ قدم على السلطان رسل طقتمش خان صاحب کرسى بلاد القفجاق بأنه یکون عونا مع السلطان على تیمور لنک، فأجابه السلطان لذلک.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۵۹

ثم قدمت رسل خوندکار یلدرم با یزید بن عثمان متملّک بلاد الروم بأنّه جهز لنصرة السلطان مائتى ألف درهم، و أنّه ینتظر ما یرد علیه من جواب السلطان لیعتمده.

ثمّ قدم رسول القاضى برهان الدین أحمد صاحب سیواس بأنّه فى طاعة السلطان و یترقّب ورود المراسیم السلطانیة الشریفة علیه بالمسیر إلى جهة یعیّنه السلطان إلیها، عند قدوم تیمور، فکتب جواب الجمیع بالشکر و الثناء و بما اختاره السلطان.

ثمّ فى أوّل ذى القعدة خرج السلطان من دمشق یرید البلاد الحلبیة و سار حتى دخلها فى العشر الأوسط من ذى القعدة.

و بعد دخوله حلب بأیام قلیلة، عزل نائبها الأمیر جلبان من کمشبغا الظاهریّ المعروف بقراسقل، و خلع على الوالد باستقراره عوضه فى نیابة حلب، و أنعم على الأمیر جلبان المذکور بإقطاع الوالد و إمرته، و هى إمرة مائة و تقدمة ألف بالدیار المصریة، و لم یستقرّ به فى وظیفته، و کانت وظیفة الوالد قبل نیابة حلب رأس نوبة النّوب.

ثم أمسک السلطان الأمیر دمرداش المحمدیّ نائب طرابلس و حبسه و خلع على الأمیر أرغون شاه الإبراهیمى الظاهریّ نائب صفد باستقراره عوضه فى نیابة طرابلس، و خلع على الأمیر آقبغا الجمالى الظاهرى أتابک حلب باستقراره فى نیابة صفد، عوضا عن أرغون شاه الإبراهیمى، و خلع على الأمیر دقماق المحمّدیّ الظاهریّ باستقراره فى نیابة ملطیة، و على الأمیر کور مقبل باستقراره فى نیابة طرسوس.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۰

ثم قبض السلطان على عدّة أمراء من أمراء حلب: منهم الأمیر ألطنبغا الأشرفى، و الأمیر تمربای الأشرفى، و قطلوشاه الماردینى، و حبس الجمیع بقلعة حلب و انفضّ الموکب، و الوالد واقف لم یتوجه، فقال له السلطان: لم لا تتوجه! فقال:

یا مولانا السلطان! أستحى أنزل من الناس یمسک أخى دمرداش نائب طرابلس و أتولّى أنا نیابة حلب! و ما یقبل السلطان شفاعتى فیه، فقال له السلطان: قبلت شفاعتک فیه، غیر أنه یمکث فى السجن أیّاما، ثم أفرج عنه لأجلک، لئلا یقال:

یمسک السلطان نائب طرابلس و یطلقه من یومه! فیصیر ذلک وهنا فى المملکة، فقال: - الوالد رحمه اللّه-: السلطان یتصرّف فى ممالیکه کیف یشاء، ما علینا من قول القائل! ثم قبّل الأرض و ید السلطان، فتبسّم السلطان، و أمر بإطلاق دمرداش و حضوره، فحضر

من وقته، فخلع علیه بأتابکیة حلب عوضا عن آقبغا الجمالی المستقرّ فی نیابة صفد، ثم قال له السلطان: خذ أخاک و انزل، فکانت

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۱

هذه الواقعة أول عظمة نالت الوالد من أستاذه الملک الظاهر برقوق انتهی هذا الخبر.

و الأخبار ترد علی السلطان شیئا بعد شیء من بلاد الشمال بعود تیمور لنک إلی بلاده و السلطان لا یصدّق ذلک. و یتقحّم علی لقاء تیمور لنک، فلم یجسر تیمور علی القدوم إلی البلاد الشامیة مخافة من الملک الظاهر برقوق، و توجّه إلی بلاده، فلما تحقّق السلطان عوده تأسّف علی عدم لقائه، و خرج من حلب بعساکره فی سابع محرّم سنة سبع و تسعین و سبعمائة یرید دمشق، فوصلها و لم یقم بها إلا أیاما قلیلة لطول إقامته بها فی ذهابه، و خرج منها بعساکره فی سابع عشر المحرّم المذکور، یرید الدیار المصریة، بعد أن خلع علی الأمیر بتخاص السودونیّ حاجب حجّاب الدیار المصریة باستقراره فی نیابة الکرک، عوضا عن الأمیر شهاب الدین أحمد ابن الشیخ علیّ، و نقل الشهابیّ المذکور إلی حجوبیة دمشق الکبری، عوضا عن الأمیر تمربغا المنجکی بحکم قدوم تمربغا المنجکیّ إلی مصر صحبة السلطان، و سار السلطان إلی أن وصل مدینة قطیا، فأمسک مملوکه الأمیر جلبان الکمشبغاویّ قراسقل المعزول عن نیابة حلب و بعثه من قطیا فی البحر إلی ثغر دمیاط، و سار السلطان من قطیا حتی وصل إلی دیار مصر فی ثامن عشر صفر، و طلع إلی القلعة من یومه، بعد أن احتفل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۲

الناس لطلوعه، و زیّنت القاهرة أیاما، غیر أن الغلاء کان حصل قبل قدوم السلطان، فتزاید بعد حضوره لکثرة العساکر.

و من یومئذ صفا الوقت للملک الظاهر، و صارت ممالیکه نوّاب البلاد الشامیة من أبواب الروم إلی مصر، و أخذ السلطان یکثر من الرکوب و التوجّه إلی الصید، و عمل له الأمیر تمربغا المنچکی شرابا من زبیب، یسمی التمر بغاوی، و أقبل السلطان علی الشرب منه مع الأمراء، و لم یکن یعرف منه السّکر قبل ذلک.

ثمّ أنعم السلطان علی الأمیر فارس من قطلوجا الظاهری الأعرج بإمرة مائة و تقدمة ألف و ولّاه حجوبیة الحجاب عوضا عن بتخاص السودونی المستقر فی نیابة الکرک. و أنعم علی الأمیر نوروز الحافظی الظاهری بإمرة مائة و تقدمة ألف بالدیار المصریة، عوضا عن الوالد، و هو الإقطاع الذی کان أنعم به السلطان علی جلبان نائب حلب.

ثم أنعم السلطان علی الأمیر أرغون شاه البیدمری بإمرة مائة و تقدمة ألف، و أنعم السلطان أیضا علی کل من تمربغا المنجکی، و صلاح الدین محمد بن محمد تنکز و صرغتمش المحمدی الظاهری بإمرة طبلخاناه، و أنعم أیضا علی کل من مقبل الرومی، و آقبای من حسین شاه الظاهریّ، و آق بلاط الأحمدی، و منکلی بغا الناصری بإمرة عشرة.

ثم بعد أشهر خلع السلطان علی الأمیر نوروز الحافظی الظاهری باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن الوالد بحکم انتقاله إلی نیابة حلب، و کانت شاغرة من تلک الأیام.

ثم قبض السلطان علی الأمیر محمود بن علی الأستادار المعروف بابن أصفر، عیّنه فی صفر سنة ثمان و تسعین، و علی ولده و علی کاتبه، سعد الدین إبراهیم بن غراب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۶۳

و خلع السلطان علی قطلوبک العلائی أستادار الأمیر أیتمش باستقراره فی الأستاداریة، عوضا عن محمود المذکور، و أنعم السلطان علیه بإمرة عشرین، و استمرّ محمود علی إمرته و هو مریض محتفظ به، و خلع السلطان أیضا علی سعد الدین إبراهیم بن غراب کاتب محمود باستقراره ناظر دیوان المفرد و هذا أول ظهور ابن غراب فی الدولة الظاهریة، و استمال السلطان ابن غراب، فأخذ یدلّ علی ذخائر أستاذه محمود، و محمود فی المصادرة إلی أن أظهر شیئا کثیرا من المال.

ثم أنعم السلطان علی جماعة من ممالیکه بإمرة طبلخاناه و هم: طولو من علی باشاه الظاهری، و یلبغا الناصریّ الظاهریّ، و شاذی خجا

الظاهرى العثمانى، و قينار العلائى، و أنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرة و هم: طيبغا الحلبى الظاهرى، و سودون من علىّ باشاه الظاهرى المعروف بسودون طاز، و يعقوب شاه الخازندار الظاهرى و يشبك الشعبانى الخازندار و تمان تمر الإشقتمرىّ رأس نوبة الجمدارية.

ثم خلع السلطان على الأمير فارس الحاجب باستقراره فى نظر الشيخونية و خلع على الأمير تمربغا المنجكىّ حاجبا ثانيا بتقدمة ألف.

و فى هذه الأيام عظم الغلاء و فقد الخبز من الدكاكين.

و فى آخر ذى العقدة استقرّ سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود فى وظيفة نظر الخاصّ بعد القبض على سعد الدين بن أبى الفرج بن تاج الدين موسى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٦٤

ثم رسم السلطان بإحضار الأمير محمود فحمل إلى بين يدى السلطان، و هو فى ألم عظيم من العصر و الضرب و العقوبة، فانتصب إليه كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب فى محاققته و الفحش له فى الكلام، حتى امتلأ السلطان غضبا على محمود و أمر بعقوبته حتى يموت من عظم ما أغراه سعد الدين المذكور به.

ثم ورد الخبر بقدوم الأمير تنم الحسنىّ نائب الشام، و كان خرج بطلبه الأمير سودون طاز، و قدم من الغد فى يوم الاثنين ثالث صفر سنة تسع و تسعين و سبعمائة، بعد أن خرج السلطان إلى لقائه بالرّيدانيّة، و جلس له على مطعم الطير، و بعث الأمراء و القضاة إليه فسلّموا عليه، ثم أتوا به، فقبّل الأرض، فخلع عليه خلعة باستمراره على نيابة دمشق.

ثم قدّم من الغد تقدمته، و كانت تقدمة جليلة، و هى عشرة كواهى و عشرة مماليك صغار فى غاية الحسن، و عشرة آلاف دينار، و ثلاثمائة ألف درهم فضة، و مصحف عليه قراءات و سيف مسقّط ذهب مرصّع، و عصابته منسبكة من ذهب مرصّع، بجوهر نفيس و بدلة فرس من ذهب، فيها أربعمائة مثقال ذهب، و كان أجرة صائغها ثلاثة آلاف درهم فضّة، و مائة و خمسين بقجة فيها أنواع الفرو، و مائة و خمسين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٦٥

فرسا، و خمسين جملا و خمسة و عشرين حملا من نصافى و نحوه، و ثلاثين حملا فاكهة و حلوى، فخلع السلطان على أرباب الوظائف.

ثم نزل السلطان بعد أيام إلى برّ الجيزة، و معه الأمير تنم و غيره، و تصيّد ببرّ الجيزة.

ثم عاد. و عمل السلطان الموكب بدار العدل فى يوم سابع عشر صفر من سنة تسع و تسعين المذكورة، و خلع على الأمير تنم خلعة الاستمرار ثانيا، و جرّت له من الإسطبل ثمانى جنائب بكنابيش و سروج ذهب، فتقدّم تنم، و شفع فى الأمير جلبان الكمشبغاوى المعزول عن نيابة حلب، فقبل السلطان شفاعته، و خرج البريد بطلبه من ثغردمياط، فقدم بعد أيام، و قبّل الأرض بين يدى السلطان، فأنعم عليه السلطان بإقطاع الأمير إياس الجرجاوى و خلع عليه بأتابكية دمشق عوضا عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٦٦

إياس المذكور بحكم القبض عليه و حضوره إلى الديار المصرية، و بعث إليه ثمانية أفراس بقماش ذهب (أعنى عن جلبان).

ثم أمر السلطان أن يسلّم الأمير إياس الجرجاوى إلى ابن الطبلاوى ليخلّص منه الأموال، فأحده ابن الطبلاوىّ فالتزم بحمل خمسمائة ألف درهم و بعث مملوكه لإحضار ماله و هو مريض، فمات إياس بعد يومين، و اختلف الناس فى موته، فمنهم من قال: إنه كان معه خاتم فيه سمّ فشربه فمات منه قهرا مما فعله معه الملك الظاهر، و منهم من قال: إنه مات من مرضه. و اللّه أعلم بحاله.

ثم فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول أمسك السلطان الوزير سعد الدين نصر اللّه بن البقرىّ و ولده تاج الدين و سائر حواشيه، و خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن الطّو؟؟؟ و استقر عوضه فى الوزارة و استقر فى نظر الدولة سعد الدين ابن الهيصم.

ثم خلع السلطان على شرف الدين محمد بن الدّمامينى باستقراره فى وظيفة نظر الجيش بديار مصر بعد موت القاضى جمال الدين محمود القيصرى العجمىّ، نقل إليها من حسبة القاهرة.

ثم من الغد فى يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الأول المذكور استقر القاضى شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن جمال الدين محمود القيصرى المقدّم ذكره.

ثم فى خامس عشرينه قدمت هدية ممهّد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول ملك اليمن صحبة التاجر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٦٧

برهان الدين إبراهيم المحلّى و الطواشى افتخار الدين فاخر، و هى عشرة خدّام طواشية و بعض عبيد حبوش و ست جوار و سيف بحلية ذهب مرصّع بعقيق و حياصة بعواميد عقيق مكلّلة بلؤلؤ كبار و وجه فرس عقيق و مرآة هندية محلّاة بفضّة قد رصعت بعقيق و براشم برسم الخيول عشرة و رماح عدّة مائتين و شطرنج عقيق أبيض و أحمر و أربع مراوح مصفّحة بذهب و مسك ألف مثقال و سبعون أوقية زباد و مائة مضرّب غالية و مائتان و ستة عشر رطلا من العود و ثلاثمائة و أربعون رطلا من اللّبان و ثلاثمائة و أربعة و ستون رطلا- من الصّيندل و أربعة برانى من الشّند و سبعمائة رطل من الحرير الخام و من البهار و الاقطاع و الصينى و غير ذلك من تحف اليمن؟؟؟ كثير.

ثم فى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى نقل الأمير جمال الدين محمود الأستادار إلى خزانة شمائل و هو مريض.

و فى سادس عشر جمادى الآخرة أنعم على الأمير بيسق الشّيخىّ بإمرة طبلخاناه.

ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش القزوينى باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير قديد عنها و نفيه إلى القدس بطّالا، و أنعم السلطان على الأمير شيخ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٦٨

المحمودى الساقى الظاهرى (أعنى عن الملك المؤيّد) بإمرة طبلخاناه، عوضا عن صرغتمش القزوينى المتولى نيابة الإسكندرية و أنعم بإقطاع شيخ المحمودى و هو إمرة عشرة على الأمير طغنجى نائب البيرة، و أنعم السلطان أيضا على يشبك العثمانى الظاهرى بإقطاع الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز.

ثم فى سادس عشرينه استقرّ الأمير يلبغا الأحمدى الظاهرى المعروف بالمجنون أستادار السلطان، عوضا عن قطلوبك العلائى و استقرّ قطلوبك على إمرة عشرين.

ثم فى يوم الاثنين ثامن محرم سنة ثمانمائة توجّه السلطان إلى سرحة سرياقوس بعساكره و حريمه على العادة فى كل سنة، فأقام به أياما على ما يأتى ذكره.

و فى ثانى عشر المحرم المذكور خرج الأمير بكتمر جلّق الظاهرى على البريد إلى حلب لإحضار الوالد- رحمه اللّه و عفا عنه- بعد عزله عن نيابة حلب و كتب بانتقال الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى نائب طرابلس إلى نيابة حلب عوضا عن الوالد، و خرج الأمير يشبك العثمانى بتقليد أرغون شاه المذكور، و رسم بانتقال الأمير آقبغا الجمالى الظاهرىّ من نيابة صفد إلى نيابة طرابلس عوضا عن أرغون شاه المذكور، و توجّه بتقليده الأمير أزدمر أخو إينال و معه أيضا خلعة للأمير تنم الحسنى باستمراره فى نيابة الشام، و رسم بانتقال الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على حاجب حجّاب دمشق إلى نيابة صفد عوضا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٦٩

عن آقبغا الجمالى المذكور، و حمل إليه التقليد و التشريف الأمير يلبغا الناصرى الظاهرى رأس نوبة.

ثم قدم فى هذه الأيام جماعة من سوابق الحاجّ و أخبروا أنه هلك بالسبع و عرات من شدّة الحر نحو ستمائة إنسان.

ثم عاد السلطان من سرحة سرياقوس فی خامس عشرينه و لم يخرج إليها بعد ذلك، و لا أحد من السلاطين و بطلت عوائدها و خرّبت تلك القصور، و كانت من أجمل عوائد الملوك و أحسنها، و كان النزول إلى سرياقوس يضاهي نزول السلطان إلى الميدان فالميادين أبطلها الملك الظاهر و سرياقوس أبطله الملك الناصر، ثم صار كل ملك يأتى بعد ذلك يبطل نوعا من نراتيب مصر، حتى

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۰

ذهب الآن جميع شعار الملوك السالفة و صار الفرق بين سلطنة مصر و نيابة الأبلستين اسم السلطنة و لبس الكلفتاة فى المواكب لا غير.

قلت: و الفرق بين براعة الاستهلال و بين براعة المقطع واضح.

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشرين المحرّم من سنة ثمانمائة المذكورة قبض السلطان فى وقت الخدمة بالقصر على الأمير الكبير كمشبغا الحمویّ أتابك العساكر بالديار المصرية و على الأمير بكلمش العلائیّ أمير سلاح، و قيّدا و حبسا بقلعة الجبل، يأتى ذكر السبب على قبضهما فى الوفيات، و فى هذه الترجمة- إن شاء اللّه تعالى-.

ثم نزل فى الحال الأمير قلمطاى الدوادار، و الأمير نوروز الحافظیّ رأس نوبة النّوب، و الأمير فارس حاجب الحجّاب إلى الأمير شيخ الصّفوى أمير مجلس و معهم خلعة له بنيابة غزّة، فلبسها شيخ المذكور و خرج من وقته و نزل بخانقاه سرياقوس.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۱

ثم فى ليلة الثلاثاء سلخه توجّه الأمير سودون الطيّار الظاهرى بالأتابك كمشبغا و بكلمش فى الحديد إلى سجن الإسكندرية فسجنا بها، و فى الغد استعفى الأمير شيخ الصّفویّ من نيابة غزّة و سأل الإقامة بالقدس فرسم له بذلك.

و فى يوم الخميس ثانى صفر استقرّ الأمير أيتمش البجاسیّ أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن كمشبغا الحموى و أنعم السلطان على أيتمش المذكور و على قلمطاى الدوادار، و على الأمير تنبك اليحياوى الأمير آخور بعدّة بلاد من إقطاع كمشبغا المذكور زيادة على ما بأيديهم و أنعم ببقيّة إقطاع كمشبغا على الأمير سودون المعروف بسيّدى سودون ابن أخت الملك الظاهر و جعله من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية و أنعم بإقطاع سيّدى سودون المذكور على ولد السلطان الأمير عبد العزيز ابن الملك الظاهر برقوق.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۲

ثمّ أنعم السلطان بإقطاع بكلمش العلائى على الأمير نوروز الحافظیّ رأس نوبة النّوب.

و أنعم بإقطاع نوروز المذكور على الأمير أرغون شاه البيدمریّ الظاهرى و أنعم بإقطاع أرغون شاه على الأمير يلبغا المجنون الأستادار و الجميع تقادم ألوف لكنّ التفاوت بينهم فى زيادة المغلّ و الخراج.

ثم عيّن السلطان الأمير شيخ الصفویّ أمير مجلس للوالد قبل قدومه إلى القاهرة من نيابة حلب.

ثم فى رابعه استقر الأمير باى خجا الشّرفى الأمير آخور المعروف بطيفور فى نيابة غزة.

ثم فى تاسع صفر استقر الأمير بيبرس ابن أخت السلطان أمير مجلس عوضا عن شيخ الصفوى المقدّم ذكره.

ثم فى سابع عشرين صفر أنعم السلطان على الأمير بهادر فطيس بإمرة طبلخاناه، عوضا عن طيفور بحكم انتقاله إلى نيابة غزّة، و استقر عوضه أيضا فى الأمير آخورية الثانية و أنعم بإقطاع بهادر فطيس المذكور، و هو إمرة عشرة على يلبغا السالمیّ الظاهرى.

و فى ليلة الجمعة ثانى شهر ربيع الأول عمل السلطان المولد النبویّ على العادة فى كلّ سنة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۳

قلت: نذكر صفة ما كان يعمل بالمولد قديما ليقتدى به من أراد تجديده فلمّا كان يوم الخميس المذكور، جلس السلطان بمخيّمه بالحوش السلطانى، و حضر القضاة و الأمراء و مشايخ العلم و الفقراء، فجلس الشيخ سراج الدين عمر البلقينى عن يمين السلطان، و

تحته الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زقّاعة، و جلس على يسار السلطان الشيخ المعتقد أبو عبد اللّه المغربى، ثم جلس القضاة يمينا و شمالا على مراتبهم، ثم حضر الأمراء فجلسوا على بعد من السلطان، و العساكر ميمنة و ميسرة فقرأت الفقهاء، فلمّا فرغ القرّاء و كانوا عدّة جوق كثيرة، قام الوعاظ واحدا بعد واحد، و هو يدفع لكل منهم صرّة فيها أربعمائة درهم فضة، و من كلّ أمير شقّة حرير خاصّ و عدّتهم عشرون واحدا.

و أنعم أيضا على القرّاء لكل جوقة بخمسمائة درهم فضة و كانوا أكثر من الوعّاظ، ثم مدّ سماط جليل يكون مقداره قدر عشرة أسمطة من الأسمطة الهائلة، فيه من الأطعمة الفاخرة ما يستحى من ذكره كثرة، بحيث إن بعض الفقراء أخذ صحنا فيه من خاصّ الأطعمة الفاخرة فوزن الصحن المذكور فزاد على ربع قنطار.

و لمّا انتهى السّماط مدّت أسمطة الحلوى من صدر المخيّم إلى آخره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۷۴

و عند فراغ ذلك مضى القضاة و الأعيان و بقى السلطان فى خواصّه و عنده فقراء الزوايا و الصوفية، فعند ذلك أقيم السّماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر و هو جالس عندهم و يده تملأ من الذهب، و تفرّغ لمن له رزق فيه و الخازندار يأتيه بكيس بعد كيس، حتى قيل: إنّه فرّق فى الفقراء و مشايخ الزوايا و الصوفية فى تلك الليلة أكثر من أربعة آلاف دينار.

هذا، و السّماط من الحلوى و الفاكهة يتداول مدّة بين يديه، فتأكله المماليك و الفقراء و تكرّر ذلك أكثر من عشرين مرّة.

ثم أصبح السلطان ففرّق فى مشايخ الزوايا القمح من الأهراء لكل واحد بحسب حاله و قدر فقرائه، كلّ ذلك خارج عمّا كان لهم من الرواتب عليه فى كلّ سنة حسب ما يأتى ذكر ذلك فى آخر ترجمة الملك الظاهر بعد وفاته.

ثم فى خامس عشر شهر ربيع الأوّل المذكور قدم الوالد إلى القاهرة معزولا عن نيابة حلب.

فنزل السلطان الملك الظاهر إلى لقائه، قال الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ- رحمه اللّه-: «و فى خامس عشر شهر ربيع الأوّل قدم الأمير تغرى بردى اليشبغاوى من حلب بتجمّل زائد عظيم إلى الغاية، فخرج السلطان و تلقّاه بالمطعم من الريدانية خارج القاهرة، و سار معه من غير خلعة، فلمّا قارب القلعة أمره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۷۵

بالتوجّه إلى حيث أنزله و بعث إليه بخمسة أفراس بقماش ذهب و خمس بقج فيها قماش مفصّل له مفرّى؟ انتهى كلام المقريزى.

قلت: و قوله: و عاد معه بغير خلعة هى العادة، فإنّه منفصل عن نيابة حلب و لم يعط إلى الآن وظيفة حتى يلبس خلعتها.

و فى سابع عشره قدّم الوالد تقدمته إلى السلطان، و كانت نيّفا و عشرين مملوكا و خمسة طواشية بيض من أجمل الناس، من جملتهم: خشقدم اليشبكى مقدّم المماليك السلطانية فى دولة الملك الأشرف برسباى، أنعم به الملك الظاهر على فارس الحاجب، ثم ملكه يتسبك الشعبانى بعده و أعتقه، و ثلاثين ألف دينار مصرية، و مائة و خمسة و عشرين فرسا، و عدّة جمال بخاتى تزيد على الثمانين، و أحمالا من البقج، فيها من أنواع الفرو و الشقق الحرير و أثواب الصوف و المخمّل زيادة على مائة بقجة، فآبتهج السلطان بذلك و قبله، و خلع على أصحاب وظائف الوالد، و نزلوا فى غاية الجبر.

حكى لى بعض أعيان الظاهرية، قال: لما رأى الملك الظاهر تقدمة والدك تعجّب غاية العجب من حسن سيرته و قلّة ظلمه بحلب، و مع هذا كيف قام بهذه التقدمة الهائلة مع كثرة مماليكه و خدمه.

و كان سبب عزل الوالد- رحمه اللّه- عن نيابة حلب، شكوى الأمير تنم الحسنى نائب الشام منه للملك الظاهر، و رماه بالعصيان و الخروج عن الطاعة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۷۶

و خبر ذلك: أن الوالد و تنم لمّا توجّها فى السنة الماضية إلى سيواس و غيرها بأمر الملك الظاهر و تلاقى الوالد مع تنم بظاهر حلب و

عادا جميعا إلى حلب و كلّ منهما سنجقه منتصب على رأسه، فعظم ذلك على تنم، كون العادة إذا حضر نائب الشام يصير هو رأس العساكر و ينزل نائب حلب سنجقه، فلمّا سارا و كلّ منهما سنجقه على رأسه، تكلّم سلحداريّة الوالد فى نزول السّنجق، فلم يفعل حامل السنجق، فخرجا من القول إلى الفعل، و تقاتل الفريقان بالدبابيس بسبب ذلك، و كادت الفتنة تقع بينهما، و الوالد بتجاهل عمّا هم فيه، حتى التفت تنم و نهى مماليكه عن القتال، و سار كلّ واحد و سنجقه على رأسه، حتى نزلا بمخيّمهما، فاستشهد تنم أمراء دمشق بما وقع من الوالد و مماليكه، و كتب للسلطان بذلك فلم يشكّ السلطان فى عصيانه، و كتب بعزله و طلبه إلى القاهرة.

و أما الوالد لمّا نزل بمخيّمه كلّمه بعض أعيان مماليكه فيما وقع، فقال الوالد:

أنا خرجت من مصر جنديّا حتى أنزل سنجقى، أشار بذلك أنه ولى نيابة حلب و هو رأس نوبة النوب، و أن تنم ولى أتابكية دمشق، و هو أمير عشرة بمصر قبل ولايته نيابة دمشق، ثم نقل من أتابكية دمشق إلى نيابتها، يعنى بذلك أن تنم لم تسبق له رياسة بمصر قبل ولايته نيابة دمشق، فلمّا بلغ تنم ذلك قامت قيامته. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٧٧

ثم أنعم السلطان على سودون بن زادة بإمرة عشرة، بعد موت الأمير طوغان الشاطر.

ثم نزل السلطان و عاد الأمير قلمطاى الدّوادار، ففرش قلمطاى تحت حوافر فرسه الشّقق الحرير، مشى عليها السلطان من باب داره حتى نزل بالقصر، فمشى من باب القصر على الشقق النخ المذهب حتى جلس، فقدّم إليه طبقا فيه عشرة آلاف دينار و خمسا و عشرين بقجة قماش، و تسعة و عشرين فرسا و مملوكا تركيا بديع الحسن، فقبل الملك الظاهر ذلك كله، و رجع إلى القلعة، و فى حال رجوعه قدم عليه الخبر بأن تيمور لنك سار من سمرقند إلى بلاد الهند و أنه ملك مدينة دلّى.

ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر جمادى الأولى خلع السلطان على قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطى باستقراره قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية، بعد موت شمس الدين محمد الطرابلسى، بعد ما شغر قضاء الحنفية بمصر مائة يوم و أحد عشر يوما، حتى طلب جمال الدين المذكور لها من حلب و قدم على البريد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٧٨

قلت: هكذا تكون ولاية القضاء.

ثم أنعم السلطان على الأمير علىّ باى بإمرة مائة و تقدمة ألف عوضا عن الأمير تنبك الأمير آخور بعد موته.

ثم بعد أيام أنعم على الأمير يشبك العثمانى بإمرة مائة و تقدمة ألف بعد موت الأمير قلمطاى العثمانى الدوادار، و أنعم على الأمير أسنبغا العلائى الدوادار الثانى بطبلخانات الأمير بكتمر الركنى، و كان بكتمر المذكور أخذ طبلخاناه الأمير علىّ باى المنتقل إلى تقدمة تنبك الأمير آخور.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج١٢؛ ص٧٨

ّ أنعم السلطان على آقباى الطّرنطائى بإمرة طبلخاناه، و على تنكزبغا الحططى بإمرة عشرين.

و فى يوم تاسع عشرين جمادى الأولى خلع السلطان على جماعة من الأمراء بعدة وظائف، فخلع على الوالد باستقراره أمير سلاح عوضا عن بكلمش العلائى، بعد ما شغرت أشهرا و على الأمير آقبغا الطولوتمرى الظاهرى المعروف باللّكّاش باستقراره أمير مجلس عوضا عن بيبرس ابن أخت السلطان، و على نوروز الحافظى رأس نوبة النوب باستقراره أمير آخور كبيرا، بعد موت الأمير تنبك و على الأمير بيبرس ابن أخت السلطان باستقراره دوادارا كبيرا، عوضا عن الأمير قلمطاى، بعد موته و على الأمير علىّ باى الخازندار باستقراره رأس نوبة النوب عوضا عن نوروز الحافظى و على يشبك الشعبانى باستقراره خازندارا عوضا عن علىّ باى المذكور.

ثمّ فى ليلة الجمعة ثامن شعبان أمسك السلطان الأمير علاء الدين علىّ بن الطبلاوى و أمسك أخاه ناصر الدين محمدا والى القاهرة و

جماعة من ألزامه و أوقع الحوطة على دورهم و تسلمه الأمير يلبغا الأحمدى المجنون الأستادار ليخلّص منه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۷۹

الأموال، فأخذه يلبغا و توجّه به إلى دار ابن الطبلاوى و أخذ منها مالا و قماشا بنحو مائة و ستين ألف دينار.

ثم أخذ منها أيضا بعد أيام ألفا و مائة قفّة فلوسا و صرفها ستمائة ألف درهم، و من الدراهم الفضّة خمسة و ثمانين ألف درهم فضة، و استمر علاء الدين فى المصادرة و خلع السلطان على الأمير الكبير أيتمش البجاسى باستقراره فى نظر البيمارستان المنصورى عوضا عن ابن الطّبلاوى المذكور و من يومئذ استمر نظر البيمارستان مع كلّ من يلى الأتابكية بمصر.

ثم بعد أيام طلب ابن الطّبلاوى الحضور بين يدى السلطان، فأذن له السلطان فى ذلك، فحضر فى الحديد، بعد أن عوقب أياما كثيرة، و طلب من السلطان أن يدنيه منه، فاستدناه، حتى بقى من السلطان على قدر ثلاثة ادرع، فقال له:

تكلّم، قال: أريد أن أسارّ السلطان فى أذنه، فلم يمكّنه من ذلك، فألّح عليه ابن الطبلاوى فى مسارّة السلطان فى أذنه، حتى استراب منه و أمر بإبعاده و استخلاص المال منه، فأخذه يلبغا و أخرجه من مجلس السلطان إلى باب النحاس من القلعة، فجلس ابن الطبلاوى هناك ليستريح فضرب نفسه بسكّين كانت معه ليقتل نفسه و جرح فى موضعين من بدنه، فمسكوه و منعوه من قتل نفسه و أخذوا السكين منه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۰

و بلغ السلطان ذلك، فلم يشكّ أنه أراد الدنوّ من السلطان حتى يقتله بتلك السكين التى كانت معه.

فلمّا فاته السلطان ضرب نفسه، فعند ذلك أمر السلطان بتشديد عقوبته فعاقبه يلبغا المجنون، فدلّ على خبيئة فيها ثلاثون ألف دينار، ثم أخرى فيها تسعون ألف دينار، ثم أخرى فيها عشرون ألف دينار و دام فى العقوبة، ثم نقله يلبغا المجنون إلى خزانة شمائل.

ثمّ فى خامس عشر شوال ختن السلطان الملك الظاهر ولديه. الأمير فرجا و الأمير عبد العزيز و ختن معهما عدّة من أولاد الأمراء المقتولين، منهم: ابن الأمير منطاش و غيره و أنعم عليهم بقماش و ذهب و عمل السلطان مهمّا عظيما بالقلعة للنساء فقط و لم يعمل للرجال، مخافة على الأمراء من الكلف.

و فى يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة عمل السلطان مهمّا عظيما بالميدان تحت القلعة، سببه: أنه لعب بالكرة مع الأمراء على العادة، فغلب السلطان الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۱

الكبير أيتمش البجاسى، فلزم أيتمش عمل مهمّ بمائتى ألف درهم فضة، كونه غلب، فقام عنه السلطان بذلك و ألزم السلطان الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى و الأمير يلبغا الأستادار و نصبت الخيم بالميدان و عمل المهم، و كان فيه من اللحم عشرون ألف رطل و مائتا زوج إوز و ألف طائر من الدّجاج و عشرون فرسا و ثلاثون قنطارا من السكر و ثلاثون قنطارا من الزبيب عملت أقسما و ستون إردبا دقيقا لعمل البوزا و عملت المسكرات فى دنان من الفخّار.

و نزل السلطان سحر يوم السبت المذكور، و فى عزمه أن يقيم نهاره مع الأمراء و المماليك، يعاقر الشراب، فأشار عليه بعض ثقاته بترك ذلك و خوّفه العاقبة، فمدّ السّماط و عاد إلى القصر، قبل طلوع الشمس، و أنعم على كلّ من الأمراء المقدّمين بفرس بقماش ذهب، و أذن السلطان للعامّة فى انتهاب ما بقى من الأكل و الشراب، قال المقريزى: «فكان يوما فى غاية القبح و الشّناعة أبيحت فيه المسكرات و تجاهر الناس فيه بالفواحش، بما لم يعهد مثله، و فطن أهل المعرفة بزوال الأمر، فكان كذلك، و من يومئذ انتهكت الحرمات بديار مصر و قلّ الاحتشام». انتهى كلام المقريزى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۲

ذكر وقعة علىّ باى مع السلطان الملك الظاهر برقوق

لمّا كان يوم السبت تاسع عشر ذى القعدة من سنة ثمانمائة أو فى النيل و قدم أيضا البريد بقتل سولى بن دلغادر أمير التّركمان، فركب السلطان بعد صلاة الظهر يريد المقياس ليخلّقه و يفتح خليج السّدّ على العادة، و معه جميع الأمراء إلّا الأمير عليّا باى الخازندار، فإنه كان انقطع بداره أياما و تمارض و فى باطن أمره أنه قصد الفتك بالسلطان، فإنّه علم أنه إذا نزل لفتح الخليج يدخل إليه و يعوده كما جرت به عادته مع الأمراء فدبّر علّى باى على السلطان و أخلى إسطبله من الخيل و داره من حريمه، و أعدّ قوما اختارهم من مماليكه، فتهيئوا لذلك فرآهم شخص كان يسكن بأعلى الكبش من المماليك اليلبغاويّة يسمى سودون الأعور، فركب إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۳

الملك الظاهر فى أثناء طريقه بعد تخليق المقياس و فتح خليج السدّ و أسرّ إليه أنه شاهد من سكنه مماليك علىّ باى و قد لبسوا آلة الحرب و وقفوا عند بوائك الخيل من إسطبله و ستروا البوائك بالأنخاخ ليخفى أمرهم، فقال له: السلطان اكتم ما معك، فلم يبد السلطان ذلك إلا لأكابر أمرائه.

ثم أمر السلطان الأمير أرسطاى رأس نوبة أن يتوجّه إلى دار علىّ باى و يعلمه أن السلطان يدخل إليه لعيادته، فتوجّه أرسطاى عادة و أعلم عليّا باى بذلك، فلمّا بلغ عليّا باى أن السلطان يعوده اطمأن و ظنّ أن حيلته تمّت و وقف أرسطاى على باب علىّ باى ينتظر قدوم السلطان، و عند ما بعث السلطان أرسطاى إلى علىّ باى أمر الجاويشية بالسكوت فسكتوا عن الصّياح أمام السلطان.

ثم أبعد السلطان العصائب السلطانية عنه و أيضا السّنجق الذى يحمل على رأس السلطان و تقدّم عنهم حتى صار بينه و بين العصائب مدى بعيدا من خلفه و سار السلطان كآحاد الأمراء و سار حتى وافى الكبش، و هو تجاه دار علىّ باى و الناس قد اجتمعوا للفرجة على موكب السلطان، فصاحت امرأة من أعلى الكبش على السلطان لا تدخل، فإنّهم قد لبسوا لقتالك، فحرّك السلطان فرسه و أسرع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۴

فى المشى و معه الأمراء و من ورائه المماليك الخاصّكيّة يريد القلعة، و كان باب علىّ باى مردود الدّرفتين، و ضبّته مطرقة ليمنع الناس من الدخول إليه، حتى يأتى السلطان، فلمّا مرّ السلطان و لم يعلم به من ندبه علىّ باى لرؤية السلطان و إعلامه به، حتى جاوزهم السلطان بما دبّره السلطان من المكيدة بتأخير العصائب السلطانية و السّنجق و الجاويشيّة و تقدّمه عنهم.

ثم بلغ عليّا باى أن السلطان فاته، فركب و بادر أحد أصحابه يريد فتح الضّبّة فأغلقها، و إلى أن يحضر مفتاح الضّبّة و يفتحونها، فاتهم السلطان و صار بينه و بينهم سدّ عظيم من الجمداريّة و الغلمان و غيرهم، فخرج علىّ باى و من معه من أصحابه لابسين السلاح، و عدّتهم نحو الأربعين فارسا يريدون السلطان، و قد ساق السلطان و معه الأمراء، حتى دخل باب السلسلة و امتنع به، فوقف على باى من معه تجاه باب السلسلة، فنزل إليه فى الحال طائفة من المماليك السلطانية لقتاله، فقاتلهم، و ثبت لهم ساعة حتى جرح من الفريقين جماعة و قتل من المماليك السلطانية بيسق المصارع.

ثم انهزم علىّ باى و تفرّق عنه أصحابه، و قد ارتجت مصر و القاهرة، و ركب يلبغا المجنون الأستادار و معه مماليك لابسين يريد القلعة، و أرجف الناس بقتل السلطان و اشتدّ خوف الرعيّة و تشعّب الذّعر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۵

ثم لبست المماليك السلطانية السلاح، و أتى السلطان من كان غائبا عنه من الأمراء و الخاصكيّة و تحلّقوه.

فعندما طلع يلبغا الأحمدىّ المجنون الأستادار إلى السلطان و ثب عليه الخاصكيّة، و اتّهموه بموافقة علىّ باى لكونه جاء هو و مماليكه فى أسرع وقت بآلة الحرب، فأخذه اللّكم من الخاصكيّة من كل جهة، و نزعوا ما عليه من السلاح، و ألقوه إلى الأرض ليذبحوه، لولا أن السلطان منعهم من ذلك، فلمّا كفّوا عن ذبحه سجنوه بالزّردخاناه السلطانية مقيّدا.

ثم قبض على نكباى شادّ شرابخاناه علىّ باى، و قطّع قطعا بالسيوف، فإنّه أصل هذه الفتنة.

و سبب رکوب علىّ باى على السلطان و خبره أن نکبای هذا کان تعرّض لجاریة من جواری الأمیر آقبای الطّرنطائی، و صار بینهما مشاکلة، فبلغ ذلک آقبای، فمسک نکبای المذکور و ضربه ضربا مبرّحا ثم أطلقه، فحنق علىّ بای من ذلک، و شکا آقبای للسلطان، فلم یلتفت السلطان إلیه، و أعرض عنه، و کان فی زعمه أن السلطان یغضب على أقبای بسبب مملوکه، فغضب علىّ بای من ذلک، و دبّر هذه الحیلة الباردة، فکان فی تدبیره تدمیره.

و بات السلطان تلک اللیلة بالإسطبل السلطانی، و نهبت العامّة بیت علىّ بای حتى إنهم لم یبقوا به شیئا.

و أما علىّ بای فإنه لما رأى أمره تلاشی ذهب و اختفى فی مستوقد حمّام فقبض علیه و حمل إلى السلطان، فقیّده و سجنه بقاعة الفضّة من القلعة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۶

فلما أصبح النهار و هو نهار الأحد و العشرین من ذی القعدة نزع العسکر السلاح و تفرّقوا، و طلع السلطان إلى القلعة من الإسطبل و أخذ علىّ بای و عصره، فلم یقر على أحد، و أحضر یلبغا المجنون فخلف علىّ بای أنه لم یوافقه و لا علم بشیء من خبره، و حلف یلبغا أنه لم یعلم بما وقع، و أنه کان مع الوزیر بمصر.

فلمّا أشیع برکوب علىّ بای لحق بداره، و لبس السلاح لیقاتل علیّا بای، فأفرج عنه السلطان و خلع علیه باستمراره على الأستاداریة و نزل إلى داره، فلم یجد بها شیئا، و جمیع ما کان فیها نهبته العامّة حتى سلبت جواریه و فرّت امرأته خوند بنت الملک الأشرف شعبان بن حسین، و أخذوا حتى رخام بیته و أبوابه، و تشعّثت داره و صارت خرابا، و الدار هی التی على برکة الناصری بیت سونجبغا الناصری الآن.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۷

ثم قدم البرید على السلطان من حلب بأن أولاد ابن بزدغان من الترکمان و الأمیر عثمان بن طر على المدعو قرایلک تقاتلوا مع القاضی برهان الدین أحمد صاحب سیواس، فقتل برهان الدین فی المعرکة و قام من بعده ابنه.

ثم فی یوم الاثنین حادی عشرین ذی القعدة جلس السلطان بدار العدل و عصر علیّا بای المذکور فلم یقر على أحد.

و بینما السلطان فی ذلک إذا بهجّة عظیمة قامت فی الناس، فلبس العسکر و وقفوا تحت القلعة؛ و قد غلقت أبواب القلعة، و أشیع أن یلبغا المجنون، و الأمیر آقبغا الطّولوتمری المعروف باللّکّاش أمیر مجلس خامرا على السلطان، و لم یکن الأمر کذلک و بلغ اللکاش ذلک، فرکب من وقته فطلع إلى القلعة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۸۸

و أمّا یلبغا المجنون فإنه کان فی بیت الأمیر فرج، فرکب فرج المذکور لیعلم السلطان بأنه کان فی داره بالقاهرة حتى یبرأ ممّا رمی به، و طلع فی الحال جمیع الأمراء، فأمر السلطان بقلع السلاح و نزول کلّ أحد إلى داره، و سکن الأمر و نودی بالأمان و الاطمئنان.

ثم فی لیلة الثلاثاء عذّب على بای أیضا بین یدی السلطان عذابا شدیدا، کسرت فیه رجلاه و رکبتاه و خسف صدره، فلم یقرّ على أحد، ثم أخذ إلى خارج و خنق، فتنکّرت الأمراء و کثر خوفهم من السلطان، خشیة أن یکون علىّ بای ذکر أحدا منهم من حرارة العقوبة، و من یومئذ فسد أمر السلطان مع ممالیکه الجراکسة، و دخل السلطان إلى زوجته خوند الکبرى أرد و کانت ترکیة الجنس، و کانت تحذره عن اقتناء الممالیک الجراکسة و تقول له: اجعل عسکرک أبلق من أربعة أجناس:

تتر و جارکس و روم و ترکمان، تستریح أنت و ذرّیتک، فقال لها: الذی کنت أشرت به علىّ هو الصواب، و لکن هذا کان مقدّرا و نرجو اللّه تعالى إصلاح الأمر من الیوم.

ثمّ فی یوم الثلاثاء أمر السلطان الأمیر یلبغا المجنون أن ینفق على الممالیک السلطانیة، فأعطى الأعیان منهم خمسمائة درهم، فلم یرضهم ذلک و کثرت الإشاعات الردیة و الإرجاف بوقوع فتنة و باتوا لیلة الخمیس على تخوّف، و لم تفتح الأسواق فی یوم الخمیس،

فنودی بالأمان و البیع و الشراء، و لا یتحدّث أحد فیما لا یعنیه.

ثمّ أنعم السلطان علی الأمیر أرسطای بتقدمة علیّ بای، و وظیفته رأس نوبة النّوب، و أنعم علی الأمیر تمان تمر الناصری بإقطاع أرسطای، و الإقطاع: إمرة طبلخاناه.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٨٩

ثم فی سادس عشرینه نزل الأمیر فارس حاجب الحجاب، و الأمیر تمربغا المنجکی أحد أمراء الألوف، و حاجب ثانی، و قبضا علی الأمیر یلبغا الأحمدی الظاهریّ المعروف بالمجنون الأستادار من داره، و بعثاه فی النّیل إلی ثغردمیاط و استقرّ عوضه أستادارا الأمیر ناصر الدین محمد بن سنقر بإمرة خمسین فارسا و أنعم السلطان علی الأمیر بکتمر جلّق الظاهری رأس نوبة بتقدمة ألف عوضا عن یلبغا المجنون.

و فی یوم السبت ثالث ذی الحجة خلع السلطان علی أمیرین باستقرارهما رءوس نوب صغارا و هما: طولو بن علی باشا الظاهری و سودون الظریف الظاهریّ.

و فی یوم الأحد رابع ذی الحجة سمّر السلطان أربعة نفر من ممالیک علیّ بای ثم وسّطوا.

ثم رسم السلطان بإحضار الأمیر بکلمش العلائیّ أمیر سلاح کان من سجنه بالإسکندریة و توجّه إلی القدس بطّالا علی ما کان للأمیر شیخ الصّفوی من المرتّب.

ثمّ استهلّ القرن التاسع: أعنی- سنة إحدی و ثمانمائة- و الخلیفة المتوکّل علی اللّه أبو عبد اللّه محمد العباسی و السلطان الملک الظاهر أبو سعید برقوق

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٩٠

ابن أنص الجارکسی الیلبغاویّ و القاضی الشافعیّ تقی الدین عبد الرحمن الزّبیری و القاضی الحنفی جمال الدین یوسف الملطیّ و القاضی المالکی ناصر الدین أحمد التّنسی و الحنبلیّ برهان الدین إبراهیم بن نصر اللّه، و الأمیر الکبیر أیتمش البجاسیّ، و أمیر سلاح تغری بردی بن یشبغا الظاهری (أعنی عن الوالد) و أمیر مجلس آقبغا اللکّاش الظاهری، و الأمیر آخور نوروز الحافظی الظاهری، و حاجب الحجاب فارس الظاهری و الدوادار بیبرس ابن أخت الملک الظاهر برقوق و رأس نوبة النّوب أرسطای.

و نوّاب البلاد صاحب مکة المشرفة الشریف حسن بن عجلان الحسنیّ المکّی و أمیر المدینة النبویة- علی ساکنها أفضل الصلاة و السلام- الشریف ثابت بن نعیر الحسینیّ،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٩١

و نائب الشام الأمیر تنبک الحسنی المعروف بتنم الظاهری، و نائب حلب أرغون شاه الإبراهیمی الظاهری، و نائب طرابلس یونس الظاهری المعروف بیونس بلطا، و نائب حماة آقبغا الجمالی، و نائب صفد شهاب الدین أحمد ابن الشیخ علی و نائب غزّة بیخجا المعروف بطیفور الظاهری، و نائب الإسکندریة صرغتمش القزوینی و جمیع من ذکرنا من النوّاب بالبلاد الشامیة و أصحاب الوظائف بالدیار المصریه هم ممالیک الظاهر برقوق و مشتروانه، ما خلا نائب صفد و هو أیضا نشؤه، و الأتابک أیتمش و قد اشتراه بعد سلطنته، حسبما تقدم ذکره أنه اشتراه من أولاد معتق أستاذه.

ثم فی یوم سابع عشر المحرم المذکور سمّر السلطان سبعة نفر من الممالیک یقال لأحدهم: آقبغا الفیل الظاهری و آخر من إخوة علیّ بای ظاهری أیضا و الباقی من ممالیک علیّ بای و شهّروا بالقاهرة، ثم وسّطوا.

و فیه أیضا تنکّر السلطان علی سودون الحمزاوی الخاصّکی الظاهری و ضربه ضربا مبرّحا و سجنه بخزانة شمائل مدّة، ثم أخرجه منفیّا إلی بلاد الشام لأمر اقتضی ذلک.

و فی هذا الشهر توعّک السلطان و حدث له إسهال مفرط لزم منه الفراش مدّة تزید علی عشرین یوما.

و رسم السلطان بتفرقة مال على الفقراء، ففرّق فيهم، فاجتمع تحت القلعة منهم عالم كثير و ازدحموا لأخذ الذهب، فمات فى الزّحام منهم سبعة و خمسون شخصا، ما بين رجل و امرأة و صغير، قاله المقريزى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۲

و فى يوم ثانى عشره رسم السلطان بجمع أهل الإسطبل السلطانى من الأمير آخورية و السلاخورية و نحوهم، فاجتمعوا و نزل السلطان من القصر إلى مقعده بالإصطبل السلطانى، و هو متوعّک البدن لعرضهم، و عرضهم حتى انقضى العرض، فأمسک جرباش الظاهرى أحد الأمير آخورية الأجناد و قال له بعد ذلک على ما ذا تريد قتلى و أنا أستاذک! فلم ينزعج جرباش المذكور و قال: بعد أن أشار بيده الى حياصته: أكون أنا لابس حياصة و هؤلاء أمراء، و أشار لمن حول السلطان من الأمراء من مماليكه، و هم الجميع أقلّ منى و بعدى شريتهم، فأشار السلطان بأخذه، فأخذ و سجن، فكان ذلک آخر العهد به.

ثم عرض السلطان الخيل و فرّق خيل السّباق على الأمراء، كما كانت العادة يوم ذلک.

ثم عرض الجمال البخاتى، كلّ ذلک تشاغل، و المقصود القبض على الأمير نوروز الحافظى الظاهرى الأمير آخور الكبير، ثم أظهر السلطان أنه تعب و اتّكأ على الأمير نوروز و مشى من الإسطبل متكئا عليه، حتى وصل إلى الباب الذى يطلع منه إلى القصر، فأدار السلطان يده على عنق نوروز المذكور، فبادر الخاصّكيّة إليه باللّكم حتى سقط إلى الأرض، ثم قبضوا عليه و حملوه مقيّدا إلى السجن، و دخل السلطان من الباب و طلع إلى القلعة، و كان للأمير نوروز ذنوب كثيرة: منها الممالأة لعلىّ باى، و معه أيضا الأمير آقبغا اللّكّاش، ثم تخاذل نوروز فى فتح باب السلسلة للسلطان يوم وقعة علىّ باى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۳

ثمّ بعد ذلک بلغ السلطان أن نوروز المذكور قصد الركوب عليه، فمنعته أصحابه، و أشاروا عليه أن يصبر حتى ينتظر ما يصير من أمر السلطان فى مرضه، فإن مات فقد حصل له القصد من غير تعب و لا شنعة، و إن تعافى من مرضه فليفعل عند ذلک ما شاء.

و كان ممن حضر هذه المشورة مملوک من خاصّكيّة الملک الظاهر، فلم يعجب نوروز ذلک، و قرّر مع أصحابه من الخاصّكيّة الذين وافقوه أنه إذا كان ليلة نوبتهم فى خدمة القصر و دخلوا مع السلطان فى القصر الصغير المعروف بالخرجة المطلّ على الإسطبل السلطانى يثبون عليه بمن اتفق معهم و يقتلون السلطان على فراشه، ثم يكسرون الثّريّة المعلقة بقناديلها الموقدة يكون ذلک إشارة بينهم و بين نوروز، بعد قتل السلطان، فيركب نوروز عند ذلک و يملک القلعة من غير قتال، فأخذ الخاصّكيّة يستميلون جماعة أخر من الخاصكيّة ليكثر جمعهم، و كان من جملة من استمالوه قانى باى الصغير الخاصكىّ و أظنه الذى ولى نيابة الشام فى دولة الملک المؤيّد شيخ، و اللّه أعلم. فأجابهما قانى باى بالسمع و الطاعة و حلف لهم على الموافاة، ثم فارقهم و دخل إلى السلطان من فوره و قعد لتكبيسه، فحكى له القصة بتمامها و كمالها، فاحترز الملک الظاهر على نفسه و دبّر على نوروز حتى قبض عليه.

ثم بعد مدة فى يوم السبت رابع صفر خلع السلطان على الأمير آقبغا اللّكّاش الظاهرىّ بنيابة الكرک و أخرج من ساعته و أذن له بالإقامة بخانقاه سرياقوس حتى يجهّز أمره، و وكّل به الأمير تنبک الكركى الخاصّكى و هو مسفّره.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۴

ثم فى ليلة الأحد أنزل الأمير نوروز الحافظى من القلعة مقيّدا إلى سجن الإسكندرية و مسفّره الأمير أردبغا الظاهرى أحد أمراء العشرات.

ثم قبض السلطان على قوزى الخاصّكى أحد من كان اتفق مع نوروز و سلّم إلى والى القاهرة.

ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير نوروز الحافظى على تمراز الناصرى، و صار من جملة مقدّمى الألوف بالديار المصرية، و أنعم على سودون الماردينىّ بإقطاع آقبغا اللّكّاش، و هو تقدمة ألف أيضا، و خلع على الأمير أرغون شاه البيدمرى الظاهرى باستقراره أمير مجلس، عوضا عن آقبغا اللكاش المذكور، و خلع على سودون المعروف بسيّدى سودون قريب الملک الظاهر برقوق باستقراره أمير

آخور عوضا عن نوروز الحافظیّ.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۵

و فی ثالث عشرین صفر أیضا أملی بعض الممالیک السلطانیة إلیه بالأطباق علی بعض فقهاء الأطباق أسماء جماعة من الأمراء و الممالیک، أنهم اتفقوا علی إقامة فتنة و القیام علی السلطان و کتبها و دخل بها المملوک علی السلطان، فلما قرئت الورقة علی السلطان، استدعی المذکورین و أخبرهم بما قیل عنهم، فخلفوا أن هذا شیء لم یسمعوه إلا الآن، و حلّوا أوساطهم و رموا سیوفهم، و قالوا یوسّطنا السلطان أو یخبرنا بمن قال هذا عنا، فأحضر السلطان المملوک و سلّمه إلیهم و ضربوه نحو الألف عصا، حتی أقرّ أنه اختلق هذا الکلام علیهم حنقا من واحد منهم، و سمّی شخصا کان خاصمه قبل ذلک.

ثم أحضر السلطان الفقیه الذی کتب الورقة و ضربه بالمقارع و سمر، ثم شفع فیه من القتل و حبس بخزانة شمائل.

و لما وصل الأمیر آقبغا اللکاش إلی غزة متوجّها إلی محل کفالته بمدینة الکرک، قبض علیه بها و أحیط علی سائر ما کان معه، و حمل إلی قلعة الصّبیبة فسجن بها.

ثم ورد الخبر علی السلطان فی صفر المذکور أن السکّة ضربت باسمه بمدینة ماردین، و خطب له بها و حملت له الدنانیر و الدراهم و علیها اسم السلطان.

ثم فی شهر ربیع الأول فی رابعه، ورد الخبر علی السلطان بموت الأمیر أرغون الإبراهیمی الظاهری نائب حلب، فرسم السلطان أن ینقل الأمیر آقبغا الجمالی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۶

الظاهری المعروف بالأطروش من نیابة طرابلس إلی نیابة حلب، و حمل إلیه التقلید و التشریف إینال بای بن قجماس، و رسم أیضا باستقرار یونس بلطا نائب حماة فی نیابة طرابلس عوضا عن آقبغا المذکور، و توجّه بتقلیده و تشریفه الأمیر یلبغا الناصری الظاهری، و رسم أن یستقر دمرداش المحمدی أتابک حلب فی نیابة حماة، و توجه بتقلیده الأمیر شیخ المحمودی الساقی رأس نوبة و هو الذی تسلطن

ثم خلع السلطان علی الأمیر سودون الظاهری المعروف بالظریف فی نیابة الکرک.

و فی خامس عشر شهر ربیع الأول أنعم السلطان علی الوالد بجمیع سرحة البحیرة و داخلها مدینة الإسکندریة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۷

ثم فی سلخ ربیع الأول المذکور أمسک السلطان الأمیر عزّ الدین أزدمر أخا إینال الیوسفی و أمسک معه ناصر الدین محمد بن إینال الیوسفیّ و نفیا إلی الشام.

ثم فی یوم الأربعاء أوّل شهر ربیع الآخر خلع السلطان علی الأمیر سرای تمرشلّق الناصری أحد أمراء الطبلخانات و رأس نوبة بدیار مصر باستقراره أتابک العساکر بحلب عوضا عن دمرداش المحمّدی المنتقل إلی نیابة حماة.

ثم فی عشرینه أنعم السلطان علی الأمیر علی بن إینال الیوسفی بخبز أخیه محمد، و أمیر علیّ هذا هو أستاذ الملک الظاهر جقمق الآتی ذکره، و به عرف بالعلائیّ.

و فیه أنعم السلطان علی کلّ من سودون من زادة الظاهری، و تغری بردی الجلبانی، و منکلی بغا الناصری، و بکتمر الظاهری، و أحمد بن عمر الحسنی بإمرة طبلخاناة بالدیار المصریة.

و أنعم أیضا علی کلّ من بشبای الظاهری، و تمربغا من باشاه، و شاهین من إسلام الأفرم الظاهریّ، و جوبان العثمانی الظاهری، و جکم من عوض الظاهری بإمرة عشرة.

ثم فی خامس عشرینه طلع إلی السلطان رجل عجمیّ، و هو جالس للحکم بین الناس و هیئته کهیئة الصوفیة، و جلس بجانب السلطان،

و مدّ يده إلى لحيته ليقبض عليها و سبّه سبّا قبيحا، فبادر إليه رءوس النّوب و أقاموه، و مرّوا به، و هو مستمرّ فى السبّ، فأمر به السلطان، فسلّم لوالى القاهرة، فأخذه الوالى و نزل به و عاقبه حتى مات تحت العقوبة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۸

ثم فى يوم الخميس سلخه خلع السلطان على تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج ابن نقولا الأرمنىّ الأسلمىّ والى قطيا باستقراره وزيرا عوضا عن الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى.

و فى رابع جمادى الأولى رسم السلطان بإحضار الأمير يلبغا الأحمدى المجنون من ثغردمياط.

ثم فى يوم الاثنين حادى عشر جمادى الأولى المذكور رسم السلطان باستدعاء رئيس الأطبّاء فتح الدين فتح اللّه بن معتصم بن نفيس الداودىّ التّبريزى و خلع عليه باستقراره فى كتابة السّر، بعد موت القاضى بدر الدين محمود الكلستانى، و كان نفيس جدّ فتح اللّه هذا يهوديّا من أولاد نبىّ اللّه داود عليه السلام.

و فى رابع عشرينه خلع السلطان على الأمير فرج الحلبى أستدار الذخيرة و الأملاک باستقراره فى نيابة الإسكندرية.

ثمّ فى يوم الاثنين ثامن شهر رجب رسم السلطان بانتقال الأمير جقمق الصّيفوى حاجب حجّاب حلب إلى نيابة ملطية بعد عزل دقماق المحمّدىّ الظاهرىّ و جهّز تقليده على يد مقبل الخازندار الظاهرى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۹۹

ثمّ فى حادى عشرين شهر رجب المذكور خلع السلطان على الشيخ تقى الدين المقريزى المؤرّخ باستقراره فى الحسبة بالقاهرة، عوضا عن شمس الدين البجاسىّ.

ثم فى خامس عشرينه أعيد قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى إلى قضاء الشافعيّة بالديار المصرية، بعد عزل قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن الزبيرىّ.

و فى هذه الأيام أعيد أيضا يلبغا المجنون إلى وظيفة الأستدارية، بعد عزل ناصر الدين محمد بن سنقر، و استقر ابن سنقر أستادار الذخيرة و الأملاک عوضا عن فرج المنتقل إلى نيابة الإسكندريّة.

ثم كتب السلطان للأمير تنم الحسنىّ نائب الشام بالقبض على الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على نائب صفد و على الأمير جلبان الكمشبغاوى الظاهرى المعروف بقراسقل أتابک دمشق، فورد مرسوم السلطان على تنم و هو بالغور فاستدعى نائب صفد المذكور و قبض عليه، ثم قبض على الأمير جلبان المذكور و بعث بهما إلى قلعة دمشق فسجنا بها.

و رسم السلطان بنقل الأمير ألطنبغا العثمانى الظاهرى من حجوبيّة دمشق إلى نيابة صفد، و نقل الأمير بيخجا الشرفى المعروف بطيفور نائب غزة منها إلى حجوبية دمشق، و نقل ألطنبغا الظاهرىّ نائب الكرک كان إلى نيابة غزة.

ثم فى تاسع شعبان خلع السلطان على كمال الدين عمر بن العديم باستقراره قاضى قضاة حلب بسفارة الوالد.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۰

ثم فى رابع عشرين شهر رمضان كتب السلطان بالإفراج عن الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ علىّ من محبسه بقلعة دمشق و استقراره أتابک العساكر بها، عوضا عن الأمير جلبان قراسقل.

ثم فى سابع عشرينه أخرج الأمير علاء الدين علىّ بن الطبلاوى من خزانة شمائل و سلّم للأمير يلبغا المجنون الأستادار.

ثم قدم الخبر على السلطان بموت الأمير الكبير كمشبغا الحموىّ بسجن الإسكندرية، فابتهج السلطان بموته، و رأى أنه قد تمّ له أمره، فإنه آخر من بقى من اليلبغاويّة الأمراء.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۰۱

و أصبح من الغد فى يوم الجمعة و هو أوّل شوّال، صلّى صلاة العيد بالميدان على العادة، ثم صلّى الجمعة بجامع القلعة فتفاءل الناس

بزوال السلطان، كونه خطب بمصر فى يوم واحد مرّتين.

قلت: و هذه القاعدة غير صحيحة، فإنّ ذلك وقع للملك الظاهر جقمق فى أوّل سنين سلطنته، ثم وقع ذلك فى سلطنة الملك الأشرف إينال.

ثم فى سادس شوّال أخرج ابن الطبلاوىّ علاء الدين منفيّا إلى الكرك و معه نقيب واحد.

و فى يوم الثلاثاء خامس شوّال من سنة إحدى و ثمانمائة، فيه كان ابتداء مرض السلطان الملك الظاهر برقوق و سببه أنّه ركب للعب الكرة بالميدان،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠٢

فلما فرغ منه قدم عليه عسل نخل ورد من كختا، فأكل منه و من لحم بلشون مشوىّ.

ثم دخل إلى مجلس أنسه و شرب مع ندمائه، فاستحال ذلك خلطا رديئا لزم منه الفراش من ليلته.

ثم أصبح و عليه حمّى شديدة الحرارة، ثم تنوّع مرضه، و أخذ فى الزيادة من اليوم الثالث و ليلة الرابع، و هو البحران الأوّل، فأنذر عن السابع إنذارا رديئا لشدّة الحمى و ضعف القوّة، حتى أيس منه، و أرجف بموته فى يوم السبت تاسعه، و استمرّ أمره فى الزيادة إلى يوم الأربعاء ثالث عشره، فقوى الإرجاف بموته، و غلّقت الأسواق، فركب الوالى و نادى بالأمان.

فلما أصبح يوم الخميس استدعى السلطان الخليفة المتوكل على اللّه و قضاة القضاة و سائر الأمراء و جميع أرباب الدولة، فحضر الجميع فى مجلس السلطان، فحدّثهم السلطان فى العهد لأولاده، و ابتدأ الخليفة بالحلف للأمير فرج ابن السلطان، و أنه هو السلطان بعد وفاة أبيه.

ثم حلف القضاة و الأمراء و جميع أرباب الدولة، و تولى تحليفهم كاتب السرّ فتح اللّه، فلما تمّ الحلف للأمير فرج، حلفوا أن يكون القائم بعد فرج أخوه عبد العزيز، و بعد عبد العزيز أخوهما إبراهيم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠٣

ثم كتبت وصيّة السلطان، فأوصى لزوجاته و سراريه و خدّامه بمائتى ألف دينار و عشرين ألف دينار، و أن يعمّر له تربة بالصحراء خارج باب النصر تجاه تربة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠۴

الأمير يونس الدّوادار بثمانين ألف دينار، و يشترى بما فضل عن عمارة التربة المذكورة عقار ليوقف عليها، و أن يدفن السلطان الملك الظاهر برقوق بها فى لحد تحت أرجل الفقراء: و هم الشيخ علاء الدين السيرامىّ الحنفىّ، و الشيخ أمين الدين الخلواتى الحنفىّ، و المعتقد عبد اللّه الجبرتىّ، و المعتقد طلحة، و الشيخ المعتقد أبو بكر البجائىّ، و المجذوب أحمد الزهورىّ، و قرّر أن يكون الأمير الكبير أيتمش هو القائم بعده بتدبير ابنه فرج، و أن يكون وصيّا على تركته و معه تغرى بردى بن بشبغا أمير السلاح، أعنى عن الوالد، و الأمير بيبرس الدوادار ابن أخت السلطان بعدهما، ثم الأمير قطلوبغا الكركىّ أحد أمراء العشرات، ثم الأمير يلبغا السالمىّ أحد أمراء العشرات أيضا، ثم سعد الدين إبراهيم بن غراب، و جعل الخليفة ناظرا على الجميع.

ثم انفضّ المجلس و نظر الأمراء بأسرهم فى خدمة الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ إلى منزله، فوعد الناس أنه يبطل المظالم و أخذ البراطيل على المناصب و الولايات.

و أكثر السلطان فى مرضه من الصدقات، فبلغ ما تصدّق به فى هذا المرض أربعة عشرة ألف دينار و تسعمائة دينار و تسعة و تسعين دينارا، و أخذ فى النزع من بعد الظهر إلى أن مات السلطان الملك الظاهر برقوق من ليلته بعد نصف الليل.

و هى ليلة الجمعة خامس عشر شوّال، و قد تجاوز ستّين سنة من العمر، بعد أن حكم على الديار المصرية و الممالك الشامية أميرا كبيرا مدبرا و سلطانا إحدى و عشرين سنة و سبعة و خمسين يوما، منها تحكّمه بديار مصر، بعد مسك الأمير الكبير طشتمر العلائىّ

الدوادار أربع سنين و تسعة أشهر و عشرة أيام، و كان يسمّى إذ ذاك بالأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠۵

الكبير نظام الملك، و منذ تسلطن سلطنته الأولى فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع و ثمانين و سبعمائة إلى أن خلع و اختفى فى واقعة الناصرى و منطاش فى سنة إحدى و تسعين و سبعمائة، ست سنين و ثمانية أشهر و سبعة عشر يوما، و تسلطن عوضه الملك المنصور حاجّىّ ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين، و دام مخلوعا محبوسا، ثم خارجا بالبلاد الشامية ثمانية أشهر و ستة عشر يوما، و أعيد إلى السلطنة ثانيا، فمن يوم أعيد إلى سلطنته ثانية إلى أن مات فى ليلة الجمعة المذكورة تسع سنين و ثمانية أشهر، و تسلطن من بعده ابنه الملك الناصر فرج و جلس على تخت الملك حسبما يأتى ذكره فى سلطنته.

ثم أخذ الأمراء فى تجهيز السلطان الظاهر برقوق- رحمه اللّه- و غسّل و كفّن، و صلّى عليه بالقلعة قاضى القضاة صدر الدين المناوى، و حمل نعشه سائر الأمراء على أعناقهم إلى تربته، فدفن بها- حيث أوصى- على قارعة الطريق، و لم يكن بذلك المكان يوم ذاك حائط، و دفن قبل صلاة الجمعة، و نزل أمام نعشه سائر الأمراء و أرباب الدولة مشاة يصيحون و يصرخون بالبكاء و العويل، و قد امتلأت طرق الصحراء بالجوارىّ و النساء السّبيات الحاسرات منشّرات الشعور من حرم مماليكه و حواشيه، فكان يوما فيه عبرة لمن اعتبر، و لم يعهد قبله أحد من ملوك مصر دفن نهارا غيره، و ضربت الخيام على قبره، و قرئ القرآن أياما، و مدّت لهم الأسمطة العامة الهائلة، و تردّدت أكابر الدول فى كل ليلة إلى قبره عدّة أيام و كثر أسف الناس عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠۶

قلت: و هو أوّل من ولى السلطنة من الجراكسة بالديار المصرية بعد الملك المظفّر بيبرس الجاشنكير، على خلاف فى بيبرس، و هو القائم بدولة الجراكسة، و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى أوّل ترجمته.

و خلّف من الأولاد ثلاثة ذكور: الملك الناصر فرجا، و أمه أمّ ولد رومية تسمّى: «شيرين» و هى بنت عمّ الوالد، و قيل: أخته، و ماتت فى سلطنة ابنها الملك الناصر فرج. و عبد العزيز، و أمّه أمّ ولد أيضا تركية الجنس، تسمّى قنق باى، ماتت فى سنة خمس و ثلاثين و ثمانمائة، و إبراهيم، و أمّه خوند بركة، ماتت فى أواخر دولة الملك الأشرف برسباى.

و خلّف أيضا ثلاث بنات: خوند سارة و أمّها أمّ ولد، تزوّجها الأمير نوروز الحافظىّ، ثم مقبل الرومىّ، و ماتت فى سنة ست عشر و ثمانمائة بطريق دمشق، رخوند بيرم و أمّها خوند هاجر بنت منكلى بغا الشمسىّ، تزوجها إينال باى بن قجماس، و ماتت بالطاعون فى سنة تسع عشرة و ثمانمائة و خوند زينب، و أمّها أمّ ولد، تزوجها الملك المؤيّد شيخ، ثم من بعده الأتابك قجق، و ماتت فى حدود سنة ثلاثين و ثمانمائة.

و خلّف فى الخزانة و غيرها من الذّهب العين ألف ألف دينار و أربعمائة ألف دينار، و من الغلال و القنود و الأعسال و السكّر و الثياب و أنواع الفرو ما قيمته أيضا ألف ألف دينار و أربعمائة ألف دينار.

و خلّف من الخيل نحو ستّة آلاف فرس، و من الجمال نحو خمسة آلاف جمل، و من البغال و حمير التراب عدّة كبيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠٧

و بلغت عدّة مماليكه المشتروات خمسة آلاف مملوك، و بلغت جوامك مماليكه فى كل شهر نحو أربعمائة ألف درهم فضة، و عليق خيولهم فى الشهر ثلاثة عشر ألف إردب شعير، و عليق خيوله بالإسطبل السلطانى و غيره، و جمال النّفر و أبقار السواقى و حمير التراب فى كل شهر أحد عشر ألف إردب من الشعير و الفول.

و كان ملكا جليلا حازما شهما شجاعا مقداما صارما فطنا عارفا بالأمور و الوقائع و الحروب، و مما يدل على فرط شجاعته وثوبه على الملك و هو من جملة أمراء الطبلخانات، و تملّكه الديار المصرية من تلك الشجعان، و ما وقع له مع الناصرىّ و منطاش عند خلعة من السلطنة كان خذلانا من اللّه تعالى (ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا)، و ما وقع له بعد خروجه من حبس الكرك، فهو من أكبر الأدلة على

شجاعته و إقدامه.

و كان- رحمه اللّه- سيوسا عاقلا ثبتا، و عنده شهامة عظيمة و رأى جيّد و مكر شديد و حدس صائب، و كان يتروّى فى الشيء المدّة الطويلة حتى يفعله، و يتأنّى فى أموره، مع طمع كان فيه و شره فى جمع المال، و كان يحب الاستكثار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠٨

من المماليك، و يقدّم جنس المماليك الجراكسة على غيره، ثم ندم على ذلك فى أواخر عمره، بعد فتنة علىّ باى.

و كان يحب اقتناء الخيول و الجمال، و كان يتصدّى للأحكام بنفسه و يباشر أحكام المملكة برأيه و تدبيره، فيصيب فى غالب أموره، على أنه كان كثير المشورة لأرباب التجارب، يأخذ رأيهم فيما يفعله، ثم يقيس رأيهم على حدسه، فيظهر له ما يفعله.

و كان يحب أهل الخير و الصلاح، و له اعتقاد جيّد فى الفقراء و الصلحاء، و كان يقوم للفقهاء و الصلحاء إذا دخل عليه أحد منهم، و لم يكن يعهد هذا من ملك كان قبله من ملوك مصر، على أنه صار يعض من الفقهاء فى سلطنته الثانية، من أجل أنهم أفتوا فى قتاله و قتله، لاسيما القاضى ناصر الدين ابن بنت ميلق، فإنه كان كثير الاعتقاد فيه، و مع شدّة حنقه عليهم كان لا يترك إكرامهم.

و كان كثير الصّدقات و المعروف، أوقف ناحية بهتيت على سحابة تسير مع الحج إلى مكة فى كلّ سنة، و معها جمال تحمل المشاة من الحاج و تصرف لهم ما يحتاجون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٠٩

إليه من الماء و الزاد ذهابا و إيابا، و وقف أيضا أرضا على قبور إخوة يوسف عليه السلام بالقرافة، و كان يذبح دائما فى طول أيام إمارته و سلطنته فى كلّ يوم من أيام شهر رمضان خمسا و عشرين بقرة، يتصدّق بها بعد ما أن تطبخ، و معها آلاف من أرغفة الخبز النّقى، تفرّق على أهل الجوامع و المساجد و الرّبط و أهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ، و ثلاثة أرغفة، و هذا، غير ما كان يفرّق فى الزوايا من اللحم أيضا، فإنه كان يعطى لكل زاوية خمسين رطلا من اللحم الضأن، و عدّة أرغفة فى كل يوم، و فيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم و كان يفرق فى كل سنة فى أهل العلم و الصلاح مائتى ألف درهم، الواحد إلى مائة دينار، و كان يفرّق فى فقراء القرافتين لكل فقير من دينار إلى أكثر و أقلّ، و يفرّق فى كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحا على أهل الخير و أرباب الصلاح.

و يبعث فى كل سنة إلى بلاد الحجاز ثلاثة آلاف إردب قمحا، تفرّق فى الحرمين و فرّق فى مدة الغلاء كلّ يوم أربعين إردبا؛ عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد من الجوع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١١٠

و كان غير هذا كلّه يبعث فى كل قليل بجملة من الذهب تفرّق فى الفقهاء و الفقراء، حتى إنه تصدّق مرة بخمسين ألف دينار مصرية على يد خازنداره العبد الصالح الطواشى صندل المنجكى الرومىّ.

و أبطل عدّة مكوس: منها ما كان يؤخذ من أهل شورى و بلطيم من البرلّس، و كانت شبه الجالية فى كل سنة. قلت: أعيد ذلك فى سلطنة الملك الظاهر جقمق.

و أبطل ما كان يؤخذ على القمح بثغردمياط عما تبتاعه الفقراء و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١١١

و أبطل مكس معمل الفراريج بال؟؟؟ ريرية و ما معها من بلاد الغربية، و أبطل مكس الملح بعينتاب، و مكس الدقيق بالبيرة، و أبطل من طرابلس ما كان مقرّرا على قضاة البرّ و ولاة الأعمال عند قدوم النائب إليها، و هو مبلغ خمسمائة درهم على كلّ منهم، أو بغلة بدل ذلك.

و أبطل ما كان يؤخذ على الدّريس و الحلفاء بباب النصر خارج القاهرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۲

و أبطل ضمان المغانى بمدينة الكرك و الشّوبك، و بمنية ابن خصيب، و أعمال الأشمونين و زفتة و منية غمر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۳

و أبطل رمى الأبقار بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضى مصر على البطّالين بالوجه البحرىّ.

و أنشأ بالقاهرة مدرسته التى لم يعمر مثلها ببين القصرين، و رتّب لها صوفية بعد العصر كلّ يوم، و جعل بها سبعة دروس لأهل العلم على المذاهب الأربعة أعظمهم بالإيوان القبلىّ الحنفى، ثم درسا للتفسير، و درسا للحديث، و درسا للقراءات. و أجرى على الجميع فى كلّ يوم الخبز و لحم الضّأن المطبوخ، و فى الشهر الحلوى و الزيت و الصابون و الدراهم، و وقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضى و الدّور و نحوها.

و عمّر جسرا على نهر الأردن بالغور فى طريق دمشق، طوله مائة و عشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا، و جدّد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية، و سور

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۴

دمنهور، و عمّر جبال الشرقية بالفيوم، و زاوية البرزخ بدمياط، و قناة العرّوب بالقدس، و بنى أيضا بركة بطريق الحجاز، و بركة أخرى برأس وادى بنى سالم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۵

و جدّد عمارة القناة التى تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل، و جدّد عمارة الميدان من تحت القلعة، بعد ما كان خرب، و سقاه و زرع به الفرط، و غرس فيه النخل، و عمر صهريجا و مكتبا يقرأ فيه أيتام المسلمين القرآن الكريم بقلعة الجبل، و جعل عليه وقفا، و عمّر أيضا بالقلعة طاحونا، و عمر أيضا سبيلا تجاه باب دار الضيافة تجاه القلعة.

و خطب له على منابر تبريز، عند ما أخذها قرا محمد التّركمانى، و ضربت الدنانير و الدراهم فيها باسمه و خطب له على منابر الموصل من العراق، و على منابر ماردين بديار بكر، و منابر سنجار، و خرب عساكره مدينة دوركى و أرزن كان من أرض الروم.

و كان نائبه بالديار المصرية الأمير سودون الفخرىّ الشيخونىّ إلى أن مات سودون المذكور، فلم يستنب الملك الظاهر أحدا بعده.

و كانت نوّابه بدمشق (أعنى الذين تولوا فى أيام سلطنته): الأمير بيدمر الخوارزمى، و إشقتمر الماردينىّ، و ألطنبغا الجوبانىّ غير مرة، و طرنطاى السيفىّ،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۱۶

و يلبغا الناصرى صاحب الوقعة معه، و بطا الطّولوتمرىّ الظاهرىّ المعروف بتنم، و مات الملك الظاهر و هو على نيابتها.

و نوّابه بحلب: يلبغا الناصرىّ غير مرّة، و سودون المظفّرىّ و كمشبغا الحموىّ و قرادمرداش الأحمدىّ و جلبان الكمشبغاوىّ الظاهرىّ قراسقل و تغرى بردى من بشبغا الظاهرىّ (أعنى الوالد) و أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرىّ و آقبغا الجمالى الظاهرىّ الأطروش، و مات السلطان و هو على نيابتها.

و نوّابه بطرابلس مأمور القلمطاوىّ اليلبغاوىّ و كمشبغا الحموىّ اليلبغاوىّ و أسندمر السيفىّ، و قرا دمرداش الأحمدىّ اليلبغاوىّ، و إينال بن خجا على، و إياس الجرجاوى، و دمرداش المحمدىّ الظاهرىّ، و أرغون شاه الإبراهيمىّ الظاهرىّ، و آقبغا الجمالىّ الظاهرىّ الأطروش، و يونس بلطا الظاهرىّ، و مات الملك الظاهر و هو على نيابتها.

و نوّابه بحماة: صنجق الحسنىّ، و سودون المظفّرىّ و سودون العلائىّ، و سودون العثمانىّ، و ناصر الدين محمد بن المهمندار، و مأمور القلمطاوىّ اليلبغاوىّ، و دمرداش المحمدىّ الظاهرىّ وليها مرّتين، و آقبغا السلطانىّ، و يونس بلطا الظاهرى، ثم دمرداش المحمدى، و مات برقوق و هو على نيابتها.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١١٧

و نوّابه بصفد: أركماس السيفىّ، و بتخاص السّودونىّ، و ارغون شاه الإبراهيمى الظاهرىّ و آقبغا الجمالىّ الأطروش الظاهرىّ، و أحمد ابن الشيخ علىّ، و ألطنبغا العثمانىّ الظاهرىّ، و مات الملك الظاهر و هو على نيابتها.

و نوّابه بالكرك: طغاى تمر القبلائى، و مأمور القلمطاوىّ، اليلبغاوى، و قديد القلمطاوىّ اليلبغاوىّ، و يونس القشتمرى، و أحمد ابن الشيخ على، و بتخّاص السّودونىّ، و محمد بن مبارك شاه المهندار، و ألطنبغا الحاجب، و سودون الظريف الظاهرىّ الشمسىّ، و مات السلطان و هو على نيابتها.

و نوّابه بغزّة: قطلوبغا الصّيفوىّ و آقبغا الصغير، و يلبغا القشتمرى، و ألطنبغا العثمانى الظاهرىّ، و بيخجا الشرفىّ المدعو طيفور، و ألطنبغا الحاجب، و مات الملك الظاهر و هو على نيابتها.

ذكر قضاته بالديار المصرية

فالشافعية: برهان الدين إبراهيم بن جماعة، و بدر الدين محمد بن أبى البقاء، و ناصر الدين محمد بن بنت ميلق، و عماد الدين أحمد المقيّرى الكركىّ. و صدر الدين محمد المناوى، و تقىّ الدين عبد الرحمن الزّبيرى، ثم المناوى ثالث مرة، و مات السلطان و هو قاض.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١١٨

و الحنفيّة: صدر الدين محمد بن منصور الدّمشقى، و شمس الدين محمد الطرابلسى و مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم، و جمال الدين محمود القيصرىّ العجمىّ، و جمال الدين يوسف الملطىّ و مات الملك الظاهر و هو قاض.

و المالكية: جمال الدين عبد الرحمن بن خير السّكندرىّ، ثمّ ولىّ الدّين عبد الرحمن بن خلدون، و شمس الدين محمد الرّكراكىّ المغربى، و شهاب الدين أحمد النحريرىّ، و ناصر الدين أحمد بن التّنسىّ، ثم ابن خلدون، و مات الملك الظاهر و هو قاض.

و الحنابلة: نصر الدين نصر اللّه العسقلانىّ، ثم ابنه برهان الدين إبراهيم، و مات السلطان و هو قاض.

و أما أصحاب وظائفه من أكابر أمراء مصر فلم يضبطهم أحد من مؤرّخى ملك العصر، و اكتفوا بذكرهم عند ولاية أحدهم أو عزله أو موته، إن كانوا فعلوا ذلك.

ذكر مباشرى دولته، أستاداريّته: بهادر المنجكىّ، ثم محمود بن على بن أصفر عينه. ثم قرقماس الطّشتمرىّ، ثم عمر بن محمد بن قايماز، ثم قطلوبک العلائى، ثم يلبغا الأحمدى المجنون، ثم محمد بن سنقر، ثم يلبغا المجنون، و مات السلطان و هو على وظيفته.

و وزراؤه بديار مصر: علم الدين عبد الوهاب المعروف بسنّ إبرة، و شمس الدين إبراهيم بن كاتب أرنان، و علم الدين عبد الوهاب بن كاتب سيّدى، و كريم الدين عبد الكريم بن الغنّام، و موفّق الدين أبو الفرج، و سعد الدين نصر اللّه بن البقرىّ، و ناصر الدين محمد بن الحسام، و ركن الدين عمر بن قايماز، و تاج الدين عبد الرحيم ابن أبى شاكر، و ناصر الدين محمد بن رجب بن كلبک، و مبارك شاه، و بدر الدين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١١٩

محمد بن الطّوخىّ، و تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، و مات السلطان و هو وزير.

و كتّاب سره: القاضى بدر الدين محمد بن فضل اللّه، و أوحد الدّين عبد الواحد، و علاء الدين على المقيّرى الكركىّ، ثم ابن فضل اللّه ثانيا، ثم بدر الدين محمود الكلستانىّ، و فتح الدّين فتح اللّه، و مات السلطان و هو كاتب سرّه.

و نظار جيشه: تقىّ الدين عبد الرحمن بن محبّ الدين، و موفّق الدين أبو الفرج و جمال الدين محمود القيصرىّ العجمىّ، و كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز، و شرف الدين محمد الدّمامينى، و سعد الدين إبراهيم بن غراب، و مات السلطان هو ناظر الجيش.

و نظّار خاصّه: سعد الدين نصر اللّه بن البقرىّ، و موفّق الدين أبو الفرج، و سعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين موسى كاتب السعدى،

و سعد الدين بن غراب، و مات السلطان و هو ناظر الجيش و الخاص معا، و اللّه تعالى أعلم.

السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر، و هى سنة اثنتين و تسعين و سبعمائة، على أن الملك المنصور حاجّى بن الملك الأشرف شعبان حكم منها ثمانية أشهر و سبعة أيام من يوم سلطنته إلى يوم طلوع الملك الظاهر برقوق إلى قلعة الجبل.

فيها توفّى الأمير سيف الدين آقبغا بن عبد اللّه الجوهرىّ اليلبغاوىّ، كان من أكابر اليلبغاويّة و تولّى الأستادارية و حجوبيّة الحجّاب كليهما بديار مصر، و وقع له

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۰

أمور، و هو أحد من أخرجه الملك الظاهر من حبس منطاش بالإسكندرية، و ندبه فيمن ندب من الأمراء لقتال منطاش، فقتل فى وقعة حمص عن بضع و خمسين سنة. و كان أميرا جليلا عارفا يذاكر بمسائل جيّدة فقهيّة و غيرها فى عدّة فنون مع حدّة مزاج.

و توفّى الأمير سيف الدين أردبغا بن عبد اللّه العثمانىّ اليلبغاوى أحد أمراء الطبلخانات قتيلا أيضا فى وقعة منطاش، و كان من كبار اليلبغاويّة.

و توفّى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه الجوبانىّ اليلبغاوى نائب الشام قتيلا فى واقعة منطاش، و قد تقدّم ذكر موته و كيفيّة قتله فى أوائل سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية، و كان من عظماء المماليك اليلبغاوية، ولّاه الملك الظاهر فى سلطنته الأولى أمير مجلس، ثم ولّاه نيابة الكرك، ثم نقله إلى نيابة الشام، ثم قبض عليه و حبسه إلى أن أخرجه الناصرىّ بعد خلع الملك الظاهر برقوق و حبسه، فولّاه الناصرىّ رأس نوبة الأمراء إلى أن أمسكه منطاش و حبسه بالإسكندرية ثانيا، حتى أخرجه الملك الظاهر برقوق فيمن أخرجه بعد عوده إلى سلطنة مصر، و ولّاه نيابة الشام، و ندبه لقتال منطاش فتوجّه و قاتله، و قتل فى الواقعة، و تولّى الناصرىّ نيابة الشام بعده، و مات الجوبانى و قد قارب الخمسين سنة من العمر، و كان حشما فخورا معظّما فى الدول متجمّلا فى مركبه و مماليكه و لبسه، و عنده سياسة و أدب و معرفة، رحمه اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۱

و توفّى الأمير سيف الدين قازان اليرقشى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و كان من حواشى الناصرى، قتل فى واقعة منطاش على حمص، و قبل أن يخرج منطاش بالملك المنصور من مصر لقتال الملك الظاهر برقوق لمّا خرج من سجن الكرك، أمر والى الفيّوم فى الباطن بقتل جماعة كبيرة من الأمراء ممن كان بحبس الفيوم، ثم سافر منطاش، و بعد سفره بأيّام قدم محضر مفتعل من كاشف الفيوم:

أنه لمّا كان يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الآخرة سقط على الأمراء المسجونين حائط سجنهم فماتوا جميعا، فعظم ذلك على الناس إلى الغاية، كونهم من أكابر الأمراء و أعيان الدولة، و هم: الأمير تنكز العثمانى اليلبغاوى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و كان من الشجعان، و تمان تمر الأشرفىّ نائب بهنسا و كان من أكابر المماليك الأشرفيّة، و هو من خشداشيّة منطاش، لكنه كان من حزب الناصرىّ، و تمرباى الحسنى الأشرفى حاجب الحجاب بالديار المصرية و من أجلّ المماليك الأشرفية، و هو حمو الوالد و كان من الشجعان، و جمق الكمشبغاوى أحد أعيان أمراء مصر و الشام، و كان من حزب الناصرى، و تمر الجركتمرىّ أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و كان من حزب الملك الظاهر برقوق، و قطلوبغا الأحمدىّ اليلبغاوىّ أحد أمراء العشرات بالقاهرة، و عيسى التّركمانى أحد أمراء الطبلخانات بمصر، و قد ولى عدّة أعمال، و قرابغا البو بكرى أمير مجلس و أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية، و قرقماش الطّشتمرىّ أستادار العالية و الخازندار، و الدوادار الكبير بالديار المصرية، تنقّل فى جميع هذه الوظائف و غيرها، و كان أوّلا من حزب

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۲

الظاهر، ثم صار من بعد خلعه من حزب يلبغا الناصرىّ، و يونس الإسعردى الرمّاح الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات لم يكن فى

المماليك الظاهريّة من يضاهيه فى حسن الشّكالة و لا فى لعب الرّمح، قتل الجميع فى يوم واحد حسب ما ذكرناه.

و توفّى الأمير سيف الدين مأمور بن عبد اللّه القلمطاوى اليلبغاوى فى واقعة حمص أيضا و كان ولى نيابة الكرك، و تقدمة ألف بديار مصر، و حجوبية الحجاب بها، ثم ولّاه الملك الظاهر فى سلطنته الثانية نيابة حماة، فقتل و هو على نيابة حماة، و كان من أجلّ المماليك اليلبغاوية و أعيان أمراء مصر، و هو زوج بنت أستاذه الأتابك يلبغا التى خدمت الملك الظاهر برقوقا لمّا حبس بالكرك.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح علىّ المغربل فى خامس جمادى الأولى، و دفن بزاويته خارج القاهرة بحكر الزرّاق و كان للناس فيه اعتقاد حسن و يقصد للزيارة.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح محمد الفاوىّ فى ثامن جمادى الأولى و دفن خارج باب النصر، و كان خيّرا معتقدا.

و توفّى الشيخ المقرئ شمس الدين محمد المعروف بالرفاء فى سابع جمادى الأولى.

و توفّى الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن إسماعيل الإفلاتىّ فى سادس جمادى الأولى.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و نصف، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا و إصبعان. و الوفاء حادى عشر مسرى. و اللّه تعالى أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٢٣

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٩٣]

السنة الثانية من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر و هى سنة ثلاث و تسعين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير الكبير الحاج آل ملك الجوكندار فى يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الآخرة.

و توفّى قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن مسلم بن سعيد ابن بدر القرشىّ الدمشقى الشافعى قاضى قضاة دمشق بخزانة شمائل، بعد عقوبات شديدة فى ليلة الأحد تاسع شهر رجب، و كان غير مشكور السّيرة، مسرفا على نفسه، و هو ممن قام على الملك الظاهر برقوق بدمشق، و حرّض العامّة على قتاله و قد مرّ من ذكره ما فيه غنية عن ذكره ثانيا.

و توفّى الأمير حسام الدين حسين بن علىّ بن الكورانىّ أحد أمراء الطبلخانات و والى القاهرة مخنوقا بخزانة شمائل بعد عقوبات كثيرة، فى عاشر شعبان، و كان غير مشكور السيرة و فيه ظلم و جبروت، قتل من الزّعر فى أيام ولايته خلائق لا تدخل تحت حصر.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة جلال الدين جلال بن رسول بن أحمد بن يوسف العجمىّ الثّيرىّ التّبانىّ الحنفىّ خارج القاهرة فى يوم الجمعة ثالث [عشر]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٢۴

شهر رجب، و التّبانىّ نسبة إلى سكنه، موضع خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير، يقال له: التبانة، و كان إماما عالما بفنون كثيرة، أفتى و أقرأ و درّس عدّة سنين، و عرض عليه قضاء مصر فامتنع عفّة منه. و له مصنفات كثيرة: منها «شرح المنار» فى أصول الفقه، و «شرح مختصر ابن الحاجب» و خرّج أيضا «مختصر التلويح فى شرح الجامع الصحيح» للحافظ مغلطاى، و له «منظومة فى الفقه»، و شرحها فى أربع مجلدات، و له «مختصر فى ترجيح الإمام أبى حنيفة»، و له تعليق على البزدوى و لم يكمله، و شرح كتبا كثيرة غير ذلك، و أصله من بلدة بالروم يقال لها: ثيرة بكسر (الثاء المثلثة) و سكون الياء آخر الحروف.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح على الروبىّ فى رابع ذى الحجة، و كان للناس فيه اعتقاد و يقصد للزيارة للتبرك به.

و توفّى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن يوسف الرّكراكىّ المالكىّ قاضى قضاة الديار المصرية و هو قاض بحمص، فى رابع عشر شوّال، و قد تجرّد صحبة السلطان، و كان عالما ديّنا مشكور السّيرة.

و توفّى شيخ الخانقاه الصلاحيّة سعيد السعداء شهاب الدين أحمد بن الأنصارى الشافعى فى عاشر ذى القعدة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۵

و توفّی قاضی قضاة الحنابلة بدمشق الشیخ شرف الدین عبد القادر بن شمس الدین محمد بن عبد القادر الحنبلی النابلسی الدمشقی فی عید الأضحی بدمشق، و كان فقیها فاضلا، أفتی و درّس.

و توفّی القاضی فتح الدین أبو بكر محمد ابن القاضی عماد الدین أبی إسحاق إبراهیم ابن محمد بن إسحاق بن إبراهیم بن أبی الكرم محمد الدّمشقی الشافعی المعروف بابن الشّهید كاتب سرّ دمشق قتیلا بخزانة شمائل، فی لیلة الثلاثاء تاسع عشرین شعبان، و كان ممن خرج علی الملک الظاهر برقوق و وافق منطاشا، و حرّض علی قتال برقوق، و قد مرّ من ذكره نبذة كبیرة عند حضوره إلی القاهرة مع جنتمر نائب دمشق و ابن القرشی قاضی دمشق و غیرهما، و كان فتح الدین رئیسا فاضلا بارعا فی الأدب و الترسّل، مشاركا فی فنون كثیرة، ماهرا فی التفسیر، ملیح الخطّ، و له مصنفات، منها: أنه نظم السّیرة النبویة لابن هشام، فی مسطور مرجّز، و جملتها خمسون ألف بیت، و لمّا ولی كتابة سرّ دمشق، قال فیه بدر الدین ابن حبیب: (السریع)

كتابة السرّ علا قدرها بابن الشهید الألمعیّ الأدیب

و كیف لا تعلو و قد جاءها (نصر من اللّه و فتح قریب)

و من شعر القاضی فتح الدین هذا- رحمه اللّه- قوله: (الوافر)

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۶

مدیر الكأس حدّثنا و دعنا بعیشک عن كؤوسک و الحثیث

حدیثک عن قدیم الراح یغنی فلا تسق الأنام سوی الحدیث

و له: (الكامل)

قاسوا حماة بجلّق فأجبتهم هذا قیاس باطل و حیاتكم

فعروس جامع جلّق ما مثلها شتان بین عروسنا و حماتكم

و له فی عین بعلبک - رحمه اللّه- (الكامل)

و لقد أتیت لبعلبکّ فشاقنی عین بها روض النعیم منعّم

فلأهلها من أجلها أنا مكرم و لأجل عین ألف عین تكرم

و توفی الأمیر الكبیر یلبغا بن عبد اللّه الناصریّ الیلبغاویّ قتیلا- بقلعة حلب، و هو صاحب الوقعة مع الملک الظاهر برقوق التی خلع الملک الظاهر فیها من الملک و حبس بالكرک، و كان أصله من أكابر ممالیک یلبغا العمری أستاذ برقوق، و تولّی فی أیام أستاذه یلبغا إمرة طبلخاناه، ثم صار أمیر مائة و مقدّم ألف بالقاهرة فی دوله الملک الأشرف شعبان، و كان معه فی العقبة، ثم ملک باب السلسلة من الإسطبل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۲۷

السلطانیّ، كلّ ذلک و برقوق لم یتأمّر إلّا من نحو شهر واحد، ثم وقع له أمور و حبس و نفی إلی البلاد الشامیة علی إمرة مائة و تقدمة ألف بدمشق حتی ولی نیابة حلب عن المنصور علیّ، ثم عن أخیه، ثم عن الملک الظاهر برقوق، ثم أطلقه و ولّاه نیابة حلب ثانیا، فعصی بعد مدّة و وافق منطاش، و قهر الظاهر برقوقا و خلعه من السلطنة و حبسه بالكرک و رشّح إلی سلطنة مصر، فامتنع غایة الامتناع و سلطن الملک الصالح حاجیّا ثانیا و لقبّه بالمنصور، و صار هو مدبّر مملكته، و حكم مصر إلی أن خرج علیه منطاش و كسره و قبض علیه و حبسه بسجن الإسكندریة، إلی أن أفرج عنه الملک الظاهر برقوق لما خرج من حبس الكرک و كسر منطاش و تسلطن ثانیا، فأخرجه و لم یؤاخذه، و ندبه لقتال منطاش ثم ولّاه نیابة الشام بعد قتل الجوبانی ثم قبض علیه فی هذه السنة، و قتله بقلعة حلب لیلته هو و كشلی أمیر آخوره و الأمیر محمد بن المهمندار نائب حماة، و قد تقدّم ذلک كله مفصلا فی ترجمة الملک الظاهر برقوق الأولی و

الثانية، و ترجمة المنصور حاجّى، فإنه كان فى الحقيقة هو السلطان، و حاجى له الاسم لا غير، فيكتفى بما وقع من ذكره هناك، و لا حاجة للإعادة هنا.

و كان يلبغا الناصرىّ من أجلّ الملوك عفّة و صيانة، ولى مصر و خلع الملك الظّاهر، و ولى الملك المنصور، و لم يقتل أحدا صبرا غير واحد يسمّى سودون من مماليك الظاهر، و يكفيه من عفته عن سفك الدماء عدم قتله للملك الظاهر برقوق بعد أن أشار عليه جميع أصحابه بقتله و كان مذهبى فيه أنّ الملك الظاهر برقوقا لا يقتله

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۱۲۸

أبدا، بل إذا ظهر منه ما يخيفه يحبسه إلى أن يموت مراعاة لما سبق له من المنّ عليه لمّا خلعه من الملك و السلطنة و حبسه و لم يقتله. انتهى.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۴]

السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر برقوق «الثانية على مصر»، و هى سنة أربع و تسعين و سبعمائة. و فيها توفّى الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على الدّنيسرىّ المعروف بابن العطار الشاعر المشهور فى سادس عشر شهر ربيع الآخر، و قد مرّ من شعره نبذة كثيرة فى عدّة مواطن، و من نظمه المشهور فى الأقباط قوله: (السريع)

قالوا ترى الأقباط قد رزقوا حظا واضحوا كالسلاطين

و تملّكوا الأتراك قلت لهم: رزق الكلاب على المجانين

و توفّى الأمير الكبير إينال بن عبد اللّه اليوسفىّ اليلبغاوىّ أتابك العساكر بالديار المصرية بها فى رابع عشرين جمادى الآخرة، و تولّى الأتابكية من بعده الأمير كمشبغا الحموى اليلبغاوى، على أن كمشبغا كان يجلس فى الخدمة تحت إينال المذكور، و كان إينال شجاعا مقداما، و قد تقدم ركوبه على الملك الظاهر برقوق قبل سلطنته و القبض عليه و حبسه مدّة إلى أن أخرجه برقوق إلى بلاد الشام و صار بها أميرا، ثم نقله إلى عدّة ولايات إلى أن ولّاه نيابة حلب، ثم عزله فى سلطنته الأولى عن نيابة حلب، و جعله أتابك دمشق، ثم ولّاه نيابة حلب بعد عصيان الناصرىّ، فلم يتم له ذلك، و خرج إينال أيضا على الظاهر، و وافق الناصرىّ، فلمّا ملك الناصرىّ مصر ولّاه نيابة صفد، و وقع له أمور حتى ولّاه الملك الظاهر برقوق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۱۲۹

أتابكية العساكر بالديار المصرية فى سلطنته الثانية، فدام على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المذكور، و قد تقدّم ذكر إينال هذا فى عدّة تراجم من هذا الكتاب، فيها كفاية عن التعريف بحاله.

و توفّى الأمير سيف الدين بطا بن عبد اللّه الطولوتمرىّ الظاهرىّ نائب الشام بها، بعد أن ولى نيابة الشام أياما قليلة، فى حادى عشرين المحرم؛ و قد ذكرنا أمر بطا هذا فى أواخر ترجمة الملك المنصور، و كيفية خروجه من سجن القلعة؛ و كيف ملك باب السلسلة من صراى تمر نائب غيبة منطاش، و إقامته بباب السلسلة إلى أن قدم أستاذه الملك الظاهر برقوق إلى الديار المصرية، و ولّاه الدوادارية الكبرى، ثم ولاه نيابة دمشق بعد القبض على الأتابك يلبغا الناصرى، فلم تطل أيامه، و مات، و كان من أعيان المماليك الظاهرية، و اتّهم الملك الظاهر فى أمره أنه اغتاله بالسم، و اللّه أعلم.

و توفّى الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد اللّه الناصرىّ بطّالا ملازما لبيته فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل، و كان قديم هجرة فى الأمراء، تأمّر فى دولة الناصر حسن، ثم أنعم عليه الملك الأشرف شعبان بإمرة مائة، و تقدمة ألف بالديار المصرية، ثم جعله رأس نوبة النّوب، بعد واقعة أسندمر الناصرى، ثم نقل إلى إمرة مجلس، ثم صار أستادارا كبيرا فى سنة إحدى و سبعين و سبعمائة عوضا عن علم دار المحمدى، ثم أخرج إلى نيابة صفد فى السنة المذكورة، ثم عزل و أحضر إلى القاهرة و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف بها، ثم

ولی حجوبیة الحجّاب بالدّیار المصریة مدّة سنین، ثم تعطّل و لزم داره حتی مات.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۰

و توفی الأمیر سیف الدین سودون بن عبد اللّه الطولوتمری نائب دمشق بها فی شعبان، و کان ولی نیابة دمشق بعد موت الأمیر بطا المقدّم ذکره، فحکم بدمشق و مات، و تولی بعده نیابة دمشق الأمیر کمشبغا الأشرفی الخاصّکیّ أمیر مجلس.

متوفّی الشیخ المعتقد المجذوب طلحة المغربیّ فی رابع عشر شوال بمدینة مصر، و کانت جنازته مشهودة، و دفن خارج باب النصر من القاهرة، و هو أحد من أوصی الملک الظاهر برقوق أن یدفن تحت أرجلهم من الصالحین و العلماء، فدفن هناک، ثم عمّرت التربة الناصریة الموجودة الآن، و کان للناس فیه اعتقاد کبیر، لاسیما الملک الظاهر برقوق.

و توفی الشیخ الإمام العالم العلامة عز الدین یوسف بن محمود بن محمد الرازی الحنفی العجمی، المعروف بالأصم، شیخ خانقاه الملک المظفر رکن الدین بیبرس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۱

الجاشنکیر، ثم شیخ الخانقاه الشیخونیة فی ثالث عشرین المحرم، و قد أناف علی السبعین سنة، و کان من العلماء.

و توفی الأدیب الوزیر فخر الدین أبو الفرج عبد الرحمن، و قیل عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن إبراهیم القبطی الحنفی الشهیر بابن مکانس وزیر دمشق، و ناظر الدولة بالدیار المصریة، و الشاعر المشهور بالقاهرة فی خامس ذی الحجة، و کان أدیبا فاضلا شاعرا فصیحا بلیغا لا یعرف فی أبناء جنسه الأقباط من یقاربه و لا یدانیه، و هو أحد فحول الشعراء بالدیار المصریة فی عصره، و شعره فی غایة الحسن و الرّقة و الانسجام، و دیوان شعره مشهور کثیر الوقوع بأیدی الناس، و قد استوعبنا من شعره أشیاء کثیرة فی کتابنا (المنهل الصافی)، إذ هو کتاب تراجم، نذکر هنا بعضها، و من شعره و قد صادره الملک الظاهر برقوق، فقال: [الرمل]

ربّ خذ بالعدل قوما أهل ظلم متوالی

کلّفونی بیع خیلی برخیص و بغالی

و لما علّقه الملک الظاهر برقوق فی مصادرته منکسا علی رأسه قال: [البسیط]

و ما تعلقت بالسّریاق منتکسا لجرمة أوجبت تعذیب ناسوتی

لکننی مذ نفثت السّحر من أدبی علّقت تعلیق هاروت و ماروت

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۲

و له- عفا اللّه عنه-: [الکامل]

زارت معطرة الشذا ملفوفة کی تختفی فأبی شذا العطر

یا معشر الأدباء هذا وقتکم فتناظموا فی اللّفّ و النّشر

و له- سامحه اللّه تعالی-: [الوافر]

یقول معذّبی إذ همت وجدا بخدّ خلت فیه الشّعر نملا

أتعرف خدّه للعشق أهلا فقلت لهم نعم أهلا و سهلا

و توفّی القاضی علاء الدین علیّ بن عیسی بن موسی بن عیسی بن سلیم بن حمید الأزرقی المقیّری الکرکیّ الشافعی کاتب سرّ الکرک ثم الدیار المصریة فی أوّل شهر ربیع الاوّل، و دفن خارج باب النصر، و هو أحد من قام بنصرة الملک الظاهر عند خروجه من حبس الکرک، و قد تقدّم ذکر ذلک فی ترجمة الملک الظاهر برقوق، فعرف له برقوق ذلک، و ولّاه کتابة سرّ مصر، و ولی أخاه القاضی عماد الدین قضاء الدیار المصریة، و استمرّ علاء الدین هذا فی وظیفته کتابة السر إلی أن مرض و مات، و أعید بدر الدین بن فضل اللّه من بعده فی وظیفة کتابة السرّ.

و توفّی القاضی علاء الـدین علیّ بن عبد اللّه بن یوسف البیریّ الحلبیّ الشاعر الکاتب المنشئ فی رابع عشر شهر ربیع الأوّل مخنوقا بأمر الملک برقوق، و کان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۳

بارعا فی الإنشاء و الأدب، و خدم جماعة من الملوک إلی أن اتصل بخدمة الأتابک یلبغا الناصری، و سار صحبته إلی الدیار المصریة لقتال الملک الظاهر برقوق.

و لمّا ملک الناصریّ دیار مصر صار علاء الـدین هـذا من عظماء مصر، و لا زال علی ذلک حتی قبض علی الناصریّ و حبس بالإسکندریة، فاستمر علاء الدین بمصر، فلمّا عاد الظاهر إلی ملکه و أخرج الناصریّ، عاد علاء الدین هذا إلی خدمته، إلی أن قبض علیه الملک الظاهر و قتله، و أمسک علاء الـدین هـذا و حمل إلی القاهرة فی الحدید، ثم قتل، و کان بارعا أدیبا شاعرا، و من شعره: [الطویل]

أری البدر لمّا أن دنا لغروبه و ألبس منه أزرق الماء أبیضا

توهّم أن البحر رام التقامه فسلّ له سیفا علیه مفضّضا

و توفّی الأمیر عنقاء بن شطّی ملک العرب و أمیر آل مرا، کان قـد خرج عن طاعة الملک الظاهر، و قتل الأمیر یونس الدّوادار، و وافق الناصریّ و منطاشا، فلمّا عاد الملک الظاهر إلی ملکه لم یزل یرسل إلیه الفداویّة و یعد الناس فی قتله حتی قتلته الفداویّة فی هذه السنة فی رابع المحرم.

و توفی الأمیر سیف الدین قطلوبغا بن عبد اللّه الصّفوی، کان أحد أمراء الألوف بالدیار المصریة، و حاجب الحجّاب بها فی أوّل شهر ربیع الآخرة.

و توفّی الأمیر سیف الدین قطلوبک بن عبد اللّه السیفی طشتمر الدوادار، کان أحد أمراء العشرات مات فی عاشر صفر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۴

و توفّی الشیخ بدر الدین محمد بن عبد اللّه المنهاجیّ الفقیه الشافعی المعروف بالزّرکشیّ المصنّف المشهور فی ثالث رجب و کان فقیها مصنّفا.

و توفّی الشیخ الصالح المعتقد أبو عبد اللّه محمد الزّرکاکیّ المغربیّ المالکیّ فی ثالث جمادی الأولی، و قد قارب مائة سنة.

و توفّی الأمیر الوزیر ناصر الـدین محمد بن الأمیر حسام الدین لاچین الصقریّ المنجکیّ المعروف بابن الحسام فی ثانی عشر صفر، بعد مرض طویل، بعد أن ولی الوظائف الجلیلة مثل وزر مصر و الأستاداریة و غیرهما.

و توفی القاضی جمال الـدین محمود ابن القاضی حافظ الـدین محمـد بن تاج الـدین إبراهیم القیصریّ الحنفیّ قاضی قضاة الحنفیة بحلب.

و توفی الأمیر سیف الـدین قرا دمرداش بن عبـد اللّه الأحمـدی الیلبغاویّ مقتولا فی محبسه بقلعة الجبل فی ذی الحجة، و هو أیضا من أعیان الممالیک الیلبغاویّة، و کان من جملة أمراء الألوف بالدیار المصریة، و أمیر سلاح فی سلطنة الظاهر الأولی، فلمّا انتصر الناصریّ علی عسکر الملک الظاهر برقوق بدمشق، و قبض الناصریّ علی الأتابک أیتمش البجاسیّ، خلع الملک الظاهر علی قرا دمرداش هذا باستقراره عوضه أتابک العساکر بالدیار المصریة، و أنعم علیه بثلاثین ألف دینار، فأخذها و عصی من لیلته، و توجّه إلی الناصریّ، و صار من جملة عساکره، فلمّا ملک الناصریّ الدیار المصریة استقرّ به أمیر مجلس إلی أن أمسک منطاشا مع من

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۳۵

أمسک من حواشی الناصریّ، و حبسه إلی أن أطلقه الملک الظاهر برقوق، و ولّاه نیابة طرابلس، ثم نقله إلی نیابة حلب و ندبه لقتال منطاش فدأم علی نیابة حلب إلی أن عزله عنها الملک الظاهر، بعد أن أمسک الناصریّ و أنعم علیه بتقدمة ألف بدیار مصر، ثم قبض

عليه بمصر و حبسه ثم قتله.

و توفّى الشيخ المحدّث المسند بدر الدين محمد بن محمد بن مجير المعروف بابن الصائغ و ابن المشارف فى ثالث شهر ربيع الآخر.

- أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبعة أذرع و عشرون إصبعا، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۵]

السنة الرابعة من ولاية الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر و هى سنة خمس و تسعين و سبعمائة.

و فيها توفى الأديب الشاعر زين الدين أبو بكر بن عثمان بن العجميّ فى سادس عشر ذى الحجّة، و كان عنده فضيلة، و له شعر جيّد من ذلك قوله: [البسيط]

قد عاود الحبّ قلبى بعد سلوته و استعذب الضّيم و التعذيب و النّصبا

و كان أقسم لا يصبو لظبى نقا فما رأى فى هوى غزلانه وصبا

و توفّى الأمير زين الدين أبو يزيد بن مراد الخازن، دوادار السلطان الملك الظاهر برقوق، و أحد أمراء الطبلخاناه فى رابع جمادى الآخرة، و حضر السلطان الصلاة عليه، و أبو يزيد هذا هو الذى كان أخفى الملك الظاهر برقوقا عنده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۱۳۶

فى نوبة الناصرى و منطاش، و أخذ من داره، و كان الظاهر توجّه إليه و اختفى عنده من غير مواعدة، فعرف له الملك الظاهر ذلك، فلما عاد الملك الظاهر إلى ملكه ثانيا أنعم عليه بإمرة طبلخاناه ثم استقرّ به دوادارا كبيرا بعد توجّه بطا لنيابة الشام، فدام على ذلك حتى مات فى التاريخ المذكور، و دفن بتربته التى أنشأها عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، و كان أميرا فاضلا عارفا ذكيا له يد فى فنون، و كان يعرف بالتّركى و العجميّ و الأرمنيّ، على أنه كان فصيحا باللغة العربية.

قلت: هكذا يكون الدوادار، لا كمن لا يعرف اسمه من اسم الحمار، و كان يميل إلى مذهب الصوفية، و كان الملك الظاهر يثق إليه، و يشاوره فى أموره.

و توفّى الوزير الصاحب شمس الدين أبو الفرج عبد اللّه المقسيّ، فى رابع شعبان و دفن بجامعه الذى جدّده على الخليج الناصرىّ بالقرب من باب البحر، و كان معدودا من رؤساء الأقباط.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين آقبغا آص، قال المقريزى رحمه اللّه: كان أولا من جملة أمراء الملك الأشرف شعبان الطبلخانات، ثم نزعها منه لمّا سخط على والده، و تعطّل مدّة و عقّ أباه، و حكى عنه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۱۳۷

أمور شنيعة فى عقوقه لوالده، و سافر إلى اليمن و عاد إلى القاهرة و تنقّلت به الأيام إلى أن ولى شد الدواوين بإمرة عشرة مدّة، ثم أمسك و صودر و عوقب عقوبة شديدة، و كان سيّئ السيرة، من أشرّ خلق اللّه المتجاهرين بالمعاصى، إلى أن توفى فى يوم الأربعاء ثامن عشرين شوّال». انتهى كلام المقريزى.

و توفّى الأمير الطواشى مقبل بن عبد اللّه الشهابى شيخ الخدّام بالحرم النبوىّ، و كان أصله من خدّام الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون و تنقّل فى الخدم إلى أن اختص بالأمير شيخون العمرى، ثم خدم السلطان حسنا [ابن قلاوون]، ثم ولى مشيخة الخدّام بالحرم النبوى بعد وفاة الطواشى افتخار الدين ياقوت الرسولى الخازندار الناصرى، و كان مقبل ينوب عنه فى الحرم، فلمّا مات ولى مكانه.

و توفى قاضى القضاة ناصر الدين أبو الفتح نصر اللّه بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانى العسقلانىّ الحنبلى، قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليلة الأربعاء حادى عشرين شعبان، و كان مشكور السيرة محبّا للناس.

و توفى الشيخ نجم الدين محمد بن جماعة الشافعى خطيب القدس فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة [بالقاهرة و دفن خارج باب النصر].

و توفى الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير الكبير طشتمر الدوادار فى شهر رمضان بثغر الإسكندرية، و كان من جملة أمراء الطبلخاناه بالديار المصرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٣٨

و توفى الشيخ علاء الدين أبو الحسن على بن محمد الأقفهسى الفقيه الشافعىّ فى ثامن عشرين شوّال، و كان معدودا من فقهاء الشافعية.

و توفى علاء الدين قطلوبغا بن عبد اللّه الأسنقجاوى، و المعروف بأبى درقة الكاشف، ولى الكشف بجهات كثيرة، و وقع له أمور مع العربان، و قتل منهم جماعة كبيرة حتى مهّد البلاد القبلية.

و توفى الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى، مدرس مدرسة الملك الظاهر برقوق فى شهر ربيع الآخر.

و توفى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الضياء المناوى الشافعى، شيخ المدرسة الجاولية بالكبش، و أحد نواب الحكم بالقاهرة فى شهر ربيع الآخر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع و أربعة عشر إصبعا.

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و عشرون إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۶]

السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر و هى سنة ست و تسعين و سبعمائة. و فيها توفى الأمير سيف الدين أبرك بن عبد اللّه المحمودى الظاهرى شادّ الشراب خاناه السلطانية، و هو مجرّد بدمشق، و بها دفن و كان خصيصا عند أستاذه الملك الظاهر برقوق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٣٩

و فيها توفّى الصاحب الوزير موفّق الدين أبو الفرج الأسلمى تحت العقوبة فى يوم الاثنين [حادى] عشرين شهر ربيع الآخر، و كان أسوأ الوزراء سيرة، لأنه كان أكره على الإسلام حتى قال: كلمة الإيمان غصبا و لبس العمامة البيضاء و هو باق على دين النّصرانية، فكان على الناس بذنوبهم، و لما كان على دين النصرانية و هو يباشر الحوائج خاناه كان مشكور السيرة، حتى أكره على الإسلام، فبلغ من المسلمين مبلغا عظيما من الظلم و الجور، و ولى فى بعض الأحيان نظر الجيش بديار مصر أيضا.

قلت: لا ألومه على ما فعله و ما الذنب إلا لمولّيه: لم لا أقتدى بمن كان قبله من الملوك السالفة و وزرائهم! مثل القاضى الفاضل عبد الرحيم، و ابن بنت الأعز و بنى حنّاء و غيرهم- رحمهم اللّه تعالى.

و توفى الشيخ المعتقد الصالح رشيد التّكرورى الأسود فى البيمارستان المنصورى فى يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة، و كان يقيم بجامع راشدة خارج مدينة مصر القديمة، و هو آخر من سكنه و هو يقصد للزيارة و للناس فيه اعتقاد حسن.

و توفى الأمير سلّام (بتشديد اللام) ابن محمد سليمان بن فايد، المعروف بابن التركية أمير خفاجة من الصعيد فى سابع شهر ربيع الآخر، و كان من أجلّ أمراء العرب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٤٠

و توفّى الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد بن صغير رئيس الأطباء، و هو بمدينة حلب فى التجريدة صحبة السلطان فى يوم الجمعة عاشر ذى الحجة و دفن بها، ثم نقل بعد مدّة إلى القاهرة، و كان من الأفراد فى علم الطب و الملاطفة ماهرا فى صناعته، كان

من عظم اطلاعه فى علم الطب يصف للموسر بأربعين ألفا و يصف الدواء فى ذلك الداء بعينه للمعسر بفلس واحد.

قال المقريزى: «و كنت عنده فدخل عليه شيخ و شكا شدة السّعال، فقال له: إياك تنام بغير سراويل، فقال الشيخ: إى و اللّه، فقال له: فلا تفعل، ثم بسراويلك! قال: فصدفت ذلك الشيخ بعد أيام فسألته، فقال لى: عملت ما قال فبرئت، قال: و كان لنا جار حدث لابنه رعاف حتى أفرط فانحلت قوى الصغير، فجاء به إلى ابن صغير هذا و شكا من كثرة الرّعاف، فقال له: شرّط أذنه، فتعجّب و توقف فقال له ثانيا: توكّل على اللّه و افعل، ففعل ذلك فبرئ الصغير و ذكر له أشياء كثيرة من هذا النموذج يطول شرحها.

و توفى القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى علاء الدين على ابن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل اللّه بن مجلّى بن دعجان بن خلف بن تصر بن منصور بن عبد اللّه بن على ابن محمد بن أبى بكر عبد اللّه بن [عبد اللّه بن] عمر بن الخطاب العدوى القرشى العمرى المصرى الشافعى كاتب سر الديار المصرية و رئيسها بدمشق فى يوم الثلاثاء العشرين من شوّال مجردا صحبة السلطان الملك الظاهر برقوق و دفن بتربتهم بدمشق، و ولى كتابة السر من بعده القاضى بدر الدين محمود [السّيرامىّ] الكلستانى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۱

و توفى أخوه حمزة بن على بن فضل اللّه بعده بشهر، فقال فى موتهما بعض شعراء العصر: [الوافر].

قضى البدر بن فضل اللّه نحبا و مات أخوه حمزة بعد شهر

فلا تعجب لذى الأجلين يوما فحمزة مات حقا بعد بدر

و كان القاضى بدر الدين المذكور إماما رئيسا فاضلا فى الإنشاء و الأدب و له مشاركة جيدة فى الفقه و غيره، و كان محمود السيرة مشكور الطريقة، باشر كتابة سرّ مصر نحو سبع و عشرين سنة، على أنه انفصل فيها أولى و ثانية، فالأولى بأوحد الدين عبد الواحد، و الثانية بعلاء الدين الكركى و هو ثالث واحد سمّى بدر الدين من بنى فضل اللّه كتّاب سر دمشق، و آخر من ولى كتابة سر مصر و غيرها من بنى فضل اللّه، و بموته خرجت كتابه السر عن بنى فضل اللّه- رحمه اللّه تعالى- و توفى القاضى تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المليجى المعروف بصائم الدهر محتسب القاهرة، و ناظر الأحباس و خطيب مدرسة السلطان حسن فى تاسع عشر صفر عن سبعين سنة و كان خيّرا دينا مشكور السيرة- رحمه اللّه-

و توفى الأمير منكلى بغا بن عبد اللّه الشمسى الطرخانى، أحد الأمراء بديار مصر ثم نائب الكرك فى ليلة عاشوراء، و كان من أكابر أمراء مصر ولديه حشمة و رياسة.

و توفى الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الأتابك منكلى بغا الشمسى و ابن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، و صهر الملك الظاهر برقوق و أحد أمراء الطبلخانات بديار مصر بها فى عاشر شعبان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۲

و توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن مقبل الجندى الفقيه الظاهرىّ المذهب فى يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة، و كان فاضلا و له مشاركة جيّدة فى فنون، و كان لا يتكتّم الاقتداء بمذهب أهل الظاهر و يحفّ شاربه و يرفع يديه فى كلّ خفض و رفع فى الصلاة.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير شرف الدين موسى بن [سيف الدين أرقطاى بن] الأمير جمال الدين يوسف أحد أمراء العشرات بالديار المصرية فى ليلة الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة، و كان أبوه و جدّه من أمراء الألوف بالقاهرة، و كان يحبّ علم الحديث، و يواظب سماعه، و له مشاركة فى المذهب.

و توفّيت الشيخة الصالحة المعتقدة المعروفة بالبغدادية، صاحبة الرّباط بالقاهرة فى يوم السبت ثانى عشرين جمادى الآخرة، و كانت على قدم هائل من الصلاة و العبادة، و للناس فيها اعتقاد، و تقصد للزيارة.

و توفّى السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم؛ فى ليلة الخميس رابع شعبان بمحلّ ملكه مدينة تونس من بلاد المغرب، بعد أن حكمها أربعا و عشرين سنة و ثلاثة أشهر و نصفا، و قام من بعده على ملك تونس ابنه السلطان أبو فارس

عبد العزيز و كان من أجلّ ملوك الغرب، و طالت أيام ولده عبد العزيز فى الملك حسب ما يأتى ذكره فى محلّه، إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٤٣

و توفّى أيضا صاحب مملكة فاس من بلاد الغرب- السلطان أبو العباس أحمد بن أبى سالم بن إبراهيم بن أبى الحسن المرينى ملك الغرب فى المحرّم، و أقيم بعده ابنه أبو فارس عبد العزيز.

قلت: و هو يشارك المقدّم ذكره فى الاسم و الكنية و اسم الأب و الجدّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستة أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا و أحد عشر إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٩٧]

السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر و هى سنة سبع و تسعين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج١٢؛ ص١٤٣

ها توفّى الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم الآمدى الدّمشقى الفقيه الحنبلى أحد أصحاب ابن تيميّة.

و توفى الأمير علاء الدين ألطنبغا بن عبد اللّه الحلبى الأشرفى، و هو مسجون بقلعة حلب، و كان من أعيان المماليك الأشرفية؛ و أحد أكابر الأمراء بديار مصر.

و توفّى الشيخ المعتقد المجذوب أبو بكر البجائى المغربى، أحد من أوصى السلطان الملك الظاهر برقوقا أن يدفن تحت رجليه فى يوم السبت خامس جمادى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٤٤

الآخرة، و دفن خارج باب النصر حيث هى التربة الظاهرية الآن، و كانت جنازته مشهودة، و أخرجه السلطان و جهّزه على يد الأمير يلبغا السالمى؛ و كان للناس فيه اعتقاد لا سيّما الظاهر برقوق فإنه كان له فيه اعتقاد.

و توفّى العلّامة صدر الدين بديع بن نفيس التّبريزى رئيس الأطباء بالديار المصرية فى سادس عشر شهر ربيع الأول، و هو عمّ القاضى فتح الدين فتح اللّه كاتب السّر الآتى ذكره، و هو الذى كفله بعد موت جدّه نفيس؛ و كان مات والد فتح الدين معتصم بن نفيس، و فتح اللّه طفل صغير؛ و كان بديعا ماهرا فى علم الطبّ كثير الحفظ لمتونه، و هو صاحب التصانيف المشهورة.

و توفّى الشريف أبو الحسن على بن عجلان بن رميثة، و اسم رميثة منجد بن أبى نمىّ بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد اللّه بن محمد بن موسى ابن عبد اللّه المحض بن موسى بن الحسن السّبط بن الحسن بن على بن أبى طالب المكى الحسنى، أمير مكة المشرفة، وليها ثمانى سنين و نحو ثلاثة أشهر مستقلّا بالإمارة؛ غير سنتين أو نحوهما؛ فإنه كان فيهما شريكا لعنان بن مغامس بن رميثة؛ و وقع له أمور بمكة مع الأشراف و وقائع؛ و آخر الأمر توجّه أخوه الشريف حسن بن عجلان إلى القاهرة يريد إمرة مكة؛ فقبض عليه السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٤٥

و حبسه؛ و بعث إلى علىّ هذا باستمراره على إمرة مكة، فاستمرّ على إمرتها إلى ان وقع بينه و بين بعض القواد، و خرج إليهم علىّ هذا، فبدره بعضهم و سايره، و هو راكب على راحلته، و الشريف علىّ هذا على فرس فرمى القائد بنفسه على الشريف علىّ المذكور و ضربه بجنبيّة كانت معه، فوقعا جميعا على الأرض، فوثب عليه علىّ و ضربه بالسيف ضربة كاد منها يهلك، و ولّى علىّ راجعا إلى الحلّة، فأغرى به شخص يقال له أبو نمىّ غلام لصهره حازم بن عبد الكريم جنديا، و عتبة و حمزة و قاسما، فوثبوا عليه و قتلوه و قطّعوه و بعثوا به إلى مكة، فدفن بالمعلاة على أبيه عجلان، و كان قتله فى يوم الأربعاء سابع شوّال، و ولى إمرة مكة بعده أخوه حسن بن عجلان.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الظاهر برقوق فى يوم السبت ثالث عشرين ذى الحجة، و مولده فى مستهل شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين و ثمانين و سبعمائة، و أمّه خوند الكبرى أرد، صاحبة قاعة العواميد، و مات بعد أن أعيا الأطباء داؤه الذى كان برجليه من أرياح الشّوكة. و به مات، و كان إقطاعه الديوان المفرد الآن، فإنه لما مات جعله السلطان إقطاعه لمماليكه المشتروات

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۶

و أفرده فسمى المفرد من يومئذ، و جعل كاتبه الهيصم، و كان محمد هذا أكبر أولاد السلطان و أعظمهم، و وجد السلطان عليه وجدا عظيما.

و توفّى قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الدائم بن محمد المعروف بابن بنت ميلق الشاذلى الصوفى، قاضى قضاة الديار المصرية، و هو معزول فى ليلة الاثنين تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل. و كان أصله من أشموم الرمان، ولد قبل سنة ثلاثين و سبعمائة، و سمع الحديث و طلب العلم و تفقّه و وعظ دهرا، و قال الشعر، و أنشأ عدّة خطب بليغة، و جمع عدّة أجزاء فى عدّة فنون، و كان يتزيّا بزىّ الفقراء و يتصدى لعمل المواعيد، و اعتقده الناس و تبرّكوا به، و خطب بعدّة جوامع و صار له أتباع و شهرة كبيرة، إلى أن طلبه الملك الظاهر برقوق للقضاء بعد عزل القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء، فامتنع ثم أجاب فألبسه الملك الظاهر تشريف القضاء بيده، و أخذ طيلسانه يتبرّک به.

قال المقريزى: فداخل الناس بولايته خوف و وهم، و ظنوا أنه يحمل الناس على محض الحق، و أنه يسير على طريق السلف من القضاة، لما ألفوه من تشدّده فى وعظه، و تفخّمه فى منطقه، و إعلانه بالتبكير على الكافّة، و وقيعته فى القضاة، و اشتماله على لبس الخشن المتوسط من الثياب، و معيبه على أهل التّرف، فكان أوّل

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۷

ما بدأ به أن عزل قضاة مصر جميعهم من العريش إلى أسوان، و بعد يومين تكلم معه الحاجّ مفلح مولى القاضى بدر الدين بن فضل اللّه كاتم السرّ فى إعادة بعض من عزله من القضاة فأعاده، فانحل ما كان معقودا بالقلوب من مهابته، ثم قلع زيّه الذى كان يلبسه، و لبس الشاش الكبير الغالى الثمن و نحوه من الثياب، و ترفّع فى مقاله و فعاله، حتى كاد يصعد الجو، و شح فى العطاء و لاذبه جماعة غير محبّبين إلى الناس. فانطلقت ألسنة الكافّة بالوقيعة فى عرضه، و اختلقوا عليه ما ليس فيه، فلما قدم الأمير يلبغا الناصرىّ إلى الديار المصرية، و غلب برقوقا على المملكة و بعثه إلى سجن الكرک كان هو قاضيا يومئذ فوقّع فى حقّ الظاهر، و أساء القول فيه، فبلغه ذلک قبل ذهابه إلى الكرک فأسرّها فى نفسه، فلمّا ثار منطاش على الناصرى صرف ابن ميلق هذا عن القضاء بالصدر المساوى، بعد ما كان أخذ خطّه فى الفتاوى المكتتبة فى حقّ برقوق، فلمّا عاد برقوق إلى الملک لهج بدمه فتتبّهت أعين العدا لابن ميلق هذا و حسنوا للبيد فى أحمد أمين الحكم أن يقف للسلطان و يشكو ابن ميلق المذكور بسبب ما أخذه من أموال الأيتام، و كان نحو الثلاثين ألف درهم فضة، عنها قريب من ألف و خمسمائة مثقال من الذهب، فرفع فيه قصة إلى السلطان فطلبه فجاءوا به و قد حضر القضاة فأوقف مع النقباء تحت مقعد السلطان فى الميدان فحالما مثل قائما سقط مغشيا عليه، و صار على التّراب بحضرة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۴۸

ذلک الجمع العظيم، فتقدّم بعض من كان يلوذ به ليصلح من شأنه، فصرخ فيه السلطان و ترک طويلا حتى أفاق، و ادّعى عليه البيد فى فلم يلحن بحجة، و ألزمه القضاة بغرامة ذلک، و القيام به للأيتام من ماله، و لم يكن المال المذكور فى ذمته، و إنما كان اقترضه و صرّه للحرمين، فلزمه غصبا و رسم عليه و سجن بالمدرسة الشريفية، ليدفع المال و ما زال يورده حتى أتى ذلک على غالب موجوده، ثم لزم داره و ذهبت عينه، و تخلّى عنه أحبابه إلى أن مات، و دفن حارج باب النصر بتربة الصوفية، فلقد كان قبل ولايته حسنة من حسنات الدهر، ما رأيت قبله أحسن صلاة منه و لا أكثر خشوعا مع حسن منطق، و فصاحة ألفاظ، و عذوبة كلام، و بهجة زىّ، و صدع فى وعظه إذا قصّ أو خطب، إلّا أنه امتحن بالقضاء، و ابتلى بما أرجو أن يكون كفارة له. انتهى كلام المقريزى باختصار.

و توفّی الشیخ شمس الدین محمد بن علی بن صلاح الحریری أحد نوّاب القضاة الحنفیة، و مشایخ القرّاء بالدیار المصریة، فی یوم الجمعة رابع عشرین شهر رجب.

و کان فقیها مقرئا، أقرأ و درّس و ناب فی الحکم سنین.

و توفّی القاضی شمس الدین محمد بن عمر القلیجی الحنفی مفتی دار العدل، و أحد نواب القضاة بالدیار المصریة، فی لیلة الثلاثاء العشرین من شهر رجب و قد بلغ من الریاسة مبلغا عظیما، و کانت لدیه فضیلة تامّة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٤٩

و توفّی العلّامة شمس الدین محمد الأقصرائی الحنفی شیخ المدرسة الأیتمشیة بباب الوزیر، فی سابع عشر جمادی الأولی، و کان إماما عالما مدرسا فقیها ذکیا حافظا، کان یلقی الدرس عند الملک الظاهر أیام إمرته، و صدرا من سلطنته، و کان خصیصا عند السلطان و له وجاهة فی الدولة، و تولّی بعد موته مشیخة الأیتمشیة الشیخ سراج الدین عمر القرمی.

و توفّی القاضی برهان الدین إبراهیم القلقشندیّ الشافعیّ موقّع الحکم، و أحد الفقهاء الشافعیة فی ثالث عشرین شعبان.

و توفّی الأمیر سیف الدین طوغان بن عبد اللّه الظاهریّ أمیر جاندار، فی سادس عشر صفر، و کان أحد أعیان الممالیک الظاهریة برقوق خصیصا عند أستاذه.

و توفّی الشیخ نور الدین أبو الحسن علی الهورینیّ الفقیه الشافعی شیخ القوصونیة فی شهر رجب و کان فقیها فاضلا بارعا.

و توفّی الشیخ شمس الدین محمد بن محمد بن أحمد السفری الحلبی الحنفی فی یوم الجمعة خامس شهر ربیع الأوّل، و أصله من قریة خربتا من عمل عزاز، و کان فقیها بارعا، و له مشارکة فی فنون.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٥٠

و توفّی القاضی جمال الدین أبو محمد عبد اللّه بن فرج النّویری المالکی، أحد نواب الحکم المالکیة بالدیار المصریة، و کان معدودا من فضلاء المالکیة.

و توفّی الأمیر سیف الدین قرابغا بن عبد اللّه، والد الأمیر جرکتمر الخاصکی الأشرفیّ، فی ثانی شهر ربیع الأوّل و کان أحد أمراء العشرینات بالقاهرة، و کان مشکور السیرة خیّرا دیّنا.

و توفّی الشیخ المعتقد شمس الدین محمد المقسی فی یوم الأحد أول شهر رمضان، و کان یسکن بجامع المقسی علی الخلیج، و کان یقصد للزیارة.

و توفی الشیخ المعتقد محمد السّـملوطی الصعیدی المالکی، فی ثانی عشر شهر رمضان، و کان فقیها خیّرا دیّنا، و للناس فیه اعتقاد و محبة.

و توفّی الشیخ شمس الدین محمد بن أحمد بن علی بن عبد العزیز المعروف بابن المطرّز فی یوم الأحد سادس جمادی الآخرة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربعة أذرع و أربعة أصابع- مبلغ الزیادة سبعة عشر ذراعا و ثمانیة أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ٧٩٨]

السنة السابعة من سلطنة الملک الظاهر برقوق «الثانیة علی مصر» و هی سنة ثمان و تسعین و سبعمائة.

فیها توفّی الشیخ المقرئ الفقیه شهاب الدین أحمد بن محمد بن بیبرس الجندیّ، المعروف بابن الرکن البیبرسی الحنفی، و کان إماما فاضلا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٥١

و توفّی الأمیر سیف الدین بهادر بن عبد اللّه الأعسر فی یوم عید الفطر، و کان من أعیان الأمراء، و تنقّل فی عدّة ولایات.

و توفّى الأمير تمر بن عبد اللّه الشّهابى الحاجب أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و كان فقيها فاضلا، و إماما بارعا فى الفقه و فروعه، معدودا من فقهاء الحنفيّة، و كان شجاعا مقداما خرج عليه العرب العصاة فقاتلهم فجرح فى المعركة، و مات من جراحه، رحمه اللّه.

و توفّى الأمير الجليل سودون بن عبد اللّه الفخرى الشيخونى، نائب السلطنة بالديار المصرية بها؛ فى يوم الثلاثاء خامس جمادى الآخرة، بعد ما شاخ، و كان أصله من مماليك الأمير الكبير شيخون العمرى الناصرىّ، ثم ترقّى فى الدول إلى أن ولى حجوبية الحجاب بالديار المصرية، فى دولة الملك الصالح حاجى، ثم نقله الملك الظاهر برقوق إلى نيابة السلطنة فى أوائل سلطنته، و طالت أيامه فى السعادة، و كان وقورا فى الدّول، معظّما عند الملوك، و لما كبر و شاخ أخذ يتبرّم من الإمرة و الوظيفة و يستعفى، إلى أن أعفاه الملك الظاهر بعد قدومه من سفرته إلى البلاد الشامية، و كان سودون مقيما بالقاهرة، فلزم داره من صفر سنة سبع و تسعين و سبعمائة إلى أن مات فى التاريخ المقدّم ذكره، و كان أميرا خيّرا ديّنا وافر الحرمة، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، و منذ مات تجاهر الملك الظاهر برقوق بالمنكرات التى لم تكن قبل تعرف منه، و كان محبا للعلماء و الفقراء، كان يدور و ينزل إلى بيوت الفقراء، و يتبرّك بهم و يبذل إليهم الأموال.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۱۵۲

قال قاضى القضاة العينى- رحمه اللّه-: و كان حصل له شىء من التّغفّل و التساهى.

قلت: كان فيه سلامة باطن مع دين و شفقة و لين جانب، حتى صار يحكى عنه أشياء فى حكوماته مختلقة عليه، كما يذكر الناس ذلك عن الخادم بهاء الدين قراقوش الصّلاحى الخصىّ و ليس لذلك صحة. انتهى.

و توفّى الأمير سيف الدين قطلوبك بن عبد اللّه الطّشتمرى، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، و كان جليل القدر وقورا من الأمراء المشايخ.

و توفّى الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلبك التّركمانى الأصل المصرى، فى يوم الجمعة سادس عشرين صفر، كان شابا جميلا- حسن الهيئة، و هو ممن توفّى بغير نكبة، ولّاه الملك الظاهر برقوق أوّلا شادّ الدواوين بعد ابن آقبغا آص، ثم عزل بابن آقبغا آص، و عوّض عن شدّ الدواوين بشد الدواليب الخاصّ، عوضا عن خاله محمد بن الحسام، بحكم انتقال خاله إلى الوزارة، ثم بعد مدّة صودر، و حمّل مائة و سبعين ألف درهم، و قبل أن يغلقها أفرج عنه، ثم ولاه الملك الظاهر الوزارة عوضا عن الوزير موفّق الدين، فى يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست و تسعين و سبعمائة، و أنعم السلطان عليه فى يوم ولايته للوزارة بإمرة مائة و تقدمة ألف بديار مصر، ثم خلع السلطان على جماعة من الوزراء البطّالين بوظائف تحت يده تعظيما له، و صار الجميع فى خدمته، فاستقرّ الوزير سعد الدين نصر اللّه ابن البقرىّ ناظر الدولة، و استقرّ الوزير كريم الدين بن الغنّام فى نظر البيوت، و استقرّ الوزير علم الدين سنّ إبرة فى استيفاء الدولة، شريكا للوزير تاج الدين عبد الرحيم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۱۵۳

ابن أبى شاكر، و نزل الجميع فى خدمته، و باشروا بين يديه، كما كانوا بين يدى خاله الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصّفوى، فسمّى بوزير الوزراء و باشر بحرمة وافرة إلى أن مات.

و توفّى السيد الشريف صدر الدين مرتضى بن الشريف غياث الدين إبراهيم ابن حمزة الحسنىّ العراقىّ، نقيب الأشراف فى ليلة [السبت] ثالث شهر ربيع الآخر، و دفن على أبيه بتربة الأتابك يلبغا العمرى بالصحراء خارج القاهرة، و كان ولى نظر وقف الأشراف مع نقابة الأشراف، و نظر القدس و الخليل، و كان شكلا جميلا مهيبا فصيحا بالألسن الثلاثة: العربية و العجمية و التركية، و كان ديّنا خيّرا، صاحب عبادة و نسك، و كان له نظم على طريق البغاددة- رحمه اللّه تعالى- و هو قوله:

بحقّى عليكم بشوقى إليكم إذا اشتقت ليكم تعالوا ابصرونى

و توفّی ملک الغرب و صاحب فاس السلطان أبو فارس عبد العزیز بن السلطان أبی العباس أحمد بن أبی سالم بن إبراهیم بن أبی الحسن المرینی، و أقیم بعده علی سلطنة فاس أخوه أبو عامر عبد اللّه.

و توفّی الشیخ صلاح الدین محمد الشّطنوفی موقّع الحکم فی شهر رمضان، و کان إماما فی صناعته.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۴

و توفّی الشیخ نور الدین علی بن عبد اللّه بن عبد العزیز [بن عمر بن عوض] الدّمیری المالکی شیخ القرّاء بخانقاه شیخون، و أخو القاضی تاج الدین بهرام، فی ثانی عشرین شهر رمضان، و کان إماما فی القراءات مشارکا فی عدّة فنون.

و توفّی الأمیر ناصر الدین محمد بن جمق بن الأمیر الکبیر أیتمش البجاسی فی یوم الجمعة خامس صفر، و حضر السلطان الصلاة علیه و کان أحد أمراء الطبلخانات.

و توفّی الأمیر ناصر الدین محمد بن الأمیر جارکس الخلیلی فی یوم الثلاثاء تاسع صفر، و کان محمد المذکور أیضا من أمراء الطبلخانات بالدیار المصریة.

و توفّی القاضی شمس الدین محمد بن محمد بن موسی الشنشی الحنفی المعروف بالزّخ، أحد نوّاب القضاة الحنفیة بمصر فی [یوم الخمیس سادس] جمادی الأولی.

و توفّی الشیخ زین الدین مقبل بن عبد اللّه الصّرغتمشی الفقیه الحنفی فی أول شهر رمضان بالقاهرة، و کان فقیها فاضلا مستحضرا لفروع مذهبه، و له مشارکة فی عدّة فنون.

و توفی الأمیر سیف الدین تغری بردی بن عبد اللّه القردمیّ قتیلا فی محبسه، و کان من أعیان الأمراء، و وقع له أمور فی واقعة الناصری و منطاش مع الملک الظاهر برقوق أوّلا، ثم کان من حزب الملک الظاهر علی منطاش آخرا، و دام علی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۵

ذلک إلی أن قبض علیه و حبس، ثم قتل فی التاریخ المذکور- رحمه اللّه- و کان شجاعا مقداما.

و توفّی الشیخ الخطیب برهان الدین أبو إسحاق إبراهیم بن الشیخ المعتقد الصالح عبد اللّه المنوفی الفقیه المالکی فی شهر رجب، و کان أحد الفقهاء المالکیة، أقرأ و درّس و خطب بجامع الأمیر شرف الدین أمیر حسین بن جندر سنین، و هو ابن العبد الصالح المشهور عبد اللّه المنوفی.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ستة أذرع و اثنا عشر إصبعا.

مبلغ الزیادة تسعة عشر ذراعا و إصبعان.

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۹۹]

السنة الثامنة من سلطنة الملک الظاهر برقوق «الثانیة علی مصر» و هی سنة تسع و تسعین و سبعمائة.

فیها توفّی الأمیر سیف الدین إیاس بن عبد اللّه الجرجاوی نائب طرابلس بالقاهرة بعد أن قبض علیه و ألزم بحمل مال کبیر، فأرسل خازنداره إلی حضور المال، فمات بعد یومین، فی یوم الجمعة ثامن عشرین صفر، و کان أولا من أمراء الألوف بالدیار المصریة، ثم تنقل فی عدّة أعمال بالبلاد الشامیة، حتی إنه ولی نیابة طرابلس ثلاث مرات آخرها فی سلطنة الملک الظاهر برقوق الثانیة إلی أن عزله بالأمیر دمرداش المحمدی الظاهری، نائب حماة، و توجّه إیاس أتابکا بدمشق، فأقام بها یسیرا و طلب إلی القاهرة و صودر و أهین إلی أن مات بعد یومین حسب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۶

ما تقدّم ذکره، و قیل: إنه لما أهین کان فی یده خاتم سمّ فمصّه فمات من وقته، و قیل غیر ذلک، و کان بشع المنظر ظالما غشوما حدّ

المزاج كرية المعاشرة، يرمى بعظائم، قيل: إنه قال له رجل مرة: يا وجه القمر؛ بعد أن دعا له كما هى عادة العوامّ، فضرب الرجل ضربا مؤلما، و قال: أنا أعرف بنفسى منك، و كانت بعض حظاياه ملكها الوالد من بعده و استولدها، فكانت تحكى عنه عظائم من سوء خلقه و خلقه.

و توفّى الأمير أبو بكر بن [محمد بن واصل] المعروف بابن الأحدب أمير العربان ببلاد الصعيد قتيلا.

و توفّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد اللّه التمان تمرى الأمير آخور الثانى، و أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، فى رابع عشر جمادى الآخرة، و كان من قدماء الأمراء، و هو من أوّل الأمر إلى آخره كان من حزب الملك الظاهر برقوق، و كان الملك الظاهر ينادمه و يمازحه و يعجبه كلامه، و أنا أتعجّب غاية العجب من الملك الظاهر برقوق فى عدم ترقّيه، و لعلّه كان راضيا بما هو فيه- و اللّه أعلم- و هو والد صاحبنا الناصرى محمد بن بيبرس- رحمهما اللّه تعالى-.

و توفّى الأمير عمر بن عبد العزيز أمير عرب هوّارة ببلاد الصعيد.

قلت: و عمر هذا هو والد بنى عمر أمراء العربان ببلاد الصعيد فى زماننا هذا، و لعله يكون أوّل من ولى منهم الإمرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۷

و توفّى الشيخ المسند المعمّر المعتقد زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن المبارك بن حماد المغربى المعروف بابن الشيخة، و مولده فى سنة خمس و عشرين و سبعمائة، و مات فى تاسع عشرين شهر ربيع الآخر، و دفن خارج القاهرة بعد أن حدّث سنين و صار رحلة فى زمانه.

و توفّى الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد العزيز العقيلىّ (بفتح العين المهملة) المالكى إمام المالكية بالمسجد الحرام بمكة المشرفة، و أخو القاضى أبى الفضل، و كان يعرف بالفقيه علىّ النّويرىّ، فى ثانى جمادى الأولى بمكة المشرفة، و كان سمع الكثير و حدّث سنين.

و توفى الشيخ الإمام محبّ الدين محمد بن الشيخ الإمام العلّامة جمال الدين عبد اللّه بن يوسف بن هشام النحوىّ، فى ليلة الاثنين رابع عشرين شهر رجب بعد أن تصدّى لإقراء النحو سنين، و انتفع به جماعة الطلبة، و كان له مشاركة جيّدة فى الفقه و غيره، و كان خيّرا ديّنا.

و توفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفىّ، قاضى قضاة الديار المصرية، فى يوم السبت ثامن عشرين ذى الحجة، و كان عفيفا دينا مشكور السّيرة، و تولى القضاء من بعده قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطىّ، بعد أن خرج البريد بطلبه، و شغر منصب القضاء بالقاهرة، مائة يوم و أحد عشر يوما، حتى حضر و ولى قضاء الحنفية بديار مصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۵۸

قلت: هكذا تكون ولاية قضاة الشرع الشريف بعزّة و طلب و احترام، لا كمن يسعى فيها من بيت المال و الأمير الكبير إلى بيت والى القاهرة، حتى يلى بالمال و البذل من غير تستّر فى ذلك حتى إنه يعرف ولايته بالبرّطيل، كلّ أحد من المسلمين حتى النصارى و اليهود، فلا حول و لا قوة إلا بالله العلىّ العظيم.

و توفّى الشيخ الإمام العالم زين الدين ميكائيل بن حسن بن إسرائيل التّركمانى، الفقيه الحنفىّ فى ذى الحجة عن نيّف و سبعين سنة، كان فقيها فاضلا بارعا مشاركا فى فنون كثيرة من العلوم، و كان مستحضرا لمذهبه مناظرا طلق اللسان فصيحا و أقرأ و درّس سنين.

و توفّى القاضى جمال الدين محمود بن أحمد، و سماه بعضهم محمودا بن محمد بن على ابن عبد اللّه القيصرى العجمىّ الحنفى، قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية، و ناظر الجيوش المنصورة بها، و شيخ شيوخ خانقاه شيخون، فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأول، بعد أن جمع بين هذه الوظائف الثلاث التى لم تجمع لغيره، و كان من رجال الدهر حزما و عزما، و معرفة و عقلا و فضلا، و كان قدم

إلى القاهرة فى عنفوان شبيبته فقيرا مملقا، و ترك بالمدرسة الصّرغتمشية مدّة يخدم الفقهاء، فرأى فى منامه أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يقول له: أنت شاهنشاه، ففسّر المنام على الشّنشى، و كان من جملة الصوفية بالصرغتمشية، و تنقّلت به الأحوال إلى أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٥٩

صار يقرئ المماليك بالأطباق من القلعة، و قتل الملك الأشرف شعبان و صار مخدومه طشتمر اللّفاف أتابك العساكر، فتكلّم له فى حسبة القاهرة دفعة واحدة فوليها، و نزل عند شخص فى داره حتى تعيّن له دار يسكنها، و بعث له قاضى القضاة صدر الدين المناوى بثوب حتى لبسه، لعجزه عن شراء ثوب، و هذا كان أوّل مبدأ أمره، ثم تنقّل فى الوظائف حتى كان من أمره ما كان، و لما مات خلّف موجودا كبيرا و كتبا حسنة، و خلّف ثمانية أولاد من الذكور و الإناث، منهم العلّامة صدر الدين أحمد بن العجمى الآتى ذكره فى وفيات ثلاث و ثلاثين و ثمانمائة، و تولّى قضاء الحنفيّة من بعده القاضى شمس الدين محمد الطرابلسى، و مات فى السنة حسب ما تقدّم، و ولى الجيش بعده شرف الدين بن الدّمامينى.

و توفّى الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينه الأستادار، فى يوم الأحد تاسع شهر رجب بخزانة شمائل، بعد ما نكب و عوقب و صودر و دفن بمدرسته خارج بابى زويلة المعروفة به، و جملة ما أخذه الملك الظاهر منه من المال فى ايام مصادرته ألف ألف دينار، و أربعمائة ألف دينار، و ألف ألف درهم فضة، و بضائع و غلال، و غير ذلك بما ينيف على ألف ألف درهم فضة، و تلف له بأيدى من عاقبه و حواشيه جملة كبيرة، و اخفى هو أيضا أشياء كثيرة يترجّى البقاء، و من عظم ما ظهر له من المال، قالت العامة: ألان اللّه الحديد لداود، و الذهب لمحمود، و كان أصل محمود هذا أنه كان فى مبدأ أمره فقيرا يتعانى الشدّ فى إقطاعات الجند،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٦٠

ثم خدم عند بعض الأمراء، فصلحت حاله، و حصّل و سعى، حتى ولى شدّ الدواوين بالقاهرة، فظهر منه نجابة و يقظة، و ترقّى حتى ولى الأستادارية فى دولة الملك الظاهر برقوق الأولى، و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف، و نكبه الناصرى لمّا ملك مصر، و حبسه إلى أن خرج من السجن فى توبة بطا و أصحابه من الجبّ، و أعاده الملك الظاهر إلى وظيفة الأستادارية، بعد مدة فإنه كان أولا لما قدم إلى مصر ولّاه مشيرا، ثم أعاده إلى الأستادارية، و دام بها إلى أن قبض عليه الظاهر، بسعى كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب، و أجرى عليه العقوبة إلى أن مات.

و توفّى الوزير الصاحب سعد الدين نصر اللّه القبطى الأسلمى، المعروف بابن البقرى، فى ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة مخنوقا بعد عقوبة شديدة و مصادرة.

و توفّى قاضى القضاة سرىّ الدين [أبو الخطاب محمد] بن محمد قاضى قضاة الشافعية بدمشق، المعروف بابن المسلّاتى الشافعى، بالقاهرة فى يوم الخميس سابع عشرين شهر رجب، و كان فقيها عالما أفتى و درّس و ولى قضاء دمشق، و كان معدودا من علماء الشافعية.

و توفى قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاه عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبى العزّ وهيب بن عطاء بن جبير ابن جابر بن وهيب الحنفى الدمشقى، المعروف بابن أبى العز، و بابن الكشك قتيلا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٦١

بدمشق، فى مستهل ذى الحجة بعد أن لزم داره مدة، و كان إماما فقيها بارعا عالما مفتّنا، ولى قضاء دمشق استقلالا غير مرة، و حسنت سيرته، و أشخص فى سنة سبع و سبعين و سبعمائة إلى الديار المصرية، و ولى بها قضاء الحنفية بعد قاضى القضاة صدر الدين محمد بن عبد اللّه التركمانى بعد موته، فلم تطل مدته و استعفى، و ألحّ فى ذلك حتى أعفاه السلطان، و ولّاه قضاء الحنفية بدمشق على عادته، فدام بها سنين، ثم صرف عنها، و لزم داره حتى مات قتيلا بدمشق- رحمه اللّه تعالى-

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا و اثنا عشر إصبعا و اللّه أعلم.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۰]

السنة التاسعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق «الثانية على مصر» و هى سنة ثمانمائة.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين تنبك بن عبد اللّه اليحياوىّ الظاهرىّ، الأمير آخور الكبير فى ليلة الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر، و نزل السلطان إلى الإسطبل و مشى فى جنازته حتى حضر الصلاة عليه بمصلّاة المؤمنى، ثم ركب و توجّه أمام جنازته حتى شاهد دفنه، و أقام القرّاء على قبره أسبوعا، و وجد السلطان عليه كثيرا و بكى عند دفنه، و كان من عظماء المماليك الظاهرية، أنعم عليه السلطان بإمرة عشرة فى أوائل واقعة الناصرىّ و منطاش، ثم رقّاه حتى ولّاه الأمير آخورية بعد الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۲

بكلمش العلائى، لمّا نقل إلى إمرة سلاح، فدام فى وظيفة الأمير آخورية إلى أن توفى، و تولّى الأمير آخورية بعد موته الأمير نوروز الحافظى الظاهرىّ رأس نوبة النوب.

و توفّى السيد الشريف جمال الدين عبد اللّه بن عبد الكافى بن على بن عبد اللّه الطّباطبى نقيب الأشراف فى ليلة رابع عشرين ذى القعدة.

و توفّى القاضى العلّامة تاج الدين أبو محمد عبد اللّه بن على بن عمر السّنجارى الحنفى المعروف بقاضى صور (بفتح الصاد المهملة) و صور: بليدة بين حصن كيفا، و بين ماردين من ديار بكر بن وائل، و كان إماما عالما مفتّنا بارعا فى الفقه و الأصلين، و العربية و اللغة، و أفتى و درّس سنين بدمشق و مصر، و كان فى ابتداء أمره لما قدم القاهرة اجتاز بدمشق و استوطنها مدّة، و أخذ بها عن العلّامة علاء الدين القونوى الحنفىّ، ثم قدم إلى القاهرة فأخذ عن العلّامة شمس الدين محمد الأصبهانى و غيره، حتى برع فى عدّة فنون، و أفتى و درّس و صنّف و أشغل، و من تآليفه كتاب «البحر الحاوى فى الفتاوى» و نظم كتاب «المختار فى الفقه» و نظم «السراجية فى الفرائض»

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۳

و نظم كتاب «سلوان المطاع لابن ظفر» و ناب فى الحكم بالقاهرة، و ولى وكالة بيت المال بدمشق، و كان من محاسن الدنيا دينا و علما و خيرا و كرما.

و توفّى الأمير سيف الدين قلمطاى بن عبد اللّه العثمانى الظاهرى الدوادار الكبير بالديار المصرية فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الأولى، و حضر السلطان الملك الظاهر الصلاة عليه بمصلّاة المؤمنى، و حضر دفنه أيضا بتربته التى أنشأها عند الصّوّة بالقرب من باب الوزير، و بكى السلطان عليه بكاء كثيرا، و أقام القرّاء على قبره أسبوعا، و تولّى الدوادارية من بعده الأمير بيبرس ابن أخت السلطان، و كان قلمطاى من أجلّ المماليك الظاهرية، باشر الدوادارية بحرمة وافرة، و نالته السعادة و عظم فى الدولة، و هو صاحب الحاصل بالقرب من البندقيين بالقاهرة، و خلّف مالا- كثيرا، و هو أيضا ممن نشّأه أستاذه الملك الظاهر برقوق فى سلطنته الثانية، رحمه اللّه تعالى.

و توفّى أمين الدين أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن على الأنصارى الحمصى الحنفى كاتب سرّ دمشق بها فى ثانى عشر ذى الحجة، و مولده فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى و خمسين و سبعمائة، و تفقه بدمشق، و برع فى الفقه و العربية، و شارك فى عدّة فنون مشاركة جيّدة، و مهر فى الأدب و الترسّل و النظم، و تولى كتابة سرّ دمشق و باشرها بحرمة وافرة، و نالته السعادة فى مباشرته، و كان ذا شكالة حسنة، و عبارة فصيحة، و فضل و إفضال، و كان له يد فى علم الموسيقى و تأديته، و عنده ميل إلى اللهو و

الطرب مع حشمة و دين و كرم، و من شعره لمّا عاد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۴

من تجريدة أرزنكان صحبة الأمير تنم الحسنى نائب الشام، و قد ضلّ غالب العسكر فى بعض الليالى عن الماء، فنزل هو على ماء فى بعض الطريق، و قال فى ذلك:

(البسيط).

ضلّوا عن الماء لمّا أن سروا سحرا قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما

و اللّه أكرمنى بالورد دونهم فقلت «يا ليت قومى يعلمون بما»

و له أيضا- سامحه اللّه تعالى- (الوافر).

جفون من تأرّقها دوامى مدامعها تفيض على الدوام

فديت عيون من حرمت عيونى مناها من لقا طيب المنام

و راشت من لواحظها نبالا مراشقها شفين من السقام

إذا لاحظننى فتصيب قلبى على اللّحظات موفور السهام

لها شفتان قد شفتا فؤادى و لا شفتاه إلّا للغرام

و ثغر من يعيش به ارتواء يموت من الصّبابة و هو ظام

أدامت لى مدامته ارتشافا فوا سكراه من ذاك المدام

و لمّا رام بدر الأفق فخرا و تشبيها بما تحت اللّثام

بدت تختال عجبا عن عقود و تبسم عن جمان بانتظام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۵

فأزرى ثغرها بالدر نقصا و أخجل وجهها بدر التمام

بعيشك يا كريم الخيم كن لى معينا إن مررت على الخيام

و قل صبّ توصّل فى أوان له قلب تقطّع بالأوام

و لبّ هام بالذكرى و دمع كوبل عطاء فخر الدين هامى

و توفّى القاضى نجم الدين محمد بن عمر الطّمبدى وكيل بيت المال و محتسب القاهرة فى رابع عشرين شهر ربيع الأوّل. قال المقريزى: «و كان غاية فى الجهل»

و توفّى الشيخ الصالح المعتقد أبو عبد اللّه محمد بن سلامة النّويرىّ المغربىّ المعروف بالكركى لطول إقامته بمدينة الكرك فى خامس عشرين شهر ربيع الأوّل، و كان عند الملك الظاهر برقوق بمنزلة مكينة جدّا، كان يجلسه فوق قضاة القضاة، و لم يغيّر لبس العباءة، و لا أخذ من الملك الظاهر شيئا من المال، و كان الناس فيه على قسمين ما بين مفرط فى مدحه، و ما بين مفرط فى الحطّ عليه. و تولّى الأمير يلبغا السالمى تجهيزه، و بعث السلطان مائتى دينار للقراءة على قبره مدّة أسبوع.

و توفّى الأمير سيف الدين آق بلاط بن عبد اللّه الأحمدى الظاهرى أحد أمراء العشرات و رأس نوبة فى شهر ربيع الآخر، و كان تركىّ الجنس شجاعا.

و توفّى الأمير سيف الدين طوغاى بن عبد اللّه العمرى أحد أمراء العشرات بالديار المصرية، و نقيب الفقراء السّطوحيّة فى أوّل شهر ربيع الأوّل، و كان ديّنا خيّرا يحب الفقراء، و يتردّد لزيارة الصالحين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۶۶

و توفّى الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البعلبكّى الدمشقى الضرير المعروف بالبرهان الشامى فى ثامن جمادى الأولى، و كان فاضلا أديبا فقيها.

و توفّى الأمير سولى بن قراجا بن دلغادر التّركمانى، صاحب أبلستين، قتل غيلة على فراشه، و كان غير مشكور السيرة، كثير الشرور و الفتن.

و توفّى الأمير شرف الدين موسى بن قمارى أمير شكار فى ثانى عشر شهر رجب و كان من جملة أمراء العشرات.

و توفّى الشيخ الأديب المادح أبو الفتح محمد بن الشيخ العارف على البديوىّ فى ثامن عشر جمادى الآخرة بالنّحريرية، و كان أكثر شعره مدائح.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ١۶٧

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و اثنا عشر إصبعا- مبلغ الزيادة. تسعة عشر ذراعا و سبعة أصابع و اللّه تعالى أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ١۶٨

[ما وقع من الحوادث سنة ٨٠١]

ذكر سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الأولى على مصر

السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر أبى سعيد برقوق بن الأمير آنص، الجاركسى الأصل، المصرىّ المولد و المنشأ، سلطان الديار المصرية، و البلاد الشامية، و الأقطار الحجازية، و هو السلطان السادس و العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية، و الثانى من الجراكسة، و أمّه أم ولد رومية تسمّى شيرين، ماتت فى سلطنته. مولده فى سنة إحدى و تسعين و سبعمائة، قبل خلع أبيه الملك الظاهر برقوق من السلطنة، و حبسه بالكرك، فأراد أن يسمّيه «بلغاك» يعنى «تخبيط» باللغة التركية، فسمّى «فرجا».

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل صبيحة موت أبيه يوم الجمعة النصف من شوّال سنة إحدى و ثمانمائة بعهد من أبيه إليه حسب ما تقدّم ذكره، فى أواخر ترجمة أبيه، و حسب ما نذكره أيضا.

و فى سلطنته يقول الأديب المقرئ شهاب الدين أحمد بن عبد اللّه بن حسن الأوحدى: [الطويل]

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك إلى ربّه يرقى إلى الخلد فى الدرج

و قالوا ستأتى شدّة بعد موته فأكرمهم ربّى و ما جا سوى (فرج)

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ١۶٩

ذكر جلوسه على تخت الملك

قال الشيخ تقىّ الدين المقريزى- رحمه اللّه تعالى-: و لمّا كان صبيحة يوم الجمعة اجتمع بالقلعة الأمير الكبير أيتمش، و الأمير تغرى بردى أمير سلاح، و سائر أمراء الدولة، و استدعى الخليفة و قضاة القضاة، و شيخ الإسلام البلقينى، فلما تكاملوا بالإسطبل السلطانى، أحضر فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق، و خطب الخليفة و بايعه بالسلطنة و قلّده أمور المسلمين، و أحضرت خلعة سوداء فأفيضت على فرج المذكور، و نعت بالملك الناصر، و ركب بشعار السلطنة، و طلع حتى جلس على تخت الملك بالقصر السلطانى، و قبّل الأمراء كلّهم الأرض بين يديه على العادة، و لبس الخليفة تشريفا جليلا، ثم أخذ الأمراء فى تجهيز السلطان الملك الظاهر برقوق. انتهى كلام المقريزى.

قلت: و نـذکر الآن فی ابتداء دولة الملک الناصـر فرج اسم خلیفة الوقت و لقبه، و قضاة القضاة، و أرباب الوظائف من الأمراء و غیرهم من النوّاب، بالبلاد الشامیة، لیکون ذلک مقدّمة لما یأتی من تغییر الوظائف و تقلّبات الدّول. انتهی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۰

فخلیفة الوقت: أمیر المؤمنین المتوکّل علی اللّه أبو عبد اللّه محمد العباسـیّ، و القاضـی الشافعی صدر الدین محمد المناوی، و القاضی الحنفی جمال الـدین یوسف الملطی، و القاضـی المالکیّ ولیّ الدین عبد الرحمن بن خلدون، و القاضـی الحنبلی برهان الدین إبراهیم بن نصر اللّه العسقلانی، و الأمیر الکبیر أتابک العساکر أیتمش البجاسیّ، و أمیر سلاح تغری بردی من یشبغا الظاهریّ (أعنی الوالد)، و أمیر مجلس أرغون شاه البیدمری الظاهری، و الأمیر آخور الکبیر سیّدی سودون قریب الملک الظاهر برقوق، و حاجب الحجاب فارس الأعرج الظـاهری، و رأس نوبـة النّوب أرسـطای، و الـدوادار الکـبیر بیـبرس ابن أخت السـلطان الملـک الظـاهر، و الخازنـدار یشـبک الشـعبانی الظاهریّ، و هو أمیر مائـة و مقـدّم ألف، و شادّ الشـراب خاناه سودون الماردانیّ، و الأسـتادار الأمیر یلبغا الأحمـدی الظاهری المجنون، و کاتب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۱

السرّ فتـح الدین فتح اللّه التّبریزیّ، و الوزیر تاج الدین عبد الرزّاق بن أبی الفرج، و ناظر الجیش و الخاصّ معا سـعد الدین إبراهیم بن غراب، و محتسب القاهرة الشیخ تقیّ الدین أحمد المقریزیّ، و والی القاهرة شهاب الدین أحمد بن الزین، بالبلاد الحجازیة و الشامیة، و أمیر مکـة الشـریف حسن بن عجلاـن الحسـنیّ، و أمیر المدینـة النبویـة الشـریف ثـابت بن نعیر الحسـینیّ، و نائب الشام الأمیر تنبک الحسـنی المعروف بتنم الظـاهری، و نـائب حلب آقبغا الجمالی الظاهری، المعروف بالأطروش و نائب طرابلس یونس بلطا الظاهری، و نـائب حمـاة دمرداش المحمـدی الظـاهری، و نـائب صـفد ألطنبغـا العثمـانی الظـاهری، و نـائب غزّة ألطنبغا الحاجب الظاهری، و نائب الکرک سودون الشمسیّ الظاهری المعروف بالظریف، و عدّة نوّاب أخر بقلاع الساحل و غیرها یطول الشرح فی ذکرهم.

و لمّـا تم أمر الملک الناصـر فرج فی الملک، بعـد أن دفن والـده، و صار الأتابک أیتمش مـدبّر ملکه، أراد أیتمش أن یطلع إلی باب السلسـلة و یسـکن بالإسـطبل السـلطانیّ، فمنعه من ذلـک الأـمیر سودون الأـمیر آخور الکبیر، قریب الملک الظاهر، و ردّ ما بعته الأمیر الکبیر أیتمش من القمـاش، فاسـتدعی سودون إلی حضـرة السـلطان فـامتنع، فأمسـک أیتمش عن الکلاـم فی ذلک، و تکلّم فیما یعود نفعه، فأمر فکتب إلی سائر الأقطار بالعزاء فی الملک الظاهر برقوق، و الهناء بسـلطنة ولـده الملک الناصـر فرج، و کتب تقلید الشـریف حسن بن عجلان بإمرة مکّة، و کان بالقاهرة، و کتب إلی مکّة و بها الأمیر بیسق الشـیخی والی المدینـة النبویـة، و توجّه بذلک بعض الخاصکیة، و کتب إلی الأمیر نعیر بن حیّار بإمرة آل فضل علی عادته،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۲

و عزل الأمیر شمس الدین محمد بن عنقاء بن مهنّا، و عرف بموت الملک الظاهر، و بسلطنة الملک الناصر فرج؛ و حمل إلیه التشریف و التقلید علی ید الأمیر أسنبغا الدوادار، و عیّن الأمیر سودون الطّیار الأمیر آخور بالکتب و الخلع إلی نائب الشام الأمیر تنم الحسنی، و عیّن یلبغا الناصری رأس نوبة إلی الأمیر آقبغا الجمالی نائب حلب، و عیّن الأمیر تغری بردی قرا إلی الأمیر یونس بلطا نائب طرابلس، و عیّن الأمیر یشـبک إلی الأمیر ألطنبغا العثمانی نائب صفد، و عیّن الأمیر شاهین کنک إلی الأمیر سودون الظریف نائب الکرک، و علی یـد کل من هؤلاء کتاب یتضـمّن العزاء و الهناء، و أن یحلّف کلّ نائب أمراء بلـده للملک الناصـر فرج علی العادة، و قرر الأمیر الکبیر أیتمش مع أرباب الدولة إبقاء الأمور علی ما هی علیه.

ثم کلّم الوزیر و الأستادار فی الکفّ عن الظلم و تجهیز الجامکیة و العلیق برسم لممالیک السلطانیة.

و فی یوم الاثنین ثامن عشـر شوّال خرج رکب المحمل إلی البرکـة صـحبة أمیر الحج الأمیر شـیخ المحمودیّ الظاهریّ، «أعنی الملک المؤید»، و أمیر الرکب الأوّل الأمیر الطواشی بهادر مقدّم الممالیک السلطانیة.

و فى اليوم المذكور اجتمع الأمراء بالقلعة فى الخدمة السلطانية على عادتهم، و طلبوا الأمير سودون أمير آخور، فامتنع عن الحضور، فبعث الأمراء إليه ثانيا فامتنع، فكرروا الإرسال إليه ثلاث مرات إلى أن حضر فكلّموه فى النزول من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٧٣

الإسطبل فلم يجبهم إلى ذلك، فتخيّلوا منه و اتّهموه بأنه يريد إثارة فتنة، فقبضوا عليه و على الأمير علىّ بن إينال اليوسفى، و أخرجوا ما كان له بالإسطبل من خيول و قماش و نحو ذلك، و سكن الأتابك أيتمش مكانه بالإسطبل من باب السلسلة، و أنزل سودون و على بن إينال فى الحديد إلى الحرّاقة و جهزا إلى سجن الاسكندرية ثم نودى بالقاهرة و مصر بخروج طائفة العجم من الديار المصرية، و هدّد من تأخّر بعد ثلاثة أيام بالقتل.

ثم خلع على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار باستقراره (لا لا) السلطان الملك الناصر فرج، و معه الأمير قطلوبغا الكركى (لا لا) أيضا.

و لمّا كان يوم حادى عشرين شوّال جلس السلطان الملك الناصر فرج بدار العدل، «أعنى بالإيوان من قلعة الجبل» على عادة الملوك، و خلع على الأمير الكبير أيتمش، و على الوالد الأمير تغرى بردى و هو أمير سلاح، و على أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس؛ و على بيبرس الدوادار، و أرسطاى رأس نوبة النّوب، و فارس حاجب الحجّاب، و تمربغا المنجكى الحاجب الثانى، و أحد مقدّمى الألوف، و على يلبغا المجنون الأستادار، و على جميع أرباب الدولة.

ثم قام السلطان من دار العدل و دخل إلى القصر، و جلس القضاة بجامع القلعة حتى يخلع عليهم، فعند ما تكامل الأمراء و أرباب الدولة بالقصر، أغلق الأمراء الخاصكية باب القصر، و كان رئيسهم يوم ذاك سودون طاز، و سودون من زادة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٧٤

و آقباى رأس نوبة، و جاركس القاسمى المصارع، ثم سلّوا سيوفهم بمن معهم، و هجموا على الأمراء و قبضوا على أرسطاى رأس نوبة النّوب، و تمراز و تمربغا المنجكى، و طغنجى و بلاط السعدى، و طولو رأس نوبة، و فارس الحاجب، و فرّ مبارك شاه و طبج، فأدركا، و قبض عليهما أيضا، و بلغ ذلك يلبغا المجنون الأستادار و كان خارج القصر، فخلع خلعته و سلّ سيفه، و نزل من القلعة إلى داره.

ثم أحضر الخاصكيّة الأمراء المقبوض عليهم إلى عند الأمير الكبير أيتمش و قد بهت و أسكت، و قيّدوا أرسطاى رأس نوبة النّوب، و تمراز و تمربغا المنجكى؛ و طغنجى أحد أمراء الطبلخانات، و أطلقوا من عداهم، و استدعوا يلبغا المجنون الأستادار، فلمّا حضر قبض عليه أيضا و قيّد و أضيف إلى الأمراء المقبوض عليهم و أنزل الجميع من يومهم إلى الحرّاقة، و توجّهوا إلى سجن الإسكندرية، ما خلا يلبغا المجنون فإنه فى يوم السبت ثالث عشرينه عصر يلبغا المجنون ليحضر المال، ثم أسلموه لسعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش و الخاصّ ليحاسبه، فنزل به إلى داره، و سألوا يلبغا السالمىّ بوظيفته الأستادارية فامتنع، فعرضوها على ناصر الدين محمد بن سقر و ابن قطينة فلم يوافقا، فخلع على الأمير مبارك شاه باستقراره أستادارا عوضا عن يلبغا المجنون.

و فيه أنفق على المماليك السلطانية نفقة سلطنة الملك الناصر، و تولّى الإنفاق عليهم يلبغا السالمى، و فرّقت بحضرة السلطان و الأمراء، فأعطى كلّ مملوك من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٧٥

من أرباب الخدم الجوانية و المشتروات ستين دينارا؛ صرف كل دينار ثلاثون درهما.

و فى يوم الاثنين خامس عشرينه، تأخّر سائر أمراء الألوف عن طلوع الخدمة السلطانية خوفا من الخاصكيّة، فإن الأمور صارت معذوقة بهم، فبعث الخاصكية إلى الأمراء بالحضور فأبوا ذلك، فنزل الخاصكيّة إلى الإسطبل فى خدمة الأمير الكبير أيتمش، و استدعوا الأمراء من منازلهم فحضروا، و كثر الكلام بينهم حتى اتفقوا جميعا، و تحالفوا على طاعة الأمير الكبير أيتمش، و الملك الناصر، و حلف لهم أيضا أيتمش، ثم حلف سائر المماليك و الخاصكيّة، و تولّى تحليفهم يلبغا السالمىّ، و خلع على سودون الماردانى باستقراره رأس نوبة النّوب عوضا عن أرسطاى المقبوض عليه قبل تاريخه، و على قطلوبغا الحسنىّ الكركى باستقراره شادّ الشراب خاناه، عوضا عن

سودون الماردانى، و أنعم على الأمير قراكسك بإمرة مائة، و تقدمة ألف كانت مؤخّرة.

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شوّال خلع على الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبى الفرج باستقراره فى وظيفة الأستادارية مضافا للوزر عوضا عن مبارك شاه بحكم استعفاء مبارك شاه.

و فيه كتب مرسوم سلطانىّ باستقرار قرا يوسف بن قرا محمد صاحب تبريز فى نيابة الرّهاء على عادته، و باستقرار دمشق خجا فى نيابة جعبر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٧٦

و فيه ورد الخبر بأن أبا يزيد بن عثمان ملك الروم تحرّك للمشى على البلاد الشامية، و فى ثامن عشرين شوّال، ورد الخبر بأن الأمير تنم الحسنى نائب الشام أخذ قلعة دمشق، و كان خبر أخذه لقلعة دمشق أنّ تنم كان بالمرج من غوطة دمشق، فقدم عليه الخبر بموت الملك الظاهر برقوق، فركب و قصد دمشق و لم يشعر به الناس، فى ليلة الأربعاء العشرين من شوّال، حتى حضر إلى دار السعادة ثلث الليل، فلما أصبح استدعى الأمير جمال الدين يوسف الهيدبانىّ نائب قلعة دمشق، بحجة أن الملك الظاهر برقوقا طلبه إلى الديار المصرية، فعندما نزل إليه أمسكه و بعث من تسلّم قلعة دمشق، فلم يعلم أحد ما قصده تم المذكور إلى أذان الظهر، فوصل فارس دوادار تنم من مصر، و أخبر بموت الملك الظاهر، و سلطنة ولده الملك الناصر فرج، و أخبر أيضا بأن سودون الطيّار قادم بالخلعه إلى الأمير تنم، فخرج الأمير تنم إلى لقائه، و لبس الخلعة، و باس الأرض خارج مدينة دمشق، ثم عاد إلى دار السعادة و قد اجتمع بها القضاة و الأعيان، و قرئ عليهم كتاب السلطان الملك الناصر فرج، فأجابوا بالسمع و الطاعة، و نودى بدمشق بالأمان و الزينة، فزيّنت البلد، و دقّت البشائر، و سرّ الناس بذلك، و أخذ الأمير تنم يقول بأنّ السلطان صغير، و كلّ ما يصدر ليس هو عنه، و إنما هو عن الأمراء، و أنا وصىّ السلطان لا يعمل أحد شيئا إلا بمراجعتى و نحو هذا، فاضطرب الناس بدمشق، و بلغ ذلك نائب حمص، فأخذ قلعتها، و أخذ أيضا نائب حماة قلعة حماة، كلّ ذلك قبل تكملة خمسة عشر يوما من سلطنة الملك الناصر فرج.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٧٧

ثم فى أوّل ذى القعدة ركب الأمير طغاى تمر مقدّم البريدية من مصر على البريد إلى البلاد الشامية، و معه ملطّفات لأمراء الورسق و الأمراء الأوجقيّة، و مطلق لنواب الممالك و القلاع، و مثال لأحمد بن رمضان نائب أذنة و لأمراء التّركمان، و لنائب حلب، و لنائب سيس و صحبته أقبية مطرّزة بفرو؛ خمس عشرة قطعة، و فوقانيات حرير بطرز زركش؛ أربع و عشرون قطعة، و تشاريف عدّة كبيرة.

و فى ثالث ذى القعدة فرغ تحليف المماليك السلطانية للملك الناصر فرج.

و فيه أنعم على الأمير إينال باى من قجماس بإمرة مائة و تقدمة ألف، و هو خبز أرسطاى رأس نوبة النّوب، و على سودون من على بك المعروف بطاز، بتقدمة الأمير سودون أمير آخور المقبوض عليه، و على آقباى من حسين شاه، بتقدمة ألف أيضا عوضا عن تمربغا المنجكىّ، و أنعم على الأمير يعقوب شاه الخازندار بإمرة طبلخاناه زيادة على طبلخاناته، فصارت تقدمته بثمانين فارسا «أعنى إمرة ثمانين»، و أنعم على كل من قرابغا الأسنبغاوى و ينتمر المحمدى و آقباى الإينالى بإمرة طبلخاناه، و على جرباش الشيخى بإقطاع يلبغا المجنون، إمرة خمسين فارسا و على آقبغا المحمودى بإمرة طبلخاناه أيضا و على كلّ من تمر الساقى و جركس القاسمىّ المصارع، و إينال حطب، و كمشبغا الجمالى، و ألطنبغا الخليلىّ، و كزل العجمىّ البجمقدار، و قانى باى العلائى، و جكم من عوض، و صوماى الحسنى بإمرة عشرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٧٨

و فى سابعه خلع على سودون الماردانى باستقراره رأس نوبة النّوب، و كانت عيّنت له قبل ذلك، غير أنه كان متوعّكا، و على يعقوب شاه الظاهرى باستقراره حاجبا ثانيا، عوضا عن تمربغا المنجكى بإمرة ثمانين، و على كلّ من سودون من زاده، و تنكزبغا الحططىّ، و بشباى و جكم من عوض، و آقبغا المحمودى الأشقر و استقروا رءوس نوب صغارا.

و فى تاسعه خلع على قرابغا الأسنبغاوى و مقبل الظاهرى، و استقروا حجّابا، فصارت الحجّاب ستة بالديار المصرية، و رءوس نوب نحو العشرة، و هذا شيء لم يكن قبل ذلك.

ثم حضر الأمير دقماق المحمّدى معزولا عن نيابة ملطية بتقادم كثيرة.

و فى ثانى عشره خلع على الأمير جرباش الشيخى و تمان تمر، باستقرارهما رءوس نوب أيضا، فزادت عدّة رءوس النّوب على العشرة، و خلع على كزل المحمدى العجمى البجمقدار باستقراره أستادار الصحبة، عوضا عن قرابغا الأسنبغاوى، المنتقل إلى الحجوبية، و خلع على كل من الطواشيين: شاهين الحسنى الأشرفى، و عبد اللطيف الأشرفى باستقرارهما (لالا) السلطان.

و فى سابع عشره استدعى الأمير الكبير الشيخ سراج الدين عمر البلقينىّ و القضاة و أعيان الفقهاء من كل مذهب، فحضر الجميع عند الأمير الكبير بالإسطبل، و قد حضر الأمراء و الخاصكيّة بسبب الأموال التى خلّفها السلطان الملك الظاهر برقوق، هل تقسّم فى ورثته؟ أو يكون ذلك فى بيت مال المسلمين؟ فوقع كلام كثير آخره أن تفرّق فى ورثته من السدس، و ما بقى فلبيت المال.

و فيه استقرّ الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس فى نظر خانقاه شيخون عوضا عن يلبغا السالمى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۷۹

و فى حادى عشرين ذى القعدة، استقر الأمير سودون الطيّار أمير آخورا كبيرا، عوضا عن سودون قريب السلطان، بعد أن شغرت عدّة أيام.

و فى ثالث عشرينه خلع على أستادار الوالد؛ شهاب الدين أحمد بن عمر المعروف بابن قطينة باستقراره وزيرا، عوضا عن تاج الدين بن أبى الفرج.

[و خلع أيضا على يلبغا السالمى الظاهرى باستقراره أستادارا عوضا عن ابن أبى الفرج] المذكور، و قبض على تاج الدين بن أبى الفرج و صودر، فلم تطل مدة ابن قطينة فى الوزر، و عزل بفخر الدين ماجد بن غراب فى رابع ذى الحجة و عاد إلى أستادارية الوالد على عادته.

ثم قدم الخبر فى ثامن عشر ذى الحجة بأن ابن عثمان أخذ الأبلستين و ملطية، و عزم على المسير إلى البلاد الشامية، فعمل الأمراء مشورة فى أمره، و اتفق الحال على المسير إلى قتاله، و تفرّقوا فأنكر المماليك السلطانية ذلك، و قالوا هذه حيلة علينا حتى نخرج من القاهرة، و عيّنوا سودون الطيّار الأمير آخور لكشف هذا الخبر، و حضر البريد من دمشق بأن علاء الدين بن الطبلاوى ترك لبس الأمراء، و تزيّا بزىّ الفقراء، و امتنع من الحضور إلى مصر، و كان طلب إليها، و أن تنم نائب الشام قال: هذا رجل فقير قد قنع بالفقر، اتركوه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۰

و فى يوم ثامن عشر المذكور خرج سودون الطيّار لكشف الأخبار، فدخل دمشق فى العشرين منه، و هذا شىء من وراء العقل، كونه يصل من مصر إلى الشام فى يومين.

و فى أواخر ذى الحجة قدم الخبر بأن تنم نائب الشام خرج عن الطاعة، و قبض جانبك اليحياوى الظاهرى، الذى كان ولى نيابة قلعة دمشق، و لم تسلّم له قلعة دمشق، و أنه أرسل إلى نائب الصّبيبة. فأفرج عن آقبغا اللكّاش، و ألجيبغا الحاجب، و خضر الكريمى، و استدعاهم إلى دمشق، فقدموا عليه، فلم يتحرّك بسبب ذلك ساكن بمصر لاختلاف الكلمة.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۲]

اشارة

ثم فى يوم الثلاثاء حادى عشرين المحرم سنة اثنتين و ثمانمائة، ركب السلطان الملك الناصر من قلعة الجبل، و معه الأمير الكبير أيتمش البجاسى، و الوالد أمير سلاح، و سائر الأمراء، و نزل إلى تربة أبيه بالصحراء وزاره، ثم عاد بعد أن شقّ القاهرة، و طلع إلى القلعة، و هذا أوّل ركوب الملك الناصر.

ثم فى هذه الأيام تزايد الاختلاف بين أكابر الأمراء، و بين الأمراء الخاصّكية و اشتدّت الوحشة بين الطائفتين، و اتّفق سودون طاز، و سودون من زاده، و جركس القاسمى المصارع، و آقباى من حسين شاه، و بشباى و غيرهم، و انضموا على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار، و صاروا فى عصبة قوية و شوكة شديدة، و استمالوا جماعة كبيرة من خجداشيّتهم الظاهرية، الذين بالأطباق من القلعة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٨١

و تأكّدت الفتنة، و شرعت كلّ من الطائفتين تدبّر على الأخرى، فأخذ الأمراء الخاصكيّة يتخوّفون من تنم نائب الشام، فأرسلوا بتفويض أمور البلاد الشامية إليه، فلما وصل ذلك إلى تنم على يد مملوكه سونجبغا، فى ثالث عشر المحرم، و قرئ المرسوم الشريف الذى على يده بدار السعادة، و فيه أنه يعزل من شاء، و يولّى من شاء، و يطلق من شاء من المسجونين، فأرسل أطلق الأمير جلبان الكمشبغاوى الظاهرى المعروف بقراسقل المعزول عن نيابة حلب، ثم عن أتابكيّة دمشق، من سجن قلعة دمشق فى ليلة الجمعة رابع عشرين المحرم، و أطلق أيضا الأمير أزدمر أخا إينال اليوسفى، و محمد بن إينال اليوسفى، من سجن طرابلس و أحضرهما إلى دمشق، ثم بعث إلى نوّاب البلاد الشامية يدعوهم إلى طاعته، و إلى القيام معه فأجابه الأمير آقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب، و الأمير يونس بلطا نائب طرابلس، و الأمير ألطنبغا العثمانى الظاهرى نائب صفد، و امتنع من إجابته الأمير دمرداش المحمدى الظاهرى، نائب حماة، ثم بعث تنم إلى طرابلس بتجهيز شينى فى البحر إلى ثغردمياط، ليحمل فيه الأمير نوروز الحافظى، و غيره من الأمراء الذين بثغردمياط، فبادر ناصر الدين محمد بن بهادر المؤمنى، فتسلم برج الأمير أيتمش بطرابلس، و ركب البحر إلى دمياط، و قدم إلى القاهرة، و أعلم القوم بما قصده تنم، فكتب على يده عدّة ملطّفات إلى الأمير قرمش حاجب حجّاب طرابلس، و إلى القضاة و الأعيان بأن قرمش يركب على يونس بلطا نائب طرابلس و يقتله، و يلى نيابة طرابلس عوضه، فاتفق أنّ يونس المذكور قبض على قرمش الحاجب و قتله قبل وصول ابن بهادر إلى طرابلس، ثم إن تنم استدعى الأمير علاء الدين علىّ بن الطبلاوى المقدّم ذكره فى ترجمة الملك الظاهر برقوق لمّا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٨٢

صودر و حبس بخزانة شمائل، ثم نفى و خلع عليه، و أقامه متحدّثا فى أمور الدولة:

كما كان فى ديار مصر، فأخذ ابن الطبلاوى هذا فى الإفحاش فى أمر الشاميّين، و طرح عليهم السّكّر الواصل من الغور، بحيث إنه طرح ذلك على الناس، حتى على الفقهاء و نقباء القضاة، فتنكّرت القلوب عليه، و قدم الخبر بهذا كلّه إلى الديار المصرية، فتحقّق عند ذلك أعيان الدولة عصيان تنم و صرّح الأمراء الخاصكية بأن الأمير الكبير أيتمش، و الوالد و جماعة من أكابر الأمراء بالديار المصرية، قد وافقوا تنم على ذلك، و كاتبوه بالخروج، و لم يكن لذلك صحّة، فأخذ الأمراء الخاصّكية و كبيرهم يشبك الشعبانىّ الخازندار، فى التدبير على أيتمش و رفقته، و اتفقوا على أمر يكون فيه زوال أيتمش و أصحابه، و علّموا السلطان الملك الناصر فرجا يقول يقوله إلى أيتمش.

فلمّا كان يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول من سنة اثنتين و ثمانمائة و جميع الأمراء بالخدمة السلطانية، ابتدأ السلطان الملك الناصر بالكلام مع الأمير الكبير أيتمش، و قال له: يا عمّ أنا قد أدركت و بلغت الحلم، و أريد أن أرشد فقال له أيتمش: السمع و الطاعة، و اتّفق مع الأمراء الخاصكيّة على ترشيد السلطان و صوّب ذلك جميع الأمراء؛ إلّا الوالد و فارس الحاجب، و خالفا الجميع، فأخذ الأتابك أيتمش يحسّن ذلك للوالد و لفارس، حتى أذعنا على رغمها لترشيد السلطان و أنهم يمتثلون بعد ترشيده سائر ما يرسم به، و طلب فى الحال الخليفة و القضاة و السراج البلقينىّ و مفتى دار العدل فحضروا، و قام سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش و

الخاصّ، و ادّعى على الأمير الكبير أيتمش، بأن السلطان قد بلغ رشده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۳

و شـهد عدّة من الأمراء الخاصـكيّة بذلك، و لم يكن لذلك صحّة فحكم القضاة بعد البيّنة برشد السلطان، و خلع على الخليفة و قضاة القضـاة و على الأـمير الكبير أيتمش و انفضّ الموكب، و نزل الأمير الكبير إلى داره التى كان يسـكن بها بالقرب من باب الوزير و معه جميع الأمراء، فلما سار أيتمش حتى صار تحت الطبلخاناه السـلطانية، و طلب أن يسلّم على الأمراء، و التفت برأس فرسه، و قد وقف له جميع الأمراء لردّ سـلامه، و قبل أن يسـلّم عليهم، قال له الوالد: إلى أين يتوجّه الأمير الكبير من هنا؟ قال الأمير أيتمش: إلى بيتى! أو ما علمت بمـا وقع عليه الاتفـاق من ترشـيد السـلطان، و أنه يسـتبدّ بالأـمور، و أنزل أنا من باب السّلسـلة إلى دارى! فقال الوالـد: نعم، وقع ذلك، غير أنه بنزولك تسـكن الفتنة، اطلع إلى باب السلسـلة، و امكث به اليوم، و خذ فى نقل قماشك شـيئا بعد شىء إلى الليل حتى نبرم أمرا نفعله فى هـذه الليلـة، فإذا أصـبحت فانزل إلى دارك، فقال أيتمش: يا ولـدى! ليس ذلك مصـلحة و يقيم- من له غرض فى إثارة الفتنـة- الحجّة علينا، فألـح عليه الوالـد حتى سـمع كلامه كلّ أحـد، و أيتمش لا يـذعن إليه، و أبى إلّا النزول إلى داره، ثم سـلّم عليهم، و التفت برأس فرسه، فقال الوالـد: أخربت بيتك و بيوتنا بسوء تـدبيرك، و عاد الوالـد إلى جهة داره، بخط الصـليبة عند حمام الفارقانى، و معه سائر الأمراء،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۴

فكلّمهم فى الطريق و قال: هؤلاء الأجلاب لابـدّ لهم معنا من رأس، فإن كان و لابـد يكون ذلك فى الإسـطبل السـلطانى معنا، و ندب الأمراء إلى أن يتوجّهوا إلى أيتمش فى ذلك، فقالوا: قـد فات الأمر، و نزل إلى داره، ثم توجّه كلّ واحـد إلى منزله، و فى الحال دقّت البشائر لترشـيد السـلطان، و زيّنت القاهرة، و افترق العسـكر فرقتين: فرقـة مع الأمير الكبير أيتمش البجاسـى، و هم جميع أكابر الأمراء و المماليك القرانيص، و فرقـة مع الأمير يشـبك الشـعبانى الخازنـدار، و هم الأمراء الخاصـّكيّة و مماليك الأطباق، و قويت شوكة الأمير يشـبك بعجز أيتمش و عدم أهليته فى القيام بتدبير الأمور من يوم مات الملك الظاهر برقوق، و اسـتمر ذلك إلى ليلة عاشـر شهر ربيع الأول المذكور، و قد ندم الأمير الكبير أيتمش على نزوله من باب السلسـلة، حيث لا ينفعه الندم، و لم يجد بدّا من الركوب، و اتّفق مع الأمراء على الركوب

ذكر الواقعة بين الأتابك أيتمش و بين يشبك و غيره

و لما كان ليلة الاثنين عاشـر شهر و بيع الأول، اتفق الأمراء الأكابر مع الأمير الكبير أيتمش، و لبسوا الجميع آلة الحرب، و اجتمعوا على الأتابك أيتمش بداره بخط باب الوزير، بعد نزول أيتمش من باب السلسلة بثلاثة أيام، و أخذ بعض رفقته من أكابر الأمراء يلومه على نزوله من الإسـطبل السـلطانى، و على عـدم ميله لكلاـم الأـمير تغرى بردى (أعنى الوالـد) فى النزول، فقـال: هكـذا قـدّر، و كان سـبب ركوب أيتمش بعد نزوله من الإسـطبل أنه لمّا وقع ترشـيد السـلطان، و اتفقوا معه على أن ينزل إلى داره ظنّ أيتمش أن بنزوله تسـكن الفتنة، و تطمئن الخواطر، و يصير هو على عادته رأس مشورة، و لا يعمل شىء إلّا بعد مشاورته،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۸۵

فتمشى الأحوال بذلك على أحسن وجه؛ و لم يدر أن القصد كان بنزوله من باب السلسلة حتى يضعف أمره؛ و تصير القلعة بأسرها فى أيـدى الجماعـة؛ و يسـتبدّوا بالأمر من غير مشارك؛ ثم يقبضوا على واحـد واحد، حتى يصـفو لهم الوقت؛ و فطن الوالد لذلك فعرّف أيتمش بالمقصود و قال له: إنّه لا بـدّ لهؤلاء الجماعـة من إثارة فتنـة فإن كان و لا بـدّ فيكون ذلك و نحن ملّاك باب السلسـلة؛ و هى شطر القلعة، فأبى إلّا ما أراد اللّه تعالى، و نزل إلى داره و أقام يومه، ثم أصبح و قد تحقّق ما قاله الوالد و غيره، و علم أنه متى ظفروا به و بالأـمراء رفقته قبضوا عليهم، فلم يجـد بـدّا من الركوب و ركب إلى الوالـد فى ظهر نهـاره و ترضـاه، حـتى وافقه، فعنـد ذلـك وافقه

الجميع، و اتّفق رأيهم على الركوب فى ليلة الاثنين المذكورة، فركبوا بعد صلاة العشاء الأخيرة، و هم جماعة كثيرة من أمراء الألوف و الطبلخانات و العشرات و المماليك السلطانية القرانيص، فالذى كان معه من مقدمى الألوف: الأمير تغرى بردى من يشبغا أمير سلاح (أغنى عن الوالد)، و الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس، و فارس حاجب الحجاب، و يعقوب شاه الحاجب الثانى، و من أمراء الطبلخانات ألطنبغا شادى، و شادى خجا العثمانى، و تغرى بردى الجلبانى، و بكتمر الناصرىّ المعروف بجلّق، و تنكزبغا الحططى، و آقبغا المحمودى الأشقر، و عيسى فلان والى القاهرة، و من العشرينات أسندمر الإسعردىّ، و منكلى العثمانى، و يلبغا من خجا الظريف، و من العشرات خضر بن عمر بن بكتمر الساقى، و خليل بن قرطاى شادّ العمائر، و على بلاط الفخرى، و بيرم العلائى، و أسنبغا المحمودى، و محمد بن يونس النّوروزى، و ألجيبغا السلطانى و تمان تمر الإشقتمرى، و تغرى بردى البيدمرى، و أرغون السّيفىّ، و يلبغا المحمودى، و باى خجا الحسنىّ، و أحمد بن أرغون شاه الأشرفى، و مقبل الحاجب، و محمد بن على بن كلبك نقيب الجيش و خير بك من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٨٦

حسن شاه: و جلبّان العثمانى، و كزل العلائى و يدى شاه العثمانى، و كمشبغا الجمالى، و ألطنبغا الخليلى، و ألطنبغا الحسنى، و نحو الألف مملوك من أعيان المماليك السلطانية، و خرج أيتمش إلى داره ملبسا هو و مماليكه، و كانوا نحو الألف مملوك، و صحبته الأمراء المذكورون، و عبّى عساكره، و أوقف طلبه و مماليكه بمن انضاف إليهم من أمراء الطبلخانات و العشرات، و المماليك السلطانية بالصّوّة، تجاه باب المدرّج أحد أبواب قلعة الجبل، و أصعد جماعة أخر من حواشيه إلى سطح المدرسة الأشرفية التى مكانها الآن بيمارستان الملك المؤيد شيخ، ليرموا على من بالطبلخاناة السلطانية و يحموا ظهور مماليكه، و لم يخرج هو من بيته و كان الذى رتب العساكر الوالد، و وقف الأمير فارس حاجب الحجّاب و معه جماعة من أمراء الطبلخانات و العشرات، فى رأس الشارع الملاصق لمدرسة السلطان حسن، المتوصّل منه إلى سوق القبو، ليقاتل من يخرج من باب السلسلة من السلطانية، و وقف الوالد و معه الأمير أرغون شاه أمير مجلس، برأس سويقة منعم من خط الصليبة، تجاه القصر السلطانى و تفرقت الأمراء و المماليك ثلاث فرق: كل فرقة إلى جهة من الأمراء المذكورين مع من انضاف إليهم من المماليك البطالة و الزّعر و غيرهم، و أخذ كلّ واحد من هؤلاء الأمراء يعبّئ طلبه و عساكره، على حسب ما يختار، كلّ ذلك فى الليل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٨٧

و أمّا أهل القلعة فإن الأمير يشبك الشعبانىّ الخازندار لمّا سمع بذلك ركب إلى القلعة هو و بيبرس الدّوادار و طلعا إلى السلطان، و قد اجتمع غالب الأمراء و الخاصكيّة من الظاهرية عند السلطان، و طلب يشبك فى الحال مماليك الأطباق، و أمرهم يلبس السلاح و لبس هو و جميع الأمراء، و حرّضهم على قتال أيتمش و رفقته، و خوّفهم عاقبة الأمر، و قال لهم: هؤلاء و إن كانوا خشداشيّتنا، فقد صاروا الآن أجانب، و تركوا خبز الملك الظاهر برقوق، و خرجوا على ولده، و أرادوا يسلطتون أيتمش و نحن نقاتل مع ابن أستاذنا حتى نموت، فأجابه جميع المماليك الجلبان و ظنوا أن مقالته حقيقية، و فى الحال دقّت الكوسات الحربية بالقلعة و لبس سائر الأمراء الذين بالقلعة، و هم: بيبرس الدوادار ابن أخت الملك الظاهر برقوق، و يشبك الشعبانى الخازندار المقدّم ذكره، و سودون الماردانى رأس نوبة النّوب، و سودون من على بك طاز، و إينال باى بن قجماس، و يلبغا الناصرى. و بكتمر الرّكنى و دقماق المحمدى المعزول عن نيابة ملطية، و شيخ المحمودى (أعنى المؤيّد) و آقبغا الطرنطائى و الجميع ألوف، و جماعة أخر من الطبلخانات و العشرات، و أما المماليك السلطانية فمعظمهم، و نزل السلطان الملك الناصر فرج من القصر إلى الإسطبل السلطانى، و وقع القتال بين الطائفتين من وقت عشاء الأخيرة إلى باكر النهار و معظم قتال أهل القلعة مع الذين كانوا برأس سويقة منعم، و تصادموا غير مرّة، و بينما القتال يشتدّ أمر الأتابك أيتمش البجاسى فنودى من قبض على مملوك جركسىّ و أحضره إلى الأمير الكبير أيتمش فله كيت و كيت، فلمّا سمعت الجراكسة الذين كانوا من حزب أيتمش ذلك حنقوا منه و توجّه أكثرهم إلى السلطان، مع أن أيتمش كان من أعظم

الجراكسة؛ غير أن زوال النعم شئ آخر، فعند ذلك كثر جمع السلطانية و قوى أمرهم، و حملوا على الوالد، و بمن معه و هو برأس سويقة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٨٨

منعم، فكسروه، فمرّ بمن معه من الأمراء و مماليكه حتى اجتاز بداره، و هى دار طاز بالشارع الأعظم تجاه حمّام الفارقانى، و القوم فى أثره، فحمى ظهره مماليكه الجلبان الذين بالأطباق بالرمى على السلطانية، حتى تركوه و عادوا، و مرّ الوالد حتى لحق بالأمير أيتمش بالصّوّة.

و أما السلطانية فإنهم لمّا كسروا الوالد، و كان الأهم عادوا لقتال فارس الحاجب، و كان فارس من الفرسان المعدودة الأقشية، فثبت لهم فارس المذكور ثباتا عظيما، لولا ما كادوه من أخذ مدرسة السلطان حسن، و الرمى عليه من أعلاها إلى أن هزموه أيضا، و انحاز بطائفته إلى أيتمش بالصوّة، فكرر أيتمش المناداة على المماليك الجراكسة- خذلان من اللّه-، فذهب من كان بقى عنده منهم، و عند ذلك صدمته السلطانية صدمة هائلة كسروه فيها، و انهزم من بقى معه من الأمراء المذكورين و المماليك وقت الظهر من يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين و ثمانمائة، و مرّوا قاصدين إلى جهة الشأم حتى نزلوا بسرياقوس، فأخذوا من الخيول السلطانية التى كانت بها من جيادها نحو المائة فرس، ثم ساروا إلى نحو البلاد الشامية، و ندب السلطان خلف أيتمش و رفقته من المنهزمين جماعة من أمراء الألوف و غيرهم، فالذى كان منهم من أمراء الألوف بكتمر الرّكنى المعروف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٨٩

ببكتمر باطيا، و يلبغا الناصرى، و آقبغا الطرنطائى، و من أمراء الطبلخانات أسنبغا الدوادار و بشباى من باكى، و صوماى الحسنى فى جماعة كثيرة من أمراء العشرات، و المماليك السلطانية، و هم نحو خمسمائة مملوك فلم يقفوا لهم على خبر، و عادوا من قريب.

و امتدّت الأيدى إلى بيوت الأمراء المنهزمين بالنهب، فنهبوا جميع ما كان فيها حتى نهبت الزّعر مدرسة أيتمش و أحذوا جميع ما كان فيها حتى حفروا قبر ولده الذى كان بها، و أحرقوا الرّبع المجاور لها من خارج باب الوزير، و نهبوا جامع آق سنقر المجاور لدار أيتمش، و استهانوا حرمة المصاحف بها، ثم نهبوا مدرسة السلطان حسن، و انتهبوا بيوتا كثيرة من بيوت المنهزمين، فكان الذى أخذ من بيت الوالد فقط من الخيل و القماش و السلاح و غير ذلك ما تزيد قيمته على عشرين ألف دينار.

ثم كسرت الزّعر حبس الديلم و حبس الرحبة، و أخرجوا من كان بهما من أرباب الجرائم، و صارت القاهرة فى ذلك اليوم غوغاء، من غلب على شىء صار له، و قتل فى هذه الواقعة من الطائفتين جماعة كبيرة من المماليك و غيرهم، فكان الذى قتل من الأمراء قجماس المحمدى شادّ السلاح خاناه، و قرابغا الأسنبغاوى، و ينتمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٩٠

المحمدى، و اختفى بالقاهرة ممن كان مع الأتابك أيتمش، مقبل الرومى الطويل أمير جاندار، و كمشبغا الخضرى و جماعة أخر يأتى ذكرهم، و توجّه بقية أصحابه الجميع صحبته إلى دمشق، و قصد أيتمش الأمير تنم الحسنى نائب الشام.

و أما تنم نائب الشام فإنه لما عظم أمره بدمشق و تمّ له ما قصده، وجّه الأمير آقبغا الطولوتمرى اللّكّاش فى عدّة من الأمراء و العساكر إلى غزّة فساروا من دمشق فى أوّل شهر ربيع الأوّل المذكور. ثم ندب جماعة أخر من كبار الأمراء إلى البلاد الحلبية، و خرجوا من دمشق فى ثالث شهر ربيع الأوّل، و عليهم الأمير جلبان الكمشبغاوى الظاهرى، المعروف بقراسقل المعزول عن نيابة حلب قديما، و معه الأمير أحمد بن الشيخ على نائب صفد كان، و الأمير بيخجا المعروف بطيفور نائب غزّة كان، و هو يومئذ حاجب دمشق و الأمير يلبغا الإشقتمرى، و الأمير صرق الظاهرى، و ساروا إلى حلب لتمهيد أمورها. ثم قبض الأمير تنم على الأمير بتخاص و عيسى التركمانى و حبسهما بالبرج من قلعة دمشق، ثم خرج تنم فيمن بقى معه من عساكره فى سادسه يريد حلب، و جعل الأمير أزدمر أخا إينال اليوسفى نائب الغيبة بدمشق، و سار حتى قدم حمّص و الستولى عليها، و ولّى عليها من يثق به من أصحابه، ثم توجّه إلى حماة، فوافاه الأمير

يونس بلطا نائب طرابلس و معه عسكر طرابلس، و نزلوا على مدينة حماة، فامتنع نائبها الأمير دمرداش المحمدى بها، و قاتل تنم قتالا شديدا، و قتل من أصحاب تنم نحو الأربعة أنفس و لم يقدر عليه تنم، و بينما تنم فى ذلك ورد عليه الخبر بقيام أهل طرابلس على من بها من أصحابه.

و خبر ذلك أنه لما قرب محمد بن بهادر المؤمنى من طرابلس، بعث ما كان معه من الملطّفات من الديار المصرية لأهل طرابلس، فوصلت إليهم قبل قدومه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٩١

ثم وصل هو بمن معه فى البحر، فظنه نائب غيبة يونس بلطا من الفرنج، فخرج إليه فى نحو ثلاثمائة فارس من أجناد طرابلس، فتبيّن له أنه من المسلمين، فطلبه نائب الغيبة بمن معه فلم يأته، و قاتلهم على ساحل البحر فانهزم إلى برج أيتمش، و كان تحت حكم ابن المؤمنى المذكور، فأصبح الذين أتتهم الملطّفات من مصر، و نادوا فى العامّة بجهاد نائب الغيبة، و خطب خطيب البلد بذلك، فشرعت العامّة فى قتال نائب الغيبة حتى هزموه و نهبوا ما كان معه توجه إلى حماة، فأرسل تنم الأمير الأمير صرق على عسكر كبير لقتال أهل طرابلس، فتوجه صرق إليهم، و قاتلهم قتالا ـ شديدا مدّة تسعة أيام، و بينما تنم فى ذلك ورد عليه الخبر بواقعة الأمير أيتمش مع المصريين، و أنه نزل بمن معه فى دار النيابة بغزّة، و أنه سار بمن معه يريد دمشق، فسرّ تنم بذلك و أذن لنائب غيبته بدمشق و هو الأمير أزدمر بدخول أيتمش، و من معه إلى دمشق و بالقيام فى خدمتهم حتى يحضر إليهم، تم لما بلغه عجز صرق عن أهل طرابلس، جهّز إليها نائبها الأمير يونس بلطا فى طائفة كبيرة من العساكر، فسار إليها يونس و دخلها بعد أن هزم ابن المؤمنى، و ركب البحر و معه القاضى شرف الدين مسعود قاضى القضاة الشافعية بطرابلس، يريدان القاهرة بمن معهما، و نهب يونس أموال الناس كافّة بطرابلس، و فعل فى طرابلس و أهلها ما لا تفعله الكفرة، و قتل نحو العشرين رجلا من أعيان طرابلس و قضاتها و علمائها منهم: الشيخ العالم المفتى جمال الدين بن النابلسى الشافعي. و الخطيب شرف الدين محمود، و القاضى المحدّث شهاب الدين أحمد الأذرعى المالكىّ، و قاضى القضاة شهاب الدين الحنفىّ، و القاضى موفّق الدين الحنبلى، و قتل من عامة طرابلس ما يقارب الألف، و صادر الناس مصادرات كثيرة، و أخذ أموالهم وسى حريمهم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٩٢

فكانت هذه الكائنة من أقبح الحوادث، و كانت فى الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل المذكور.

و أمّا أمر الديار المصرية فإنه لمّا كان بعد الواقعة من الغد خلع السلطان على الأمير قرابغا مغرق الظاهرى باستقراره فى ولاية القاهرة عوضا عن عيسى فلان بحكم عصيانه مع أيتمش، فمات من الغد من جرح كان أصابه فى الواقعة، و استقرّ فى ولاية القاهرة عوضه بلبان أحد المماليك الظاهريّة، فنزل بلبان المذكور بالخلعة إلى القاهرة فمرّ من باب زويلة يريد باب الفتوح، و عبر راكبا من باب الجامع الحاكى و هو ينادى بالأمان، و إذا بالأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين قد جاء من جهة باب النصر، و هو أيضا ينادى بين يديه باستقراره فى ولاية القاهرة، فتحيّرت المقدّمون و الجبلية بينهما، و بينما هم فى ذلك و قد التقى بلبان مع ابن الزين فقال بلبان أنا ولّانى فلان، و قال ابن الزّين أنا ولّانى فلان، و إذا بالطواشى شاهين الحسنى قدم و معه خلعة ابن الزين بولايته القاهرة، فبطل أمر بلبان، و تصرّف ابن الزين فى أمور الولاية و نادى بالكف عن النهب، و هدّد من ظفر به من النّهابة.

ثم فى سادس عشره عرض السلطان المماليك السلطانية، ففقد منهم مائة و ثلاثون نفر قد انهزموا مع الأتابك أيتمش.

ثم قبض السلطان على الأمير بكتمر جلّق أحد أمراء الطبلخانات، و تنكزبغا الحططىّ أحد أمراء الطبلخانات أيضا و رأس نوبة، و قرمان المنجكى و كمشبغا الخضرى، و خضر بن عمر بن بكتمر الساقى، و على بن بلاط الفخرى، و محمد بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ١٩٣

يونس النوروزى و ألجيبغا السلطانى و أرغون السيفى و أحمد بن أرغون شاه، و الجميع من أصحاب أيتمش.

ثم رسم السلطان فکتب بإحضار الأمیر سودون أمیر أخور المعروف بسیدی سودون، و الأمیر تمراز الناصری من سجن الإسکندریة، و الأمیر نوروز الحافظی الأمیر أخور الکبیر کان، من ثغردمیاط و سارت القصّاد لإحضارهم، فوصلوا فی العشرین منه و قبّلوا الأرض بین یدی السلطان و نزلوا إلی دورهم.

و فی أوّل شهر ربیع الآخر استقرّ الأمیر آقبای من حسین شاه الطّرنطائیّ حاجب الحجّاب عوضا عن الأمیر فارس الأعرج، و استقرّ الأمیر دقماق المحمدی المعزول عن نیابة ملطیة باستقراره حاجبا ثانیا عوضا عن یعقوب شاه بحکم عصیانهما مع أیتمش.

ثم فی ثالثه خلع السلطان علی کلّ من الأمیر أسنبغا العلائی الدوادار و الأمیر قماری الأسنبغاوی والی باب القلعة و منکلی بغا الصلاحی الدوادار و سودون المأموری باستقرارهم حجّابا، و استقر تمربغا المحمدی نائب القلعة.

و أما الأمیر تنم فإنه لما جاءه خبر أیتمش ترک حصار حماة و عاد إلی دمشق ثم خرج إلی لقاء أیتمش و أصحابه فی خامس شهر ربیع الآخر إلی ظاهر دمشق.

فلمّا عاینهم ترجّل عن فرسه و سلّم علیهم و بالغ فی إکرامهم، و عاد بهم إلی دمشق و قدّم إلیهم تقام جلیلة، لاسیّما الوالد فإن تنم قام بخدمته زیادة عن الجمیع، حتی یزول ما کان عنده حسب ما تقدّم ذکره و سببه أنه کان وغّر خاطر أستاذه الملک الظاهر برقوق علیه حتی عزله عن نیابة حلب، فأخذ تنم یعتذر إلیه، و یتلطّف

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۴

به حتی زال ما کان عنده من الکمائن القدیمة، و صار من أعظم أصحابه، و حلّفه علی موافقته و حلف له، و وعده بأمور کثیرة یستحیا من ذکرها.

ثم کتب الوالد إلی الأمیر دمرداش المحمدی نائب حماة بالدخول فی طاعة تنم حسب ما یأتی ذکره.

ثم قدم علی الأمیر تنم کتاب الملک الناصر فرج یأمره بمسک الأتابک أیتمش و بمسک الوالد و من قدم معهما، فأخذ تنم الکتاب و أتی به إلی أیتمش و رفقته، و قرأه علیهم بالقصر الأبلق من المیدان، فضحک الوالد و قال له: امتثل مرسوم السلطان و افعل ما أمرک به فتبسّم تنم و قال له: بالله علیک زوّل ما عندک و طیّب قلبک، و قام و عانقه، ثم تکلّم تنم مع الأمراء فیما یفعله فی أمر دمرداش نائب حماة، فأشار الوالد بأنه یتوجّه إلیه صحبة الأمیر الکبیر أیتمش، ثم یتوجّهان أیضا إلی نائب حلب یدعوانه إلی طاعة تنم و موافقته، فقال: هذا الذی کان خاطری، فإن دمرداش لا یسمع لأحد غیرک، و خرجا بعد أیام إلی جهة حماة، فأجاب دمرداش بالسمع و الطاعة، و دخل تحت طاعة تنم و وعد بالقیام بنصرته، ثم عاد الوالد و أیتمش إلی دمشق فسرّ تنم بذلک غایة السرور.

ثم قدم دمرداش بعد ذلک بأیام إلی دمشق، فخلع علیه تنم باستمراره علی نیابة حماة، و أنعم علیه بأشیاء کثیرة و توجّه إلی حماة ثم أخذ الجمیع فی التأهّب إلی قتال المصریین.

و أمّا ما وقع بالدیار المصریة من الولایات و العزل، فإنه لمّا کان العشر الأخیر من شهر ربیع الاخر، خلع السلطان علی الأمیر بیبرس الدوادار باستقراره أتابک

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۵

العساکر بالدیار المصریة عوضا عن الأمیر أیتمش البجاسیّ، و أنعم علیه بإقطاعه إلا النّحریریة و منیة بدران و طوخ الجبل، فغضب بیبرس بسبب ذلک فلم یلتفت إلی غضبه، و أنعم بإقطاع الوالد و وظیفته علی نوروز الحافظی، و أنعم علی تمراز الناصریّ بإقطاع أرغون شاه أمیر مجلس، و أنعم علی سودون أمیر آخور بإقطاع یعقوب شاه الحاجب، و أنعم بإقطاع بیبرس علی بکتمر الرّکنی، و بإقطاع بکتمر علی دقماق المحمدی نائب ملطیة کان، و بإقطاع دقماق علی جرکس القاسمیّ المصارع، و استقرّ أمیر طبلخاناه، و أنعم علی کلّ من کزل الناصری، و قماری الأسنبغاوی، و شاهین من شیخ الإسلام، و شیخ السلیمانیّ، و بشبای من باکی، و تمربغا الظاهری، و جکم من عوض، و صومای، و تمر الساقی، و إینال حطب، و قانی بای العلائیّ، و سودون المأموریّ، و ألطنبغا الخلیلیّ و

مجترك القاسمىّ، و كزل المحمدى، و بيغان الإينالى بإمرة عشرين، و أنعم على كلّ من أزبك الرمضانىّ و أسندمر العمرىّ و قرقماس السيفىّ و منكلى بغا الصلاحى و آقبغا الجوجرى و طيبغا الطولوتمرى وقانى باى من باشاه و دمرداش الأحمدى و آقباى السلطانى و أرغون شاه الصلاحىّ و يونس العلائى و جمق و نكباى الأزدمرى و قانى بك الحسامى و با يزيد من بابا و آقبغا المحمدى و سودون الشمسىّ و سودون البجاسىّ و تمراز من باكى و سودون النوروزىّ و أسنبغا المسافرى و قطلوبغا الحسنى و قطلقتمر المحمدىّ و سودون الحمصىّ و سودون القاسمىّ و أرزمك و أسنباى بإمرة عشرة، و حلفوا الجميع على طاعة السلطان، و السفر معه لقتال تنم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۶

و لمّا بلغ المماليك السلطانية سفر السلطان إلى الشام امتنعوا و هدّدوا الامراء و أكثروا لهم من الوعيد، فخاف سودون طاز و تأخّر عن الخدمة السلطانية، ثم اتفقت المماليك المذكورة، و توجّهوا إلى الأمير يشبك و هو متوعّك و حدّثوه فى أمر السفر، فاعتذر لهم بما هو فيه من الضعف، ثم وقع الخلف بين الأمير سودون قريب الملك الظاهر المعروف بسيّدى سودون و بين الأمير سودون طاز، و تسابا بسبب سكنى الإسطبل السلطانى بالحرّاقة، و على وظيفة الأمير أخورية و كادا يقتتلان، لو لا فرق بينهما الأمير نوروز الحافظى.

ثم وقع أيضا بين الأمير سودون طاز المذكور و بين الأمير جركس القاسمى المصارع تنافس، و تقابضا بالأطواق، و لم يبق إلّا أن تثور الفتنة، حتى فرّق الأمراء بينهما، و صارت المملكة بأيدى هؤلاء الأمراء، و كلّ من أراد شيئا فعله، فصار الرجل يلى الوظيفة من سعى فلان، و ينزل إلى داره فيعزل فى الحال بأمر غيره، و كلّ أحد يتعصّب لواحد، و كل منهم يروم الرتب العلية.

هذا و مثل تنم و أيتمش و رفقتهما فى طلبهم و فى القصد إلى الديار المصرية، ثم أخذ نوروز يسكّنهم عن إثارة الفتنة، و يخوّفهم عاقبة تنم، حتى عملوا مشورة بين يدى السلطان بسبب قتال تنم و غيره، فحضر جميع الأمراء و رتّبوا أمورا: منها إقامة نائب بالديار المصرية، و عيّنوا عدّة تشاريف.

فلمّا كان يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الآخر خلع السلطان على الأمير سودون طاز باستقراره أمير أخورا كبيرا، عوضا عن سودون الطّيار، لتأخّره بدمشق عند تنم، و خلع على الأمير مبارك شاه باستقراره حاجبا ثالثا بإمرة مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية، و هذا بخلاف العادة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۱۹۷

ثم خلع على بعض الأمراء و استقرّ حاجبا ثامنا، و هذا أيضا بخلاف العادة، لأن فى القديم كان بمصر ثلاثة حجّاب (أعنى بالقديم فى دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون) ثم لا زال الملك الظاهر برقوق يزيد الحجّاب حتى صار عدّتهم ستة، و ذلك فى أواخر دولته، و الآن صاروا ثمانية، و كان هذا أيضا مما عابه الأمير تنم على أمراء مصر فيما فعلوه.

قلت: و السّكات أجمل، فإنّ تلك الحجّاب الثمانية كان فيهم ثلاثة أمراء ألوف و ثلاثة طبلخاناه، و أمّا يومنا هذا ففيه بمصر أزيد من عشرين حاجبا، ما فيهم أمير خمسة، بل الجميع أجناد، و فيهم من جنديّته غير كاملة، و الحاجب الثانى أمير عشرة، فسبحان الحكيم السّتّار.

ثم بعد أيام خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى باستقراره رأس نوبة الأمراء، و على الأمير تمراز باستقراره أمير مجلس، و على الأمير سيدى سودون باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن بيبرس، و كانت شاغرة منذ انتقل بيبرس عنها إلى الأتابكية.

و هذا كله بعد أن ورد الخبر على الملك الناصر بخروج الأمير تنم من دمشق يريد القاهرة، فعندئذ أمر السلطان بأن يخرج ثمانية أمراء من مقدّمى الألوف بألف و خمسمائة مملوك من المشتروات، و خمسمائة مملوك من مماليك الخدمة، و أن يخرجوا فى أول جمادى الآخرة، فمنهم من أجاب، و منهم من قال: لا بدّ من سفر السلطان و اختلف الرأى و انفضوا على غير شىء، و نفوسهم متغيّرة من بعضهم على بعض، كلّ ذلك و الأمراء تكذّب خروج تنم من دمشق حتى علّق جاليش السفر على

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۱۹۸

الطبلخاناه السلطانیة، و وقع الشروع فی النفقة للأمراء، فحمل إلی کل من الأمراء الأکابر مائة ألف درهم، و لمن دونهم کل واحد علی قدر رتبته، و أنفق علی ثلاثة آلاف مملوک و ستمائة مملوک لکل واحد مائة دینار، فبلغت جمیع النفقة نحو خمسمائة ألف دینار.

ثم خرجت مدوّرة السلطان و خیامه، و نصبوا خارج القاهرة تجاه مسجد التبن.

ثم خلع السلطان علی الأمیر بکتمر الرکنی باستقراره أمیر سلاح عوضا عن الوالد، و کانت شاغرة عنه منذ توجه مع أیتمش إلی الشام، و بینما السلطان فی ذلک قدم علاء الدین علی بن المکلّلة والی منفلوط، و أخبر أن ألطنبغا نائب الوجه القبلی خرج هو و محمد بن عمر بن عبد العزیز الهوّاری عن الطاعة، و کبسا عثمان بن الأحدب، ففرّ ابن الأحدب إلی جهة منفلوط و تبعاه إلیها و أخرباها، فرسم السلطان لکل من الأمیر الکبیر بیبرس و الأمیر إینال بای من قجماس و آقبای بن حسین شاه حاجب الحجّاب و سودون من زادة و إینال حطب رأس نوبة، و بیسق الشیخیّ الأمیر أخور الثانی، و بهادر فطیس الأمیر أخور الثالث أن یتوجّهوا إلی بلاد الصعید لقتال ألطنبغا و ابن عمر الهوّاری فلم یوافقوا علی ذلک و لا سار أحد.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۱۹۹

ثم قدم الخبر علی السلطان بأنّ الأمیر دمرداش المحمدی نائب حماة قدم علی الأمیر تنم بدمشق بعساکر حماة، و أن لأمیر آقبغا الجمالی الأطروش نائب حلب لمّا برز هو أیضا من حلب یرید المسیر إلی دمشق ثار علیه جماعة من أمراء حلب و قاتلوه فکسّرهم، و قبض علی جماعة منهم، ثم سار إلی دمشق فسرّ بقدومه تنم و أکرمه غایة الإکرام، و أنه قد خرج من دمشق من أصحاب تنم الأمیر أرغون شاه البیدمری أمیر مجلس، و الأمیر یعقوب شاه، و فارس حاجب الحجّاب، و صرق و فرج بن منجک إلی غزّة، فعند ذلک خلع السلطان علی الأمیر عمر بن الطحّان حاجب غزّة باستقراره فی نیابة غزّة، و علی سودون حاجبها الصغیر باستقراره حاجب حجّاب غزّة عوضا عن ابن الطحان المذکور.

ثم قدم الخبر علی السلطان بأن عساکر تنم خرجوا من دمشق فی یوم خامس عشرین جمادی الآخرة، فأمر السلطان الأمیر سودون المأموریّ الحاجب بالتوجّه إلی دمیاط لینقل منها الأمیر یلبغا الأحمدی المجنون الأستادار کان، و الأمیر تمربغا المنجکی، و طغنجی و بلاط السعدیّ، و قراکسک إلی سجن الإسکندریة.

هذا و قد تجهّزت العساکر المصریة للسفر صحبة السلطان لقتال تنم و تهیأ الجمیع.

فلمّا کان یوم الاثنین رابع شهر رجب نزل السلطان الملک الناصر من القلعة إلی الرّیدانیة خارج القاهرة، و أصبح من الغد خلع علی الأمیر الکبیر بیبرس باستقراره فی نظر البیمارستان المنصوری، و بنیابة الغیبة بالدیار المصریة، و خلع علی الأمیر نوروز الحافظیّ رأس نوبة الأمراء باستقراره فی نظر الخانقاه الشیخونیة، ثم أصبح من الغد سادس الشهر خلع السلطان علی الأمیر نوروز المذکور بتقدمة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۲۰۰

العساکر، ثم أنفق السلطان علی جماعة من الممالیک السلطانیة بنحو خمسة و عشرین ألف دینار إنعاما.

و فی الیوم المذکور رحل جالیش السلطان من الرّیدانیّة، و فیه من الأمراء نوروز الحافظیّ مقدّم العساکر و بکتمر الرکنی المعروف بباطیا أمیر سلاح، و تمراز الناصری أمیر مجلس، و یلبغا الناصری، و سودون الدوادار المعروف بسیدی سودون، و شیخ المحمودی هو المؤیّد، و دقماق المحمدی الحاجب الثانی، و الجمیع مقدّمو ألوف.

ثم رحل السلطان بعدهم فی یوم الجمعة ثامنه ببقیّة العساکر، و عدّة ما سافر أوّلا و ثانیا سبعة آلاف فارس، و هذا سوی من أقام بالقاهرة، و هم أیضا عدّة کبیرة من الأمراء و الممالیک، فأمّا الأمراء فکان بالقاهرة بیبرس، و آقبای حاجب الحجّاب، و أقام بقلعة الجبل الأمیر إینال بای من قجماس أحد مقدّمی الألوف، و إینال حطب رأس نوبة، و أقام بالإسطبل السلطانی سودون من زادة، و بهادر؟؟؟ طیس و بیسق الشیخی أمیر أخور ثانی، و أقام عند هؤلاء جماعة کبیرة من الممالیک السلطانیة.

و أما تنم فكان من خبره أنه قـدم جماعـة من أمرائه و عساكره إلى مدينة غزّة حسب ما ذكرناه، و هم: الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس، و فارس حاجب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٠١

الحجاب، و يعقوب شاه و صرق، و الأمير فرج من منجكك فتوجّهوا أمامه بعساكر كثيرة.

ثم قـدم على تنم الأمير يونس بلطا نائب طرابلس بعساكرها و غيرهم، و معه الأمير حمد بن يلبغا أمير مجلس كان، و كان قدم على تنم قبله نـائب حلب الأـمير آقبغـا الجمـالى الأطروش، و نائب حماة الأمير دمرداش المحمـدى، فخرج هؤلاء النوّاب أيضا أمام تم إلى جهة غزة، ثم تبعهم الأـمير تنم و معه الأتابـك أيتمش و الوالـد و بقيـة عساكره، بعـد أن جعل الأمير جركس المعروف بأبى تنم نائب الغيبة بـدمشق، و عنـده جماعـة أخر من أعيان الأمراء، ثم خرج بعـد الأمير تنم الأمير يونس بلطا نائب طرابلس، و سار تنم فى عساكر عظيمة إلى الغاية، و كان قبل سـفره بدمشق منذ قدم عليه أمراء مصـر يعمل كلّ يوم موكبا أعظم من الآخر، حتى قيل: إن موكبه كان يضاهى موكب أسـتاذه الملك الظاهر برقوق بل أعظم، و كان يركب بالدّفّ و الشبّابة و الشعراء و الجاويشية، و يركب فى خدمته من الأتابك أيتمش إلى من دونه من أمراء الألـوف، و هم نحـو خمسـة و عشـرين أميرا من أمراء الألـوف، سـوى أمراء الطبلخانـات و العشـرات، و ذلك خارج عن التركمان و الأعراب و العشير، و كانوا أيضا جمعا كبيرا إلى الغاية، و آخر موكب عمله بدمشق كان فيه عساكر دمشق بتمامها و كمالها، و عساكر حلب و طرابلس و حماة، و جماعـة كبيرة من عظماء أمراء الديار المصـرية (أعنى أيتمش و رفقته)، و كان الجميع قد أذعنوا لتنم بالطاعة، حتى إنه لم يشكّ أحد فى سلطنته، حتى و لا أمراء مصر أخصامه، فإنهم كتبوا له فى الصلح غير مرة، و فى المستقبل أيضا حسب ما يأتى ذكره، و أنفق تنم فى العساكر من الأموال ما لا يحصى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٠٢

و أمّا أمراء الديار المصـرية فإنه لما سافر السلطان إلى جهة تنم بعساكره فى ثامن الشهر، قدم الخبر فى صبيحته على الأمير بيبرس و هو يوم السبت من البحيرة، بأن الأمير سودون المأمورىّ الحاجب أخـذ الأمراء من ثغردمياط، و سار بهم نحو الإسـكندرية، فلمّا وصل بهم إلى ديروط لقيه الشيخ المعتقد عبد الرحمن ابن نفيس الدّيروطىّ و أضافه، فعندما قعد الأمير سودون المأمورىّ هو و الأمراء للأكل قام يلبغـا المجنون و وثب هو و رفقته من الأـمراء على سودون المأمورىّ، و قبضوا عليه و على مماليكه و قيّـدوهم بقيودهم، و بينما هم فى ذلك قـدمت حرّاقـة من القاهرة فيها الأمير كمشـبغا المحضـرى و إياس الكمشـبغاوى و جقمق البجمقـدار، و أمير آخر، و الأربعـة فى القيـود، فـدخلت الحرّاقـة بهم إلى شـاطئ ديروط ليقضوا حاجـة لهم، فأحـاط بهم يلبغـا المجنون، و خلّص منهم الأربعـة المقيّـدين، و أخذهم إلى أصحابه.

ثم كتب يلبغا إلى نائب البحيرة بالحضور إليه، و أخـذ خيول الطواحين، و ركب هو و رفقته من الأمراء و سار بهم إلى مدينة دمنهور و طرقها بغتة، و قبض على متولّيها، و أتته العربان من كل فجّ حتى صار فى عدد كبير.

ثم نادى بإقليم البحيرة بحطّ الخراج عن أهلها عـدّة سـنين، و أخـذ مال السـلطان الـذى اسـتخرج من تروجة و غيرها، و بعث يسـتدعى بالمال من النواحى، فراعاه الناس، فإنه كان ولى وظيفة الأستادارية سنين كثيرة، فكتب بيبرس بذلك يعرّف السلطان و الأمراء، فوردت كتبهم إلى نائب الإسكندرية بالاحتراز على مدينة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٠٣

إسـكندرية و على من عنـده من الأمراء المسـجونين، و كتب السـلطان أيضا إلى أكابر العربان بالبحيرة بالإنكار عليهم، و بإمساك يلبغا المجنون و رفقته، و كتب السـلطان أيضـا للأـمير بيبرس أن يتجرد هو و آقبـاى الحـاجب و إينـال باى بن قجماس و يسق أمير أخور، و إينال حطب رأس نوبة، و أربعمائة مملوك من المماليك السلطانية لقتال يلبغا المجنون، و كتب السلطان مثالا إلى عربان البحيرة بحطّ الخراج عنهم مدّة ثلاث سنين.

و أما يلبغا المجنون فإنه عـدّى من البحيرة إلى الغربيّـة خوفا من عرب البحيرة، و دخل المحلّـة، و نهب دار الكاشف، و دار إبراهيم بن بـدوى كبيرها، و قبض عليه و أخـذ منه ثلاثمائة ففّة فلوس، ثم عدّى بعد أيّام سـمنّود إلى برّ أشـموم طناح، و سار إلى الشـرقيّة، و نزل على مشـتول الطواحين، و سـار منهـا إلى العبّاسـة، فـارتجّت القـاهرة، و بعث الأـمير بيبرس إلى برّ الجيزة حيث الخيول مربوطـة به على الربيع، فأحضـروها إلى القـاهرة خوفـا من يلبغـا، لئلّا يطرقهم على حين غفلـة، و بينما بيبرس فى ذلك ورد عليه الخبر بمخامرة كاشـف الوجه القبلى مع العرب، فاضـطرب بيبرس و خاف على القاهرة، و كان فيه لين جانب و انعكاف على اللهو و الطرب، فشـرع بيبرس فى استخدام الأجنـاد، و أراد بيبرس الخروج إلى يلبغـا المجنون، فمنع، و خرج إليه الأـمير آقبـاى الحـاجب و يلبغـا السـالمى، و بيسق أمير أخور، و محمد بن سنقر فى ثلاثمائة مملوک من المماليک السلطانية كما سنذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۴

و أمـا السـلطان الملـک الناصـر فإنه لما سار بعساكره من الريدانيـة، و اسـتقل بالمسير من يومه حتى نزل على منزلـة تل العجول خارج مدينة غزة فى ثامن عشـر رجب، و أقام به يومه، فلم يلبث إلا و جاليش الأمير تنم طرقه، و مقدّم العسـكر المذكور الولد، و صحبته من أكـابر الأـمراء و النوّاب: آقبغا الجمالى نائب حلب و دمرداش المحمـدى نائب حماة، و ألطنبغا العثمانى نائب صـفد و جقمق الصـفوى نائب ملطية، و جماعة أخرى من أكابر الأمراء و هم: أرغون شاه أمير مجلس و فارس الحاجب، و آقبغا الطولوتمرى اللّكّاش، و يعقوب شاه، و جماعة كبيرة من الأمراء و العساكر، فركبت العساكر المصـرية فى الحال، و قاتلوهم من بكرة النهار إلى قريب الظهر، و كل من الفريقين يبذل جهده فى القتال، و الحرب تشـتدّ بينهم إلى أن خرج من جاليش عسـكر تنم دمرداش المحمدى نائب حماة بمماليكه و طلبه، ثم تبعه ألطنبغـا العثمانى نائب صـفد بطلبه و عساكره، ثم صـراى تمر الناصـرى أتابک حلب بمماليكه، ثم جقمق الصّـفوى نائب ملطيـة بطلبه و مماليكه، ثم فرج بن منجک أحـد أمراء الألوف بطلبه و مماليكه، ثم تبعهم عدّة أمراء أحر، فعند ذلک انهزم الوالد بمن بقى معه إلى نحو الأمير تنم، و ملک السلطان الملک الناصر مدينة غزّة، و نزل على مصطبة السلطان.

و أمـا تنم فـإنه نزل بعسـاكره على مدينـة الرّملـة و اجتمع عليه الوالـد بها بمن بقى معه من العساكر الشاميـة، و قصّ عليه ما وقع من أمر القتـال و هروب الأـمراء من عسـكره، فتأثّر تنم قليلا ثم أراد القبض على الأمير بتحاص، فمنعه بعض أصـحابه من ذلک، ثم أخـذ يتهيّأ لقتال المصريين، و لم يكترث بما وقع لجاليشه لكثرة عساكره، و قوّته بمن بقى معه من أكابر الأمراء و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۵

و أمّا العسـكر السـلطانىّ المصـرىّ فإنهم لمّا دخلوا إلى غزّة بلغهم أنّ تنم إلى الآن لم يصل إلى الرّملة بعساكره، و إنما الذى قاتلهم هو جاليش عسكره، فكثر عند ذلک تخوّفهم منه، و داخلهم الرّعب، و عملوا بسبب ذلک مشورة، فاتفق الرأى أن يتكلّموا معه فى الصلح، و أرسـلوا إليه من غزّة قاضـى القضاة صـدر الـدين المناوى الشافعىّ، و معه المعلّم نصـر الـدين محمـد الرّماح أمير أخور، و طغاى تمر مقدّم البريديّة، فخرجوا الجميع من غزّة فى يوم الثلاثاء تاسع عشـر شـهر رجب، و كتب لتنم صحبتهم أمان من السلطان، و أنه باق على كفـالته بـدمشق إن أراد ذلـک، و إلّا فيكون أتابک العساكر بمصـر، و إليه تـدبير ملک ابن أسـتاذه الملک الناصـر فرج لا يشاركه فى ذلک أحد.

ثم كتب إليه أعيـان الأـمراء يقولون: أنت أبونـا و أخونا و أسـتاذنا، فإن أردت الشام فهى لک، و إن أردت مصـر كنّا مماليكک، و فى خدمتک، فصن دماء المسـلمين ودع عساكر مصـر فى قوّتها، فإنّ خلفنا مثل تيمورلنک، و أشياء كثيرة من أنواع التضرّع إليه، فسار إليه قاضـى القضاة المـذكور برفيقيه حتى وافاه بمدينـة الرملـة و هو بمخيّمه على هيئـة السـلطان، و الأتابک أيتمش عن يمينه و الوالـد عن يساره، و بقيّة الأمراء على منازلهم ميمنة و ميسـرة، فلمّا عاين تنم قاضـى القضاة المذكور قام له و اعتنقه، و أجلسه بجانبه فحدّثه قاضى القضاة المذكور فى الصـلح، و أدّى له الأمان و وعظه، و حذّره الشّقاق و الخروج عن الطاعة، ثم كلّمه ناصر الدين الرّماح و طغاى تمر بمثـل ذلـک، و ترّفقـا له عن لسان الأمراء، و أن السـلطان هو ابن الملک الظاهر برقوق، ليس له من يقوم بنصـرته غيرک، فقال تنم: أنا

مالی مع السلطان کلام، و لکن یرسل إلی یشبک و سودون طاز و جرکس المصارع، و عدّد جماعة أخر کثیرة،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۶

و یعود الأمیر الکبیر أیتمش و جمیع رفقته علی ما کانوا علیه أوّلا، فإن فعلوا ذلک و إلّا فما بینی و بینهم إلا السیف، و صمّم علی ذلک، فراجعه قاضی القضاة غیر مرّة فیما یریده غیر ذلک، فأبی إلّا ما قاله، فعند ذلک قام القاضی من عنده، فخرج معه تنم إلی ظاهر مخیّمه یوادعه، فلمّا قدم صدر الدین المناوی علی الملک الناصر و أعاد علیه الجواب قال: السلطان: أنا ما أسلّم لالاتی لأحد (یعنی عن یشبک الشعبانی)، و انفضّ الأمراء، و قد أجمعوا علی قتاله، و رکب تنم بعساکره من مدینة الرملة یرید جهة غزّة، و رکب السلطان بعساکره من غزّة یرید الرملة. إلی أن أشرف علی الجیتین قریب الظهر، فعاین تنم و قد عبّأ عساکره، و هم نحو الخمسة آلاف فارس، و نحو ستة آلاف راجل، و صفّ الأطلاب فعبّأ أیضا الأمراء عسکر السلطان میمنة و میسرة، و قلبا فی قلب فی قلب، و لکل جماعة ردیف، و کان ذلک تعبئة ناصر الدین المعلّم أخذت أنا هذه التعبئة عن الأتابک آقبغا التمرازی عنه، انتهی.

ثم تقدّم العسکران و تصادما فلم یکن إلا أسرع وقت، و کانت الکسرة علی تنم، و انهام غالب عسکره من غیر قتال، خذلان من اللّه تعالی، لأنه تقنطر عن فرسه فی أوائل الحرب، فانکسرت عساکره لتقنطره فی الحال و لوقوعه فی الأسر، و قبض علیه و علی جماعة کبیرة من أعیان أصحابه من أکابر الأمراء و النوّاب، و لقد سألت جماعة من أعیان ممالیک تنم ممن کان معه فی الوقعة المذکورة عن سبب تقنطره، فإنه لم یطعنه أحد من العسکر السلطانیّ، فقالوا: کان فی فرسه الذی رکبه شؤم. إما شعر رسل أو تحجیل، منتهی الوهم متی، قالوا: فکلّمناه فی ذلک و نهیناه عن رکوبه فأبی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۷

إلا رکوبه، و قال: ما خبأته إلا لهذا الیوم، فحالما علا ظهره و حرّکه لینظر حال عسکره و وغل فی القوم تقنطر به، و قد کرّت عساکره إلی نحوه، و لم یلحقه أحد من ممالیکه، فظفر به، و لما قبض علی تنم قبض معه بعد هزیمة عسکره علی الأمیر آقبغا الجمالی نائب حلب، و یونس بلطا نائب طرابلس، و أحمد بن الشیخ علی نائب صفد کان، و جلبان قراسقل نائب حلب کان، و فارس حاجب الحجاب، و بیغوت و بیرم رأس نوبة أیتمش، و شادی خجا، و من الطبلخانات و العشرات من أمراء مصر و الشام ما ینیف علی مائة أمیر، و فرّ الأتابک أیتمش و الوالد، و أحمد بن یلبغا أمیر مجلس کان، و أرغون شاه أمیر مجلس، و یعقوب شاه و آقبغا اللّکّاش، و بیخجا المدعو طیغور نائب غزّة کان، و جماعة أخر فی نحو ثلاثة آلاف مملوک، و توجّهوا إلی دمشق.

و لمّا قبض علی تنم أنزل فی خیمة و قیّد، ثم شکا العطش و طلب ماء لیشربه، فقام الأمیر قطلوبغا الحسنی الکرکی و هو یوم ذلک أحد أمراء الطبلخانات و شادّ الشراب خاناه السلطانیة، و تناول الکوز و أخذ شئنة علی عادة الملوک، ثم سقاه لتنم، و کان لما أمسک تنم ادّعی مملوک من الظاهریة أنه قنطر تنم عن فرسه، و طلب إمرة عشرة، فلمّا بلغ ذلک تنم قال: اطلبوه إلی عندی، فأحضروه، فنظر إلیه طویلا ثم قال له: أنت تستأهل إمرة عشرة و غیرها بدون ذلک، إلا أنّ الکذب قبیح، هذا قرقلی إلی الآن علیّ، أین المکان الذی طعنتنی فیه برمحک، أنا ما رمانی إلا اللّه تعالی، ثم فرسی الأشقر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۸

و عندما أمسک تنم کتبت البشائر إلی الدیار المصریة و البلاد الشامیّة بذلک، و دقّت البشائر، و سار أیتمش و رفقته إلی نحو دمشق حتی و صلوها، فأراد الوالد و یعقوب شاه و جماعة أن یتوجّهوا إلی بلاد الترکمان، حتی یأتیهم أمان من السلطان، و أشاروا علی أیتمش بذلک، فامتنع أیتمش من ذلک، و أبی إلّا دخول دمشق، فحال دخولهم إلیها و هم فی أشدّ ما یکون من النعب، و قد کلّت خیولهم، ثار علیهم أمراء دمشق، و قبضوا علی أیتمش و الوالد، و آقبغا اللّکّاش و أحمد بن یلبغا النابلسی، و حبسوا بدار السعادة، و فرّ من بقی، ثم أمسک بعد یومین أرغون شاه و یعقوب شاه، و تتبّع أمراء دمشق بقیّة أصحاب تنم من کلّ مکان حتی قبضوا علی جماعة کبیرة منهم.

و أمّا يلبغا المجنون فإنه لمّا خرج إليه العسكر من مصر مع آقباى الحاجب، سار آقباى إلى العبّاسة فلم يقف ليلبغا المجنون على خبر، فقيل له إنه سار إلى قطيا، فنزل آقباى بالعساكر على الصالحية فلم يروا له أثرا، فعادوا إلى القاهرة من غير حرب، و سار ابن سنقر و بيسق نحو بلاد السباخ فلم يجدا أحدا، فعادا إلى عيتا فى يوم الجمعة و أقاما بها، فلم يشعرا إلّا و يلبغا المجنون قد طرقهما و قبض عليهما، و أخذ خطّهما بجملة من المال، فارتجّت القاهرة لذلك، ثم سار يلبغا بعد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۰۹

أيام، حتى نزل البئر البيضاء، فبعث له بيبرس أمانا، فقبض على من حضر من عند بيبرس و طوّقه من الحديد، فاستعدّ الناس تلك الليلة بالقاهرة لقتاله، و باتوا على أهبة اللقاء، و ركب الأمراء بأسرهم من الغد إلى قبّة النصر خارج القاهرة، و صفّوا عسكرهم من الغد، و بعد ساعة أقبل يلبغا المجنون بجموعه فواقعهم عند بساتين المطرية و معه نحو ثلاثمائة فارس، فيهم واحد من مماليك الوالد يسمى كزل بغا، و صدمهم بمن معه، و قصد القلب، و كان فيه سودون من زادة، و إينال حطب، و نحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية، فأطبق عليه الأمير بيبرس من الميمنة، و معه يلبغا السّالمىّ الأستادار، و ساعدهما إينال باى من قجماس بمن معه من الميسرة، فنقنطر سودون من زادة، و خرق يلبغا المجنون القلب فى عشرين فارسا، و سار إلى الجبل الأحمر، و انكسر سائر من كان معه من الأمراء و غيرهم، فتبعهم العسكر و فى ظنّهم أن يلبغا المجنون فيهم، فأدركوا الأمير تمربغا المنجكى بالزيّات، و قبضوا عليه، و أخذ طلب يلبغا المجنون من عند خليج الزّعفران فوجدوا فيه ابن سنقر و بيسق الشيخى أمير آخور اللذين كان قبض عليهما يلبغا المجنون بالبئر البيضاء، فأطلقوهما، و عاد العسكر إلى تحت قلعة الجبل، و سار يلبغا المجنون فى عشرين فارسا مع ذيل الجبل إلى تجاه دار الضيافة، فلمّا رأى كثرة من اجتمع من العامّة خاف منهم أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۰

يرجموه، فقال لهم: أنتم ترجمونى بالحجارة و أنا أرجمكم بالذهب، فدعوا له و تركوه فسار من خلف القلعة و مضى إلى جهة الصعيد من غير أن يعرّف الأمراء، و توجّه فى نحو المائة فارس، و أخذ خيل والى الفيّوم، و انضمّ عليه جماعة من العربان.

و أمّا السلطان الملك الناصر فإنه لمّا كسر تنم و قبض عليه و على جماعة من أصحابه و قيّدهم، أرسل فى الحال سعد الدين إبراهيم بن غراب إلى الشام لتحصيل الإقامات، ثم ندب السلطان الأمير جكم من عوض رأس نوبة للتوجه إلى دمشق لتقييد الأمير أيتمش و رفقته و إيداعهم بسجن قلعة دمشق، ثم خلع السلطان على الأمير سودون الدوادار المعروف بسيّدى سودون، باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن الأمير تنم الحسنىّ، فسار جكم و فعل ما أمر به، ثم دخل بعده سودون نائب الشام إليها فى ليلة الاثنين ثانى شعبان و معه الأمير تنم نائب الشام و عشرة أمراء فى القيود، فحبس الجميع بقلعة دمشق، ثم دخل السلطان الملك الناصر بعساكره و أمرائه إلى دمشق من الغد فى يوم الاثنين ثانى شعبان المذكور، فكان لدخوله يوم مشهود، و أوقع ابن غراب الحوطة على حواشى تنم، و على الأمير علاء الدين بن الطبلاوى.

ثم أصبح السلطان من الغد و خلع على سيّدى سودون بنيابة الشام ثانيا، و على الأمير دمرداش المحمّدى نائب حماة باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن آقبغا الجمالى الأطروش، و على الأمير شيخ المحمودى المؤيّد باستقراره فى نيابة طرابلس عوضا عن يونس بلطا، و على الأمير دقماق المحمدى باستقراره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۱

فى نيابة حماة عوضا عن دمرداش المحمدى، و على الأمير ألطنبغا العثمانى باستمراره على نيابة صفد، و على الأمير جنتمر التركمانى نائب حمص بنيابة بعلبك، و على الأمير بشباى من باكى باستقراره حاجب حجّاب دمشق عوضا عن بيخجا المدعوّ طيفور.

و استمرّ السلطان بعساكره فى دمشق إلى ليلة الأحد رابع عشر شعبان، فاتّفقت الأمراء المصريون على قتل جماعة من المقبوض عليهم، فذبح فى الليلة المذكورة الأمير الكبير أيتمش البجاسىّ، و جلبان الكمشبغاوى المعروف بقراسقل نائب حلب كان، فى دولة أستاذه

الملك الظاهر برقوق، و أرغون شاه البيدمرى الظاهرىّ أمير مجلس كان، و أحمد بن يلبغا العمرى أمير مجلس كان، و ابن أستاذ الملك الظاهر برقوق، و آقبغا الطّولوتمرى الظاهرى اللّكّاش أحد أمراء الألوف بالديار المصرية و أمير مجلس، و فارس الأعرج حاجب الحجّاب بالديار المصرية، و كان من الشجعان، و فيه يقول الشيخ المقرئ الأديب شهاب الدين أحمد الأوحدى: [الرجز]

يا دهر كم تفنى الكرام عامدا هل أنت سبع للورى ممارس

أيتمش ربّ العلا صرعته و رحت للندب الهمام فارس

و الأمير يعقوب شاه الظاهرى الحاجب الثانى، و أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية، و بيخجا المدعو طيفور نائب غزّة كان، ثم حاجب حجّاب دمشق، و الأمير بيغوت اليحياوى الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات، و الأمير مبارك المجنون و الأمير بهادر العثمانى الظاهرى نائب البيرة، و جميع من قتل من هؤلاء المذكورين من عظماء مماليك الملك الظاهر برقوق، قتلتهم خجداشيّتهم بذنب واحد لأجل الرياسة، و لم يكن فيهم غير ظاهرىّ إلّا الأتابك أيتمش، و هو أيضا ممن أقامه الملك الظاهر برقوق و أنشأه، بل كان اشتراه أيضا فى سلطنته الأولى حسب ما ذكرناه، و كان عند الظاهر بمنزلة عظيمة لسلامة باطنه، و لين جانبه و شيخوخته، فإنه كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢١٢

بمعزل عن إثارة الفتن، و يكفيك أن منطاش لمّا ملك الديار المصريّة بعد خلع الظاهر برقوق، و القبض على الناصرىّ قتل غالب حواشى الملك الظاهر برقوق، و كان أيتمش فى حبسه بقلعة دمشق و هو أتابك العساكر و عظيم دولة برقوق، فلم يتعرّض إليه بسوء، لكونه كان مكفوفا عن الشرور و الفتن، إلا هؤلاء القوم، فإنهم لمّا ظفروا بتنم و أصحابه لم يرحموا كبيرا لكبره و لا صغيرا لصغره، و لهذا سلّط اللّه تعالى بعضهم على بعض، إلى أن تفانوا جميعا.

ثم جهّزوا رأس الأتابك أيتمش المذكور، و رأس فارس الحاجب لا غير إلى الديار المصرية، فعلّقتا بباب قلعة الجبل، ثم بباب زويلة أيّاما ثم سلّمتا إلى أهلهما.

ثم خلع السلطان الملك الناصر على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن سيّدى سودون المنتقل إلى نيابة الشام، و استمر السلطان بدمشق إلى ليلة الخميس رابع شهر رمضان، فقتل فى الليلة المذكورة الأمير تنم الحسنى نائب الشام بمحبسه بقلعة دمشق، و قتل معه الأمير يونس بلطا نائب طرابلس أيضا، خنقا بعد أن استصفيت أموالهما بالعقوبة، ثم سلّما إلى أهلهما، فدفن تنم بتربته التى أنشأها عند ميدان الحصى خارج دمشق، و كان تنم المذكور- رحمه اللّه- من محاسن الدنيا، و كانت مدة ولايته على دمشق سبع سنين و ستة أشهر و نصفا. و لقد أخبرنى بعض مماليك الوالد- رحمه اللّه- قال: لما حصر تيمورلنك العساكر المصرية بدمشق، كان الوالد يوم ذلك متولّى ثيابة دمشق، و كان مقيما على بعض أبواب دمشق لحفظها، و كان نوروز الحافظىّ على باب آخر، فركب نوروز الحافظى فى بعض الأيام، و أتى الوالد و وقف يحادثه، فكان من جملة كلامه للوالد، يا فلان، انظر عساكر هذا اللعين ما أكثرها، و اللّه لو عاش أستاذنا لما قدر عليه لكثرة عساكره، فتبسّم الوالد و خاشنه فى اللفظ يمازحه، و قال له:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢١٣

و اللّه لو كان تنم حيّا للقيه من الفرات و هزمه أقبح هزيمة، و إنما عساكرنا الآن مفلولة، و آراؤهم مختلفة، و ليس فيهم من يرجع إلى كلامه، فلهذا كان ما ترى. انتهى.

ثم دفن يونس بلطا بصالحية دمشق، و كان أيضا ولى نيابة طرابلس نحو ست سنين، ثم قتل جميع من كان من أصحاب أيتمش و تنم، و لم يبق منهم إلا آقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب، و الوالد أبقى لشفاعة أخته خوند شيرين أم السلطان الملك الناصر فرج فيه، فإنها كانت ألزمت الأمير نوروز الحافظى و الأمير يشبك الشعبانىّ بالوالد و حرّضتهما على بقائه، و كان لها يوم ذلك جاه كبير لسلطنة ولدها الملك الناصر، ثم أوصت ولدها الملك الناصر أيضا به، فزاد ذلك فسحة الأجل فأبقى، و أما آقبغا الأطروش فإنه بذل فى إبقائه مالا كبيرا للأمراء فأبقى.

ثم خلع السلطان على الأمير بتخاص السّودونى باستقراره فى نيابة الكرك عوضا عن سودون الظريف.

ثم خرج السلطان بعساكره و أمرائه من مدينة دمشق فى يوم رابع شهر رمضان صبيحة قتل تنم و يونس يريد الديار المصريّة، و سار حتى نزل غزّة فى ثانى عشر شهر رمضان المذكور، و قتل بغزّة علاء الدين على بن الطبلاوى أحد أصحاب تنم، ثم خرج من غزّة و سار يريد القاهرة حتى وصلها فى سادس عشرين رمضان من سنة اثنتين و ثمانمائة، بعد أن زيّنت القاهرة، و فرشت له الشّقاق الحرير من تربة الأمير يونس الدوادار بالصحراء إلى قلعة الجبل، و كان يوم دخوله إلى مصر من الأيام المشهودة، و طلع إلى القلعة و كثرت التهانى بها لمجيئه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۴

ثم فى ثامن عشرينه أنعم السلطان على الأمير قصلوبغا الكركى الحسنى الظاهرى بإقطاع سيّدى سودون نائب الشام و أنعم على الأمير آقباى الكركى الخازندار بإقطاع شيخ المحمودى المنتقل إلى نيابة طرابلس، و أنعم على الأمير جركس القاسمى المصارع بإقطاع مبارك شاه، و أنعم على الأمير جكم من عوض بإقطاع دقماق المحمدى نائب حماة، و الجميع تقادم ألوف، و أنعم السلطان على الأمير الطواشى مقبل الزمّام بإقطاع الطواشى بهادر الشّهابى مقدّم المماليك بعد موته، و أنعم بإقطاع مقبل على الطواشى صواب السعدى المعروف بشنكل، و قد استقرّ مقدّم المماليك بعد موت بهادر المذكور، و أنعم بإقطاع صواب المذكور على الطواشى شاهين الألجائى نائب مقدّم المماليك.

ثم قدم على السلطان مملوك الأمير يلبغا المجنون من بلاد الصعيد بكتاب يلبغا المجنون يسأل فى نيابة الوجه القبلى، فرسم السلطان أن يخرج إليه تجريدة من الأمراء و هم: الأمير نوروز الحافظىّ و هو مقدم العسكر المذكور، و بكتمر أمير سلاح، و آقباى الحاجب، و تمراز أمير مجلس، و يلبغا الناصرى، و إينال باى بن قجماس، و أسنبغا الدوادار، و تتمّة ثمانية عشر أميرا، و خرجوا من القاهرة فى ثالث عشر شوّال و معهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية.

و فى صبيحة يوم خروج العسكر، ورد الخبر على السلطان بأن الأمير محمد بن عمر ابن عبد العزيز الهوّارى حارب يلبغا المجنون، و أنه قبض على أمير على دواداره، و على نائب الوجه البحرى، و على الأمير إياس الكمشبغاوى الخاصكى، و على جماعة من أصحابه، و أن يلبغا المجنون فرّ بعد أن انهزم و نزل إلى البحر بفرسه فغرق، و أنه أخرج من النيل ميتا، فوجدوه قد أكل السمك لحم وجهه، فسر السلطان و الأمراء بذلك، و خرج البريد فى الوقت بعود الأمراء المجرّدين إلى القاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۵

ثم فى ثامن عشره خرج أمير حاج المحمل بيسق الشّيخى أمير آخور الثانى بالمحمل، و كان تكلم الناس بعدم سفر الحاج فى هذه السنة و لم يكن لذلك أصل.

ثم ابتدأت الفتنة بين الأمير يشبك الشعبانى الدوادار و بين الأمير سودون من على بك المعروف بطاز الأمير آخور الكبير؛ و وقع بينهما أمور.

فلما كان يوم ثامن عشرين شوّال المذكور منع جميع مباشرى الدولة بديار مصر من النزول إلى بيت الأمير يشبك الدوادار، و ذلك أن المباشرين بأجمعهم الكبير منهم و الصغير كانوا ينزلون فى خدمة يشبك منذ قدم السلطان من دمشق، فعظم ذلك على سودون طاز، و تفاوض معه فى مجلس السلطان فى كفّه عن ذلك، حتى أذعن يشبك فمنعوا، ثم نزلوا إليه على عادتهم، و صاروا جميعا يجلسون عنده من غير أن يقفوا، و كانوا من قبل يقفون على أقدامهم.

ثم فى ثانى ذى القعدة و رد الخبر على السلطان من حلب بواقعة الامير دمرداش المحمدى نائب حلب مع السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد و العراق.

و خبره أن القان غياث الدين أحمد بن أويس المذكور لما ملك بغداد بعد حضوره إلى الديار المصرية حسب ما تقدّم ذكره فى

ترجمة الملك الظاهر برقوق الثانية، فأخذ السلطان أحمد المذكور يسير مع أمرائه و رعيته سيرة سيئة، فركبوا عليه و قاتلوه، و كاتبوا صاحب شيراز فى القدوم عليهم لأخذ بغداد، و خرج ابن أويس منهزما إلى الأمير قرا يوسف يستنجده، فركب معه قرا يوسف و سار إلى بغداد، فخرج إليهما أهل بغداد، و قاتلوهما و كسروهما بعد حروب طويلة، فانهزما إلى شاطئ الفرات، و بعثا يسألان الأمير دمرداش نائب حلب فى نزولهما ببلاد الشام،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۶

ففى الحال استدعى دمرداش دقماق نائب حماة بعساكره إلى حلب فقدم عليه، و خرجا معا فى عسكر كبير و كبسا ابن أويس و قرا يوسف، و هما فى نحو سبعة آلاف فارس، فاقتتلا قتالا شديدا فى يوم الجمعة رابع عشرين شوّال، قتل فيه الأمير جانيبك اليحياوى أتابك حلب، و أسر دقماق المحمدى نائب حماة، و انهزم دمرداش المحمدى نائب حلب، و فرّ فيمن بقى من عسكره إلى حلب، ثم لحقه دقماق بعد أن فدى نفسه بمائة ألف درهم، و حضر الوقعة الأمير سودون من زاده المتوجه بالبشارة إلى البلاد الشامية بسلامة السلطان، و قدم مع ذلك كتب ابن أويس و قرا يوسف على السلطان تتضمن: إنا لم نجئ محاربين، و إنما جئنا مستجيرين مستنجدين بسلطان مصر، على عوائد فضل أبيه الملك الظاهر- رحمه اللّه- فحاربنا هؤلاء بغتة، فدافعنا عن أنفسنا و إلا كنا هلكنا، فلم يلتفت أهل الدولة إلى كتبهما، و كتبوا إلى نائب الشام بمسيره بعساكر الشام و قتال ابن أويس و قرا يوسف و القبض عليهما و إرسالهما إلى مصر. هذا و خوند شيرين والدة الملك الناصر فرج مستمرّة السعى فى الإفراج عن الوالد من سجنه بقلعة دمشق، إلى أن أجاب الأمراء إلى ذلك و كتب بالإفراج عنه و عن الأمير آقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب فى يوم عرفة من محبسهما بقلعة دمشق، و حملا إلى القدس بطالين بها.

و بينما القوم فى انتظار ما يرد عليهم من أمر السلطان أحمد بن أويس و قرا يوسف، قدم عليهم الخبر من حلب بنزول تيمور لنك على مدينة سيواس، و أنه حارب سليمان بن أبى يزيد بن عثمان، فانهزم سليمان المذكور إلى أبيه بمدينة برصا، و معه قرا يوسف، و أخذ تيمور سيواس و قتل من أهلها مقتلة عظيمة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۷

ثم وصلت بعد قليل رسل ابن عثمان إلى الديار المصرية و كتابه يتضمّن اجتماع الكلمة و أن يكون مع السلطان عونا على قتال هذه الطاغية تيمورلنك، ليستريح الإسلام و المسلمون منه، و أخذ يتخضّع و يلحّ فى كتابه على اجتماع الكلمة، فلم يلتفت أحد إلى كلامه، و قالت أمراء مصر يوم ذاك الآن صار صاحبنا، و عندما مات أستاذنا الملك الظاهر برقوق مشى على بلادنا، و أخذ ملطية من عملنا، فليس هو لنا بصاحب، يقاتل هو عن بلاده، و نحن نقاتل عن بلادنا و رعيتنا، و كتب له عن السلطان بمعنى هذا اللفظ، و كان ما قاله أبو يزيد بن عثمان من أكبر المصالح، فانه حدّثنى فيما بعد الأمير أسنباى الظاهرى الزردكاش، و كان أسره تيمور و حظى عنده و جعله زردكاشه، قال: قال لى تيمورلنك ما معناه: إنه لقى فى عمره عساكر كثيرة و حاربها، لم ينظر فيها مثل عسكرين: عسكر مصر و عسكر ابن عثمان المذكور، غير أن عسكر مصر كان عسكرا عظيما ليس له من يقوم بتدبيره لصغر سن الملك الناصر فرج، و عدم معرفة من كان حوله من الأمراء بالحروب، و عسكر ابن عثمان المذكور، غير أنه كان أبو يزيد صاحب رأى و تدبير و إقدام، لكنه لم يكن له من العساكر من يقوم بنصرته.

قلت: و لهذا قلت إن المصلحة كانت تقتضى الصلح مع أبى يزيد بن عثمان المذكور، فإنه كان يصيّر للعساكر المصرية من يدبّرها، و يصيّر لابن عثمان المذكور عساكر مصر مع عساكره عونا، فكان تيمور لا يقوى [على] مدافعتهم، فإن كلا من العسكرين كان يقوى دفعه لولا ما ذكرناه، فما شاء اللّه كان.

و بعد أن كتب لابن عثمان بذلك لم يتأهب أحد من المصريين لقتال تيمور، و لا التفت إلى ذلك، بل كان جل قصد كل أحد منهم ما يوصله إلى سلطنة مصر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۸

و إبعاد غيره عنها، و يدع الدنيا تنقلب ظهرا لبطن، فإنه مع ورود هذا الخبر المزعج بلغ السلطان و الأمراء أن الأمير قانى باى العلائى الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات و رأس نوبة يريد إثارة فتنه، فطلبه السلطان و أمره بلبس التشريف بنيابة غزة، فامتنع من لبسه، فأمر السلطان به فقبض عليه و سلم للأمير آقباى الحاجب، فأخذه و نزل إلى داره و أقام عنده إلى آخر النهار، فاجتمع عليه طائفة من المماليك السلطانية يريدون أخذه من آقباى الحاجب غصبا، فخاف آقباى و طلع به إلى القلعة، فطلب السلطان الأمراء و تشاوروا على قتله، فاتفقوا على إبقائه فى إمرته و وظيفته.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۳]

ثم فى خامس عشرين المحرّم من سنة ثلاث و ثمانمائة و رد البريد على السلطان من حلب بأخذ تيمور ملطية، ثم وصل من الغد البريد أيضا بوصول أوائل عسكر تيمور لنك إلى مدينة عينتاب، و فى الكتاب: أدركوا المسلمين و إلا هلكوا، فاستدعى السلطان بعد يومين الخليفة و القضاة و الأمراء و أعيان الدولة، و علموا أن تيمور لنك وصلت مقدّمته إلى مرعش و عينتاب، و كان القصد بهذا الجمع أخذ مال التجار إعانة على النفقة فى العساكر، فقال القضاة: أنتم أصحاب الأمر و النهى و ليس لكم فيه معارض، و إن كان القصد الفتوى فى ذلك فلا يجوز أخذ مال أحد يخاف على العساكر من الدعاء، فقيل لهم نأخذ نصف الأوقاف من البلاد، نقطعها للأجناد البطّالين، فإن الأجناد قلّت لكثرة الأوقاف، فقال القضاة: و ما قدر ذلك؟

و متى عمدتم على البطّالين فى الحرب، خيف أن يؤخذ الإسلام، و طال الكلام فى ذلك حتى استقر الرأى على إرسال الأمير أسنبغا الدوادار لكشف الأخبار، و تجهيز عساكر الشام إلى جهة تيمور لنك، و سار أسنبغا فى خامس صفر من سنة ثلاث المذكورة على البريد، و وقع التخذيل و التقاعد لاختلاف الكلمة و كثرة الآراء.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۱۹

هذا و أهل البلاد الشامية فى أمر لا يعلمه إلا اللّه تعالى، مما داخلهم من الرعب و الخوف، و قصد كل واحد أن يرحل من بلده، فمنعه من ذلك حاكم بلده، و وعده بحضور العساكر المصرية و الدفع عنهم.

ثم بعد أيام قدم البريد بكتاب نائب حلب الأمير دمرداش المحمدى، و صحبته أيضا كتاب أسنبغا الدوادار بأن تيمور نزل على قلعة بهسنا، بعد ما ملك مدينتها، و أنه مستمر على حصارها، و قد وصلت عساكره إلى عينتاب، و وصل هذا الخبر إلى مصر رابع عشرين صفر المذكور، فوقع الشروع عند ذلك فى حركة سفر السلطان، ثم علق جاليش السفر فى يوم ثالث شهر ربيع الأوّل، و كان من خبر أسنبغا الدوادار أنه وصل إلى دمشق فى سابع صفر، فقرأ كتاب السلطان فى الجامع الأموى، و هو يتضمن تجهيز العساكر الشامية و خروجهم لقتال تيمور، و قدم فى تاسعه رسول تيمور إلى الشام و على يده مطالعات تيمور للمشايخ و القضاة و الأمراء، بأنه قدم فى عام أول إلى العراق، يريد أخذ القصاص ممن قتل رسله بالرحبة، ثم عاد إلى الهند، فبلغه موت الملك الظاهر، فعاد و أوقع بالكرج

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۰

ثم قصد الروم لمّا بلغه قلّة أدب هذا الصبىّ سليمان بن أبى يزيد بن عثمان أن يعرك أذنه، فتوجه إليه و فعل بسيواس و غيرها من بلاد الروم ما بلغكم، ثم قصد بلاد مصر ليضرب بها السكة، و يذكر اسمه فى الخطبة، ثم يرجع، و طلب فى الكتاب أن يرسل إليه أطلمش المقبوض عليه من أمرائه قبل تاريخه، فى دولة الملك الظاهر برقوق، و إن لم ترسلوه يصير دماء المسلمين فى ذمتكم، فلم يلتفت سودون نائب الشام إلى كلامه، و أمر بالرسول فوسّط.

و توجه أسنبغا إلى حلب فوجد الأخبار صحيحة؛ فكتب بما رآه و علمه إلى الديار المصرية صحبة كتاب نائب حلب، فوصلت الكتب المذكورة إلى مصر فى ثالث شهر ربيع الأول؛ و كان ما تضمنته الكتب أن تيمور نزل على بزاعة ظاهر حلب، و قد اجتمع بحلب سائر

نوّاب البلاد الشامیـة، و اسـتحثّ فی خروج السـلطان بالعساکر من مصـر إلی البلاد الشامیـة، و أن تیمور لما نزل علی بزاعة خرج الأمیر شیـخ المحمودی نـائب طرابلس هو الملـک المؤیـد و برز إلی جـالیش تیمور لنـک فی سـبعمائة فـارس، و التتار فی نحو ثلاثـة آلاف فارس، و ترامی الجمعان بالنشاب ثم اقتتلوا ساعة، و أخذ شیخ من التتار أربعة، و عاد کل من الفریقین إلی موضعه، فوسّط الأربعة علی أبواب مدینـة حلب بحضـرة من اجتمع بحلب من النواب، و کان الـذی اجتمع بها الأمیر سودون نائب الشام بعساکر دمشق و أجنادها و عشیرها،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۱

و نـائب طرابلس شـیخ المحمودی المـذکور بعسـاکر طرابلس و أجنادهـا و رجّالتهـا، و نـائب حماة دقماق المحمـدی بعساکر حماة و عربانهـا، و نـائب صـفد ألطنبغـا العثمانی بعساکر صـفد و عشـیرها، و نائب غزة عمر بن الطحان بعساکرها، فاجتمع منهم بحلب عساکر عظیمة، غیر أن الکلمة متفرّقة، و العزائم محلولة لعدم وجود السلطان. انتهی.

و کـان تیمور لمـا نزل علی عینتـاب أرسل رسوله إلی الأمیر دمرداش المحمـدی نائب حلب یعـده باسـتمراره علی نیابـة حلب، و یأمره بمسـک سودون نـائب الشام، فإنه کان قتل رسوله الـذی وجهه إلی دمشق قبل تاریخه، فأخـذ دمرداش الرسول و أحضـره إلی النواب، فأنکر الرسول مسک سودون نائب الشام، و قال لدمرداش:

إن الأمیر (یعنی تیمور) لم یأت البلاد إلا بمکاتباتک إلیه، و أنت تسـتدعیه أن ینزل علی حلب، و أعلمته أن البلاد لیس بها أحـد یدفع عنها، فحنق منه دمرداش لمّا سـمع منه هذا الکلام، و قام إلیه و ضـربه، ثم أمر به، فضربت رقبته، و یقال: إن کلام هذا الرسول کان من تنمیق تیمور لنک و دهائه و مکره لیفرّق بذلک بین العساکر، فعلم الأمراء ذلک، و لم یقع ما قصده، و من الحلبیین جماعة یقولون إلی الآن:

إنه کاتب تیمور و تقاعد عن القتال. و اللّه أعلم بصحّة ذلک.

ثم اجتمع الأـمراء و النواب علی قتـال تیمور، و تهیّأ کـل منهم للقـائه بعـد أن یئسوا من مجیء السـلطان و عساکره، لعلمهم بعـدم رأی مـدبّری مملکـة مصـر من الأمراء، و لصـغر سن السـلطان، و قد فات الأمر و هم فی قلة إلی الغایة بالنسـبة إلی عساکر تیمور و جنوده و جموعه، و کـان الاـلیق خروج السـلطان من مصـر بعسـاکره و وصوله إلی حلب قبل رحیل تیمور من سـیواس، کما فعل الملک الظاهر برقوق- رحمه اللّه- فیما تقدّم ذکره.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۲

و بینمـا النواب فی إصـلاح شأنهم للقتال، نزل تیمور بعساکره علی قریـة جیلان، خارج حلب فی یوم الخمیس تاسع شـهر ربیع الأوّل و أحـاط بمدینـة حلب، و أصبح من الغـد فی یوم الجمعـة، زحف علی مدینـة حلب و أحـاط بسورهـا، فکانت بین أهل حلب و بینه فی هـذین الیومین حروب کثیرة، و مناوشـات بالنشّـاب و النّفوط و المکاحـل، و رکب اهـل حلب أسوار المدینـة و قاتلوه أشـدّ قتال، فلما اشرقت الشمس یوم السبت حادی عشره خرج نوّاب الشام بجمیع عساکرها، و عامة أهل حلب إلی ظاهر مدینة حلب، و عبأوا الأطلاب و العسـاکر لقتـال تیمـور، و وقـف سـیّدی سودون نـائب دمشق بممـالیکه، و عسـاکر دمشق فی المیمنـة، و وقف دمرداش نـائب حلب بممالیکه، و عساکر حلب فی المیسـرة، و وقف بقیة النواب فی القلب، و قدّموا أمامهم أهل حلب المشاة، فکانت هذه التعبئة من أیشـم التعابئ، هـذا مع ادعاء دمرداش بالمعرفـة لتعبئـة العساکر، و حال وقوف الجمیع فی منازلهم زحف تیمور بجیوش قـد سدّت الفضاء، و صـدم عساکر حلب صدمـة هائلـة فالتقاه النوّاب و ثبتوا لصـدمته أوّلا، ثم انکسـرت المیسـرة، و ثبت سودون نائب الشام فی المیمنـة، و أردفه شـیخ نائب طرابلس و قاتلاه قتالا عظیما، و برز الأمیر عزّ الدین أزدمر أخو الأتابک إینال الیوسـفی و ولده یشـبک بن أزدمر فی عدّة من الفرسان و قد بذلوا نفوسهم فی سبیل اللّه، و قاتلوا قتالا شدیدا و أبلوا بلاء عظیما و ظهر عن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۳

أزدمر و ولده يشبك من الشجاعة و الإقدام ما لعلّه يذكر إلى يوم القيامة، و لم يزل أزدمر يقتحم القوم و يكرّ فيهم إلى أن قتل و فقد خبره فإنه لم يقتل إلّا و هو فى قلب العدوّ، و سقط ولده يشبك بين القتلى و قد أثخنت جراحاته، و صار فى رأسه فقط زيادة على ثلاثين ضربة بالسيف و غيره، سوى ما فى بدنه.

ثم أخذ و حمل إلى بين يدى تيمور، فلمّا رأى تيمور ما به من الجراح تعجّب من إقدامه و ثباته غاية العجب، و أمر بمداواته، فيما قيل؛ و لم تمض غير ساعة حتى ولّت العساكر الشامية منهزمة يريدون مدينة حلب، و ركب أصحاب تيمور أقفيتهم، فهلك تحت حوافر الخيل من البشر و من أهل حلب و غيرها من المشاة ما لا يدخل تحت حصر، فإن أهل حلب خرجوا منها لقتال تيمور، حتى النساء و الصبيان، و ازدحم الناس مع ذلك فى دخولهم إلى أبواب المدينة، و داس بعضهم بعضا، حتى صارت الرّمم طول قامة، و الناس تمشى من فوقها، و قصد نوّاب المماليك الشامية قلعة حلب و طلعوا إليها، فدخلها معهم خلائق من الحلبيين و كانوا قبل ذلك قد نقلوا إليها سائر أموال الناس بحلب.

هذا و قد اقتحم عساكر تيمور مدينة حلب فى الحال، و أشعلوا فيها النّيران و أخذوا فى الأسر و النهب و القتل، فهرب سائر نساء البلد و الأطفال إلى جامع حلب و بقية المساجد، فمال أصحاب تيمور عليهن، و ربطوهن بالحبال أسرى، ثم وضعوا السيف فى الأطفال، فقتلوهم بأسرهم، و شرعوا فى تلك الأفعال القبيحة على عادتهم، و صار الأبكار تفتضّ من غير تستّر، و المخدّرات يفسق فيهنّ من غير احتشام، بل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٢۴

يأخذ التّترى الواحدة و يعلوها فى المسجد و الجامع بحضرة الجمّ الغفير من أصحابه و من أهل حلب، فيراها أبوها و أخوها و زوجها و ولدها و لا يقدر أن يدفع عنها لقلّة مقدرته، و لشغله بنفسه بما هو فيه من العقوبة و العذاب، ثم ينزل عنها الواحد فيقوم لها آخر و هى مكشوفة العورة.

ثم بذلوا السيف فى عامة حلب و أجنادها حتى امتلأت الجوامع و الطرقات بالقتلى، و جافت حلب، و استمر هذا من ضحوة نهار السبت إلى أثناء يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأوّل، هذا و القلعة فى أشدّ ما يكون من الحصار و القتال، و قد نقبها عسكر تيمور من عدّة أماكن، وردم خندقها و لم يبق إلا أن تؤخذ.

فتشاور النوّاب و الأعيان الذين بالقلعة، فأجمعوا على طلب الأمان، فأرسلوا لتيمور بذلك، فطلب تيمور نزول بعض النوّاب إليه، فنزل إليه دمرداش نائب حلب، فخلع عليه، و دفع إليه أمانا و خلعا إلى النوّاب، و أرسل معه عدّة وافرة من أصحابه إلى قلعة حلب، فطلعوا إليها و أخرجوا النوّاب منها بمن معهم من الأمراء و الأعيان، و جعلوا كلّ اثنين فى قيد، و أحضروا الجميع إلى تيمور و أوقفوا بين يديه، فنظر إليهم طويلا و هم وقوف بين يديه و رئيسهم سودون نائب الشام.

ثم أخذ يقرّعهم و يوبّخهم و يلوم سودون نائب الشام فى قتله لرسوله، و يكثر له من الوعيد. ثم دفع كلّ واحد منهم إلى من يحتفظ به. ثم سيقت إليه نساء حلب سبايا، و أحضرت إليه الأموال و الجواهر و الآلات الفاخرة، ففرّقها على أمرائه و أخصّائه، و استمرّ النهب و السبى و القتل بحلب فى كل يوم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٢۵

مع قطع الأشجار و هدم البيوت و إحراق المساجد، و جافت حلب و ظواهرها من القتلى، بحيث صارت الأرض منهم فراشا، لا يجد الشخص مكانا يمشى عليه إلّا و تحت رجليه رمّة قتيل. و عمل تيمور من رءوس المسلمين منائر عدّة مرتفعة من الأرض نحو عشرة أذرع فى دور عشرين ذراعا، حسب ما فيها من رءوس بنى آدم فكان زيادة على عشرين ألف رأس، و لمّا بنيت جعلت الوجوه بارزة يراها من يمرّ بها.

ثم رحل تيمور من حلب بعد أن أقام بها شهرا، و تركها خاوية على عروشها، خالية من سكّانها و أنيسها، قد خربت و تعطّلت من

الأذان و الصلوات، و أصبحت خرابا يبابا مظلمة بالحريق موحشة قفرا، لا يأويها إلّا البوم و الرّخم. و سار تيمور قاصدا جهة دمشق، فمرّ بمدينة حماة، و كان أخذها ابنه ميران شاه.

و كان من خبرها أن ميران شاه بن تيمور نزل عليها بكرة يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور، و أحاط بها بعساكره، بعد أن نهب خارج مدينة حماة، و سبى النساء و الأطفال، و أسر الرجال، و استمرّت أيدى أصحابه يفعلون فى النساء

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۶

و الأبكار تلك الأفعال القبيحة، و خرّبوا جميع ما خرج عن سور المدينة. هذا و قد استعدّ أهل حماة للقتال، و ركب الناس سور المدينة، و امتنعوا من تسليم المدينة، و باتوا على ذلك، فلما أصبحوا خادعهم ابن تيمور، ففتحوا له بابا من أبواب المدينة، و دخل ابن تيمور المذكور مدينة حماة و نادى بالأمان؛ فقدم الناس عليه، و قدّموا له أنواع المطاعم، فقبلها منهم، و عزم أن يقيم رجلا من أصحابه عليها، فقيل له:

إن الأعيان قد خرجوا منها، فخرج إلى مخيّمه و بات به.

ثم رحل يوم الخميس عنها و وعد الناس بخير؛ و مع ذلك فإن قلعة حماة لم يتسلّمها، بل كانت امتنعت عليه.

فلما كان ليلة الجمعة نزل أهل القلعة و قتلوا من أصحاب ابن تيمور رجلين كان أقرّهما بالمدينة، فلما بلغ ذلك ابن تيمور رجع إليها و اقتحم البلد، و أشعل النار بها، و أخذ أصحابه يقتلون و يأسرون و ينهبون حتى صارت كمدينة حلب، غير أنّه كان رفق بأهل حلب، فإنه كان سأل قضاة حلب لمّا صاروا فى أسره عن قتاله، و من الشهيد [من العسكرين]؟ فأجاب محبّ الدين محمد بن محمد بن الشّحنة الحنفىّ بأن قال: سئل رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و سلّم- عن هذا، فقال: «من قاتل لتكون كلمة اللّه هى العليا فهو الشهيد»، فأعجبه ذلك و حادثهم، فطلبوا منه أن يعفو عن

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۷

أهل حلب، و لا يقتل أحدا؛ فأمّنهم جميعا و حلف لهم، فحصل بذلك بعض رفق بالنسبة إلى غيرهم.

و أمّا أهل دمشق، فإنه لمّا قدم عليهم الخبر بأخذ حلب، نودى فى الناس بالرحيل من ظاهرها إلى داخل المدينة، و الاستعداد لقتال العدوّ المخذول فأخذوا فى ذلك، فقدم عليهم المنهزمون من حماة، فعظم خوف أهلها و همّوا بالجلاء، فمنعوا من ذلك، و نودى «من سافر نهب»، فعاد إليها من كان خرج منها، و حصّنت دمشق، و نصبت المجانيق على قلعة دمشق، و نصبت المكاحل على أسوار المدينة، و استعدّوا للقتال استعدادا جيّدا إلى الغاية.

ثم وصلت رسل تيمور إلى نائب الغيبة بدمشق ليتسلّموا منه دمشق، فهمّ نائب الغيبة بالفرار، فردّه العامّة ردّا قبيحا، و صاح الناس و أجمعوا على الرحيل عنها، و استغاث النساء و الصّبيان، و خرجت النساء حاسرات لا يعرفن أين يذهبن، حتى نادى نائب الغيبة بالاستعداد.

و قدم الخبر فى أثناء ذلك بمجىء السلطان إلى البلاد الشاميّة، ففتر عزم الناس عن الخروج من دمشق ما لم يحضر السلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۸

و أمّا أمراء الديار المصريّة فإنه لمّا كان ثامن عشر شهر ربيع الأوّل و هو بعد أخذ تيمور لمدينة حلب بسبعة أيّام، فرقّت الجماكى على المماليك السلطانيّة بسبب السفر.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة؛ ج۱۲؛ ص۲۲۸

فى عشرينه نودى على أجناد الحلقة بالقاهرة أن يكونوا فى يوم الأربعاء ثانى عشرينه فى بيت الأمير يسك الشّعبانى الدّوادار للعرض عليه.

ثم فى خامس عشرينه ورد عليهم الخبر بأخذ تيمور مدينة حلب، و أنه يحاصر قلعتها، فكذّبوا ذلك، و أمسك المخبر و حبس حتى

یعاقب بعد ذلک علی افترائه، و وقع الشروع فی النفقة، فأخذ کلّ مملوک ثلاثة آلاف و أربعمائة درهم.

ثم خرج الأمیر سودون من زادة و الأمیر إینال حطب علی الهجن فی لیلة الأربعاء تاسع عشرینه لکشف هذا الخبر.

ثم رکب الشیخ سراج الدین عمر البلقینی و قضاة القضاة و الأمیر آقبای الحاجب، و نودی بین أیدیهم: «الجهاد فی سبیل اللّه تعالی لعدوّکم الأکبر تیمورلنک، فإنه أخذ البلاد و وصل إلی حلب و قتّل الأطفال علی صدور الأمّهات، و أخرب الدّور و الجوامع و المساجد، و جعلها إسطبلات للدوابّ، و أنّه قاصدکم، یخرّب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۲۹

بلادکم، و یقتّل رجالکم؛ فاضطربت القاهرة لذلک، و اشتدّ جزع الناس، و کثر بکاؤهم و صراخهم، و انطلقت الألسنة بالوقیعة فی أعیان الدولة.

و استهلّ شهر ربیع الآخر، فلما کان ثالثه قدم الأمیر أسنبغا الحاجب و أخبر بأخذ تیمور مدینة حلب و قلعتها باتفاق دمرداش، و حکی ما نزل بأهل حلب من البلاء، و أنه قال لنائب الغیبة بدمشق یخلّی بین الناس و بین الخروج من دمشق، فإن الأمر صعب، [و إن النائب لم یمکّن أحدا من السیر] فخرج السلطان الملک الناصر من یومه من القاهرة و نزل بالرّیدانیّة بأمرائه و عساکره [و الخلیفة] و القضاة، و تعیّن الأمیر تمراز الناصریّ أمیر مجلس لنیابة الغیبة بالدیار المصریّة، و أقام بمصر من الأمراء الأمیر جکم من عوض فی عدّة أخر، و أقام الأمیر تمراز یعرض أجناد الحلقة، و فی تحصیل ألف فرس و ألف جمل، و إرسال ذلک مع من یقع علیه الاختیار من أجناد الحلقة للسّفر.

ثم رسم باستقرار الأمیر أرسطای من خجا علی رأس نوبة النّوب کان فی نیابة الإسکندریّة بعد موت نائبها فرج الحلبی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۰

و کان أرسطای منذ أفرج عنه بطّالا بالإسکندریّة، فوردت علیه الولایة و هو بها، و أخذ الأمیر تمراز فی عرض أجناد الحلقة، و تحصیل الخیول و الجمال و طلب العربان من الوجه القبلیّ و البحریّ لقتال تیمور، کلّ ذلک و السلطان بالرّیدانیّة.

ثم خرج الجالیش فی بکرة یوم الجمعة ثامن شهر ربیع الآخر، و فیه من أکابر الأمراء مقدّمی الألوف: الأتابک بیبرس، و الأمیر نوروز الحافظی رأس نوبة الأمراء، و الامیر بکتمر الرکنی أمیر سلاح، و آقبای حاجب الحجّاب، و یلبغا الناصری، و إینال بای بن قجماس، و عدّة أخر من أمراء الطبلخانات و العشرات.

ثم رحل السلطان ببقیّة الأمراء و العساکر من الرّیدانیّة یرید جهة الشام لقتال تیمور لنک، و سار حتی نزل بغزّة فی یوم عشرین من الشهر، و استدعی بالوالد و آقبغا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۳۱

الجمالیّ الأطروش نائب حلب کان من القدس، و أخلع علی الوالد باستقراره فی نیابة دمشق عوضا عن سودون قریب الملک الظاهر برقوق بحکم أسره مع تیمور، و هذه ولایة الوالد علی دمشق الأولی.

و خلع علی الأمیر آقبغا الجمالی الأطروش باستقراره فی نیابة طرابلس عوضا عن شیخ المحمودیّ بحکم أسره مع تیمور أیضا، و علی الأمیر تمربغا المنجکی باستقراره فی نیابة صفد عوضا عن ألطنبغا العثمانی بحکم أسره، و علی طولو من علی باشاه باستقراره فی نیابة غزّة عوضا عن عمر بن الطحّان، و علی صدقة بن الطویل باستقراره فی نیابة القدس، و بعث الجمیع إلی ممالکهم.

و أما الوالد فإنه قال للسلطان و للأمراء: عندی رأی أقوله، و فیه مصلحة للمسلمین و للسلطان، فقیل له: و ما هو؟ فقال: الرأی أن السلطان لا یتحرّک هو و لا عساکره من مدینة غزّة، و أنا أتوجّه إلی دمشق و أحرّض أهلها علی القتال، و أحصّنها- و هی بلدة عظیمة لم تنکب من قدیم الزمان، و بها ما یکفی أهلها من المیرة سنین، و قد داخل أهلها أیضا من الخوف ما لا مزید علیه، فهم یقاتلون قتال الموت- و تیمور لا یقدر علی أخذها منّی بسرعة، و هو فی عسکر کبیر إلی الغایة لا یطیق لمکث بهم بمکان واحد مدّة طویلة، فإما

أنه يدع دمشق و يتوجّه نحو السلطان إلى غزّة، فيتوغّل فى البلاد و يصير بين عسكرين، و أظنه لا يفعل ذلك، و إمّا أنه يعود إلى جهة بلاده كالمنهزم من عدم معرفة عساكره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٣٢

بالبلاد الشامية، و قلّة ما فى طريقه من الميرة لخراب البلاد، و يركب السلطان بعساكره المصرية و الشامية أقفية التّمرية إلى الفرات، فيظفر منهم بالغرض و زيادة، فاستصوب ذلك جميع الناس، حتى تيمور عند ما بلغه ذلك بعد أخذه دمشق، و ما بقى إلا أن يرسم بذلك، تكلّم بعض جهّال الأمراء مع بعض فى السرّ ممّن عنده كمين من الوالد من واقعة أيتمش و تنم، و قال: تقتلوا رفقته و تسلّموه الشام، و اللّه ما قصده إلّا أن يتوجّه إلى دمشق، و يتّفق مع تيمور و يعود يقاتلنا، حتى ياخذ منّا ثأر رفقته، و كان نوروز الحافظى بإزاء الوالد، فلمّا سمع ذلك استحيا أن يبديه للوالد، فأشار إليه بالسّكات و الكفّ عن ذلك، و انفضّ المجلس، و خرج الوالد من الخدمة و أصلح شأنه، و توجّه إلى دمشق، فوجد الأمير دمرداش نائب حلب قد هرب من تيمور و قدم إلى دمشق، و قد جفل أهل دمشق لمّا بلغهم قرب تيمور إلى دمشق فأخذ الوالد فى إصلاح أمر دمشق، فوجد أهلها فى غاية الاستعداد، و عزمهم قتال تيمور إلى أن يفنوا جميعا، فتأسّف عند ذلك على عدم قبول السلطان لرأيه و لم يسعه إلّا السّكات.

ثم رحل جاليش السلطان من غزّة فى رابع عشرين شهر ربيع الآخر، ثم رحل السلطان ببقيّة عسكره من غزّة فى سادس عشرينه، و سار الجميع حتى وافوا دمشق.

و كان دخول السلطان دمشق فى يوم الخميس سادس جمادى الأولى، و كان لدخوله يوم مهول من كثرة صراخ الناس و بكائهم و الابتهال إلى اللّه بنصرته، و طلع السلطان إلى قلعة دمشق و أقام بها إلى يوم السبت ثامنه، فنزل من قلعة دمشق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٣٣

و خرج بعساكره إلى مخيّمه عند قبة يلبغا ظاهر دمشق، و تهيّأ للقاء تيمور هو بعساكره و قد قصّرت المماليك الظاهريّة أرماحهم حتى يتمكّنوا من طعن التّمرية أولا بأوّل لازدرائهم عساكر تيمور.

فلما كان وقت الظهر من اليوم المذكور وصل جاليش تيمور من جهة جبل الثّلج فى نحو الألف فارس، فبرز إليهم مائة فارس من عسكر السلطان و صدموهم صدمة واحدة، بدّدوا شملهم و كسروهم أقبح كسرة، و قتلوا منهم جماعة كبيرة و عادوا.

ثم حضر إلى طاعة السلطان جماعة من التمريّة و أخبروا بنزول تيمور على البقاع العزيزى فلتكونوا على حذر، فإن تيمور كثير الحيل و المكر، فاحترز القوم منه غاية الاحتراز.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٣٤

ثم قدم على السلطان خمسة أمراء من أمراء طرابلس بكتاب أسندمر نائب الغيبة بطرابلس يتضمّن أن الأمير أحمد بن رمضان أمير التركمان هو و ابن صاحب الباز و أولاد شهرى اتّفقوا و ساروا إلى حلب و أخذوها من التمريّة، و قتلوا من أصحاب تيمور زيادة على ثلاثة آلاف فارس، و أن تيمور بعث عسكرا إلى طرابلس، فثار بهم أهل القرى و قتلوهم عن آخرهم بالحجارة لدخولهم بين جبلين، و أنه قد حضر من عسكر تيمور خمسة نفر، و أخبروا بأن نصف عسكر تيمور على نيّة المسير إلى طاعة السلطان.

و كان ذلك من مكايد تيمور، ثم قال: و إن صاحب قبرص و صاحب الماغوصة و غيرهم وردت كتبهم بانتظار الإذن لهم فى تجهيز المراكب فى البحر لقتال تيمور معاونة للسلطان، فلم يلتفت أحد لهذا الكتاب، و داموا على ما هم فيه من اختلاف الكلمة.

ثم فى يوم السبت نزّل تيمور بعساكره على قطنا، فملأت عساكره الأرض كثرة، و ركب طائفة منهم لكشف الخبر، فوجدوا السلطان و الأمراء قد تهيّئوا للقتال و صفّت العساكر السلطانيّة، فبرز إليهم التمريّة و صدموهم صدمة هائلة، و ثبت كلّ من العسكرين ساعة، فكانت بينهم وقعة انكسر فيها ميسرة السلطان، و انهزم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٣٥

العسكر الغزّاوىّ و غيرهم إلى ناحية حوران، و جرح جماعة، و حمل تيمور بنفسه حملة شديدة ليأخذ فيها دمشق، فدفعته ميمنة السلطان بأسنان الرماح حتى أعادوه إلى موقفه.

و نزل كلّ من العسكر بن بمعسكره، و بعث تيمور إلى السلطان فى طلب الصلح و إرسال أطلمش أحد أصحابه إليه، و أنه هو أيضا يبعث من عنده من الأمراء المقبوض عليهم فى وقعة حلب، فأشار الوالد و دمرداش و قطلوبغا الكركى فى قبول ذلك لما يعرفوا من اختلاف كلمتهم، لا لضعف عسكرهم، فلم يقبلوا و أبوا إلّا القتال.

ثم أرسل تيمور رسولا ـ آخر فى طلب الصّلح، و كرّر القول ثانيا، و ظهر للأمراء و لجميع العساكر صدق مقالته، و أن ذلك على حقيقته، فأبى الأمراء ذلك، هذا و القتال مستمرّ بين الفريقين فى كلّ يوم.

فلما كان ثانى عشر جمادى الآخرة اختفى من أمراء مصر و المماليك السلطانيّة جماعة، منهم الأمير سودون الطيّار، و قانى باى العلائى رأس نوبة، و جمق، و من الخاصكيّة يشبك العثمانى و قمش الحافظى و برسبغا الدوادار و طرباى فى جماعة أخر، فوقع الاختلاف عند ذلك بين الأمراء، و عادوا إلى ما كانوا عليه من التشاحن فى الوظائف و الإقطاعات و التحكّم فى الدولة، و تركوا أمر تيمور كأنه لم يكن، و أخذوا فى الكلام فيما بينهم بسبب من اختفى من الأمراء و غيرهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٣٦

هذا و تيمور فى غاية الاجتهاد فى أخذ دمشق و فى عمل الحيلة فى ذلك.

ثم أعلم بما الأمراء فيه، فقوى أمره و اجتهاده، بعد أن كان عزم على الرحيل، و استعدّ لذلك.

ثم أشيع بدمشق أن الأمراء الذين اختفوا توجّهوا جميعا إلى مصر ليسلطنوا الشيخ لاچين الچركسى أحد الأجناد البرّانيّة؛ فعظم ذلك على مدبّرى المملكة لعدم رأيهم، و كان ذلك عندهم أهمّ من أمر تيمور، و اتّفقوا فيما بينهم على أخذ السلطان الملك الناصر جريدة، و عوده إلى الديار المصرية فى الليل، و لم يعلموا بذلك إلّا جماعة يسيرة، و لم يكن أمر لاچين يستحقّ ذلك، بل كان تمراز نائب الغيبة بمصر يكفى السلطان أمرهم، وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا.

فلما كان آخر ليلة الجمعة حادى عشرين جمادى الأولى ركب الأمراء و أخذوا السلطان الملك الناصر فرج على حين غفلة، و ساروا به من غير أن يعلم العسكر به من على عقبة دمّر يريدون الديار المصرية، و تركوا العساكر و الرعيّة من المسلمين غنما بلا راع، و جدّوا فى السير ليلا ـ و نهارا حتى وصلوا إلى مدينة صفد، فاستدعوا نائبها الأمير تمربغا المنجكى و أخذوه معهم، و تلاحق بهم كثير من أرباب الدولة و أمرائها، و سار الجميع حتى أدركوا الأمراء الذين ساروا إلى مصر- عليهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٣٧

من اللّه ما يستحقّوه- بمدينة غزّة، فكلّموهم فيما فعلوه، فاعتذروا بعذر غير مقبول فى الدنيا و الآخرة؛ فندم عند ذلك الأمراء على الخروج من دمشق حيث لا ينفع الندم، و قد تركوا دمشق أكلة لتيمور، و كانت يوم ذاك أحسن مدن الدنيا و أعمرها.

و أما بقيّة أمراء مصر و أعيانها من القضاة و غيرهم لمّا علموا بخروج السلطان من دمشق خرجوا فى الحال فى إثره طوائف يريدون اللّحاق بالسلطان، فأخذ غالبهم العشير، و سلبوهم، و قتلوا منهم خلقا كثيرا.

أخبرنى غير واحد من أعيان المماليك الظاهرية قالوا: لما بلغنا خروج السلطان ركبنا فى الحال، غير أنه لم يعقنا عن اللّحاق به إلا كثرة السلاح الملقى على الأرض بالطريق مارمتها المماليك السلطانيّة ليخفّ ذلك عن خيولهم، فمن كان فرسه ناهضا خرج، و إلّا لحقه أصحاب تيمور و أسروه، فممّن أسروه قاضى القضاة صدر الدين المناوىّ و مات فى الأسر حسبما يأتى ذكره فى الوفيات و تتابع دخول المنقطعين من المماليك السلطانيّة و غيرهم إلى القاهرة فى أسوإ حال من المشى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٣٨

و العرى و الجوع، فرسم السلطان لكلّ من المماليك السلطانية المذكورين بألف درهم و جامكيّة شهرين.

و أمّا الأمراء فإنهم دخلوا إلی مصر و لیس مع کلّ أمیر سوی مملوک أو مملوکین، و قد ترکوا أموالهم و خیولهم و أطلابهم و سائر ما معهم بدمشق؛ فإنهم خرجوا من دمشق بغتة بغیر مواعدة لمّا بلغهم توجّه السلطان من دمشق، و أخذ کلّ واحد ینجو بنفسه.

و أما العساکر الّذین خلّفوا بدمشق من أهل دمشق و غیرها، فإنه کان اجتمع بها خلائق کثیرة من الحلبیّین و الحمویّین و الحمصیّین و أهل القری ممّن خرج جافلا من تیمور.

و لمّا أصبحوا یوم الجمعة و قد فقدوا السلطان و الأمراء و النائب غلّقوا أبواب دمشق، و رکبوا أسوار البلد، و نادوا بالجهاد، فتهیّأ أهل دمشق للقتال، و زحف علیهم تیمور بعساکره، فقاتله الدمشقیون من أعلی السور أشدّ قتال، و ردّوهم عن السور و الخندق، و أسروا منهم جماعة ممن کان اقتحم باب دمشق، و أخذوا من خیولهم عدّة کبیرة، و قتلوا منهم نحو الألف، و أدخلوا رءوسهم إلی المدینة، و صار أمرهم فی زیادة فأعیا تیمور أمرهم، و علم أن الأمر یطول علیه، فأخذ فی مخادعتهم، و عمل الحیلة فی أخذ دمشق منهم.

و بینما أهل دمشق فی أشدّ ما یکون من القتال و الاجتهاد فی تحصین بلدهم، قدم علیهم رجلان من أصحاب تیمور من تحت السور و صاحا من بعد: «الأمیر یرید الصلح، فابعثوا رجلا عاقلا حتی یحدّثه الأمیر فی ذلک».

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٣٩

قلت: هذا الذی کان أشار إلیه الوالد عند استقراره بغزّة فی نیابة دمشق، و قوله: إن أهل دمشق عندهم قوّة لدفع تیمور عن دمشق، و أن دمشق بلد کثیرة المیرة و الرّزق، و هی فی الغایة من التحصین، و أنه یتوجّه إلیها و یقاتل بها تیمور، فلم یسمع له أحد فی ذلک، فلعمری لو رأی من لا أعجبه کلام الوالد قتال أهل دمشق الآن و شدّة بأسهم و هم بغیر نائب و لا مدبّر لأمرهم، فکیف ذاک لو کان عندهم متولّی أمرهم بممالیکه و أمراء دمشق و عساکرها بمن انضاف إلیهم لکان یحق له الندم و الاعتراف بالتقصیر. انتهی.

و لما سمع أهل دمشق کلام أصحاب تیمور فی الصلح وقع اختیارهم فی إرسال قاضی القضاة تقی الدّین إبراهیم بن [محمد بن] مفلح الحنبلی، فأرخی من سور دمشق إلی الأرض، و توجّه إلی تیمور و اجتمع به و عاد إلی دمشق، و قد خدعه تیمور بتنمیق کلامه، و تلطّف معه فی القول، و ترفق له فی الکلام، و قال له: هذه بلدة الأنبیاء و الصحابة، و قد أعتقتها لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم صدقة عنّی و عن أولادی، و لولا حنقی من سودون نائب دمشق عند قتله لرسولی ما أتیتها، و قد صار سودون المذکور فی قبضتی و فی أسری، و قد کان الغرض فی مجیئی إلی هنا، و لم یبق لی الآن غرض إلا العود، و لکن لا بدّ من أخذ عادتی من التّقدمة من الطّقزات.

و کانت هذه عادته إذا أخذ مدینة صلحا یخرج إلیه [أهلها] من کل نوع من أنواع المأکول و المشروب و الدوابّ و الملابس و التّحف تسعة؛ یسمّون ذلک طقزات، و الطّقز باللّغة الترکیة: تسعة، و هذه عادة ملوک التتار إلی یومنا هذا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٤٠

فلما صار ابن مفلح بدمشق شرع یخذّل الناس عن القتال و یثنی علی تیمور و دینه و حسن اعتقاده ثناء عظیما، و یکفّ أهل دمشق عن قتاله، فمال معه طائفة من الناس، و خالفه طائفة أخری و أبوا إلّا قتاله، و باتوا لیلة السبت علی ذلک، و أصبحوا نهار السّبت و قد غلب رأی ابن مفلح علی من خالفه، و عزم علی إتمام الصلح، و نادی فی الناس: إنه من خالف ذلک قتل و هدر دمه؛ فکفّ الناس عن القتال.

و فی الحال قدم رسول تیمور إلی مدینة دمشق فی طلب الطقزات المذکورة، فبادر ابن مفلح، و استدعی من القضاة و الفقهاء و الأعیان و التجار، حمل ذلک کلّ أحد بحسب حاله، فشرعوا فی ذلک حتی کمل، و ساروا به إلی باب النصر لیخرجوا به إلی تیمور، فمنعهم نائب قلعة دمشق من ذلک، و هدّدهم بحریق المدینة علیهم إن فعلوا ذلک، فلم یلتفتوا إلی قوله، و قالوا له: [أنت] احکم علی قلعتک، و نحن نحکم علی بلدنا، و ترکوا باب النصر و توجهوا، و أخرجوا الطقزات المذکورة من السور، و تدلّی ابن مفلح من السور أیضا و معه کثیر من أعیان دمشق و غیرهم و ساروا إلی مخیّم تیمور، و باتوا به لیلة الأحد، و عادوا بکرة الأحد، و قد استقرّ تیمور بجماعة منهم فی عدّة وظائف: ما بین قضاة القضاة، و الوزیر، و مستخرج الأموال، و نحو ذلک، معهم فرمان من تیمور لهم، و هو ورقة

فيها تسعة أسطر يتضمّن أمان أهل دمشق على أنفسهم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۱

و أهليهم خاصّة؛ فقرئ الفرمان المذكور على منبر جامع بنى أمية بدمشق، و فتح من أبواب دمشق باب الصغير فقط، و قدم أمير من أمراء تيمور، جلس فيه ليحفظ البلد ممّن يعبر إليها من عساكر تيمور، فمشى ذلك على الشاميّين و فرحوا به، و أكثر ابن مفلح و من كان توجّه معه من أعيان دمشق الثّناء على تيمور و بثّ محاسنه و فضائله، و دعا العامّة لطاعته و موالاته، و حثّهم بأسرهم على جمع المال الّذى تقرّر لتيمور عليهم، و هو ألف ألف دينار، و فرض ذلك على الناس كلّهم، فقاموا به من غير مشقّة لكثرة أموالهم، فلمّا كمل المال حمله ابن مفلح إلى تيمور و وضعه بين يديه، فلمّا عاينه غضب غضبا شديدا، و لم يرض به، و أمر ابن مفلح و من معه أن يخرجوا عنه، فأخرجوا من وجهه، و وكّل بهم جماعة حتى التزموا بحمل ألف تومان، و التومان عبارة عن عشرة آلاف دينار [من الذّهب]، إلّا أنّ سعر الذهب عندهم يختلف، و على كلّ حال فيكون جملة ذلك عشرة آلاف ألف دينار، فالتزموا بها، و عادوا إلى البلد، و فرضوها ثانيا على الناس [كلّها] عن أجرة أملاكهم ثلاثة أشهر، و ألزموا كلّ إنسان من ذكر و أنثى حرّ و عبد بعشرة دراهم، و ألزم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۲

مباشر كلّ وقف بحمل مال له جرم، فنزل بالناس باستخراج هذا منهم ثانيا بلاء عظيم، و عوقب كثير منهم بالضّرب، فغلت الأسعار، و عزّ وجود الأقوات، و بلغ المدّ القمح- و هو أربعة أقداح- إلى أربعين درهما فضّة، و تعطّلت صلاة الجمعة من دمشق فلم تقم بها جمعة إلّا مرتين حتى دعى بها على منابر دمشق للسلطان محمود و لولىّ عهده ابن الأمير تيمور لنك، و كان السلطان محمود مع تيمور آلة، كون عادتهم لا يتسلطن عليهم إلّا من يكون من ذرّية الملوک. انتهى.

ثم قدم شاه ملك أحد أمراء تيمور إلى مدينة دمشق على أنه نائبها من قبل تيمور.

ثمّ بعد جمعتين منعوا من إقامة الجمعة بدمشق لكثرة غلبة أصحاب تيمور بدمشق، كلّ ذلك و نائب القلعة ممتنع بقلعة دمشق، و أعوان تيمور تحاصره أشدّ حصار، حتى سلّمها بعد تسعة و عشرين يوما، و قد رمى عليها بمدافع و مكاحل لا تدخل تحت حصر، يكفيك أن التمريّة من عظم ما أعياهم أمر قلعة دمشق بنوا تجاه القلعة قلعة من خشب، فعند فراغهم من بنائها و أرادوا طلوعها

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۳

ليقاتلوا من أعلاها من هو بالقلعة، رمى أهل قلعة دمشق نفطا فأحرقوها عن آخرها، فأنشئوا قلعة ثانية أعظم من الأولى و طلعوا عليها و قاتلوا أهل القلعة.

هذا و ليس بالقلعة المذكورة من المقاتلة إلّا نفر يسير دون الأربعين نفرا، و طال عليهم الأمر، و يئسوا من النّجدة، و طلبوا الأمان، و سلّموها بالأمان.

قلت: لا شلّت يداهم! هؤلاء هم الرجال الشجعان. رحمهم اللّه تعالى.

و لما تكامل حصول المال الذى هو ألف تومان، أخذه ابن مفلح و حمله إلى تيمور؛ فقال تيمور لابن مفلح و أصحابه: هذا المال بحسابنا إنما هو يسوى ثلاثة آلاف ألف دينار، و قد بقى عليكم سبعة آلاف ألف دينار، و ظهر لى أنكم عجزتم.

و كان تيمور لما اتفق أوّلا مع ابن مفلح على ألف ألف دينار يكون ذلك على أهل دمشق خاصة، و الذى تركته العساكر المصرية من السلاح و الأموال يكون لتيمور، فخرج إليه ابن مفلح بأموال اهل مصر جميعها، فلما صارت كلها إليه و علم أنه استولى على أموال المصريين ألزمهم بإخراج أموال الذين فرّوا من دمشق، فسارعوا أيضا إلى حمل ذلك كله، و تدافعوا عنده حتى خلص المال جميعه، فلما

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۴

كمل ذلك ألزمهم أن يخرجوا إليه جميع ما فى البلد من السلاح جليلها و حقيرها، فتتبعوا ذلك و أخرجوه له حتى لم يبق بها من السلاح شيء، فلمّا فرغ ذلك كلّه قبض على ابن مفلح و رفقته، و ألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق و حاراتها و سككها، فكتبوا ذلك و دفعوه إليه، ففرّقه على أمرائه، و قسم البلد بينهم، فساروا إليها بمماليكهم و حواشيهم، و نزل كلّ أمير فى قسمه و طلب من فيه، و طالبهم بالأموال، فحينئذ حلّ بأهل دمشق من البلاء ما لا يوصف، و أجرى عليهم أنواع العذاب من الضّرب و العصر و الإحراق بالنار، و التعليق منكوسا، و غمّ الأنف بخرقة فيها تراب ناعم كلّما تنفّس دخل فى أنفه حتى تكاد نفسه تزهق، فكان الرجل إذا أشرف على الهلاك يخلّى عنه حتى يستريح، ثم تعاد عليه العقوبة أنواعا، فكان المعاقب يحسد رفيقه الّذى هلك تحت العقوبة على الموت، و يقول: ليتنى أموت و أستريح مما أنا فيه، و مع هذا كلّه تؤخذ نساؤه و بناته و أولاده الذكور، و تقسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيشاهد الرجل المعذّب امرأته أو بنته و هى توطأ، و ولده و هو يلاط به، يصرخ هو من ألم العذاب، و البنت و الولد يصرخان من إزالة البكارة و اللّواط، و كل ذلك من غير تستّر فى النهار بحضرة الملأ من الناس. و رأى أهل دمشق أنواعا من العذاب لم يسمع بمثلها؛ منها أنهم كانوا يأخذون الرجل فتشدّ رأسه بحبل و يلويه حتى يغوص فى رأسه، و منهم من كان يضع الحبل بكتفى الرجل و يلويه بعصاه حتى تنخلع الكتفان، و منهم من كان يربط إبهام يدى المعذّب من وراء ظهره ثم يلقيه على ظهره و يذرّ فى منخريه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۲۴۵

الرّماد مسحوقا، فيقرّ على ما عنده شيئا بعد شيء، حتى إذا فرغ ما عنده لا يصدّقه صاحبه على ذلك، فلا يزال يكرّر عليه العذاب حتى يموت، و يعاقب ميّتا مخافة أن يتماوت. و منهم من كان يعلّق المعذّب بإبهام يديه فى سقف الدار و يشعل النار تحته، و يطول تعليقه، فربمّا يسقط فيها، فيسحب من النار و يلقوه على الأرض حتى يفيق، ثم يعلّقه ثانيا.

و استمرّ هذا البلاء و العذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوما، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب من سنة ثلاث و ثمانمائة، فهلك فى هذه المدّة بدمشق بالعقوبة و الجوع خلق لا يعلم عددهم إلّا اللّه تعالى.

فلما علمت أمراء تيمور أنه لم يبق بالمدينة شيء خرجوا إلى تيمور، فسألهم: هل بقى لكم تعلّق فى دمشق؟ فقالوا: لا؛ فأنعم عند ذلك بمدينة دمشق على أتباع الأمراء فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب، و معهم سيوف مسلولة مشهورة و هم مشاة، فنهبوا ما قدروا عليه من آلات الدّور و غيرها، و سبوا نساء دمشق بأجمعهنّ، و ساقوا الأولاد و الرجال، و تركوا من الصغار من عمره خمس سنين فما دونها، و ساقوا الجميع مربوطين فى الحبال.

ثم طرحوا النار فى المنازل و الدّور و المساجد، و كان يوم عاصف الريح، فعمّ الحريق جميع البلد حتى صار لهيب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، و عملت النار فى البلد ثلاثة أيّام بلياليها آخرها يوم الجمعة.

و كان تيمور- لعنه اللّه- سار من دمشق فى يوم السبت ثالث شهر شعبان بعد ما أقام على دمشق ثمانين يوما، و قد احترقت كلّها و سقطت سقوف جامع بنى أميّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۲۴۶

من الحريق، و زالت أبوابه و تفطّر رخامه، و لم يبق غير جدره قائمة. و ذهبت مساجد دمشق و دورها و قياسرها و حمّاماتها و صارت أطلالا بالية و رسوما خالية، و لم يبق بها [دابة تدبّ] إلّا أطفال يتجاوز عددهم [آلاف] فيهم من مات، و فيهم من سيموت من الجوع.

و أمّا السلطان [الملك الناصر فرج] فإنّه أقام بغزّة ثلاثة أيام، و توجّه إلى الدّيار المصريّة بعد ما قدم بين يديه آقبغا الفقيه أحد الدواداريّة، فقدم إلى القاهرة فى يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة، و أعلم الأمير تمراز نائب الغيبة بوصول السلطان إلى غزّة، فارتجّت القاهرة، و كادت عقول الناس تزهق، و ظنّ كلّ أحد أن السلطان قد انكسر من تيمور، و أنّ تيمور فى أثره، و أخذ كلّ أحد يبيع ما عنده و يستعدّ للهروب من مصر، و غلا أثمان ذوات الأربع حتى جاوز المثل أمثالا.

فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الآخرة المذكور قدم السلطان إلى قلعة الجبل و معه الخليفة و أمراء الدولة و نوّاب البلاد

الشامية، و نحو ألف مملوك من المماليك السلطانية، و قيل نحو الخمسمائة.

ثم فى يوم السبت سابع جمادى الآخرة المذكور أنعم السلطان على الوالد بإمرة مائة، و تقدمة ألف بالدّيار المصريّة كانت موفّرة فى الديوان السلطانىّ، بعد استعفائه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۷

من نيابة دمشق، و عيّن السلطان لنيابة دمشق آقبغا الجمالى الأطروش، و رسم للوالد أن يجلس رأس ميسرة.

ثم أذن السلطان للأمير يلبغا السالمىّ الأستادار أن يتحدّث فى جميع ما يتعلّق بالمملكة، و أن يجهّز العسكر إلى دمشق لقتال تيمور، فشرع يلبغا السالمى المذكور فى تحصيل الأموال، و فرض على سائر أراضى مصر فرائض من إقطاعات الأمراء، و بلاد السلطان، و أخباز الأجناد، و بلاد الأوقاف عن عبرة كلّ ألف دينار خمسمائة درهم فضّة و فرس.

ثم جبى من سائر أملاك القاهرة و مصر و ظواهر هما أجرة شهر، حتى إنه كان يقوّم على الإنسان داره التى يسكنها، و يؤخذ منه أجرتها، و أخذ من الرزق، و هى الأراضى التى يأخذ مغلّها قوم على سبيل البرّ و الصدقة عن كل فدّان عشرة دراهم، و كان يوم ذاك أجرة الفدّان من ثلاثين درهما إلى ما دونها.

قلت: أخذ نصف خراجها بدورة دارها، و أخذ من الفدّان القصب أو القلقاس أو النّيلة من القنطار مائة درهم، و هى نحو أربعة دنانير، وجبى من البساتين عن كلّ فدان مائة درهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۸

ثم استدعى أمناء الحكم و التجّار و طلب منهم المال على سبيل القرض، و صار يكبس الفنادق و الحواصل فى الليل، فمن وجده حاضرا فتح مخزنه و أخذ نصف ما يجده فيه من النقد، و هى الذهب و الفضّة و الفلوس، و إذا لم يجد صاحب المال أخذ جميع ما يجده من النقود و هى الذهب و الفضة و الفلوس، و أخذ جميع ما وجد من حواصل الأوقاف، و مع ذلك فإن الصّيرفىّ يأخذ عن كل مائة درهم ثلاثة دراهم، و يأخذ الرسول الذى يحضر المطلوب ستة دراهم، و إن كان نقيبا أخذ عشرة دراهم؛ قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزى رحمه اللّه، قال: فاشتدّ ما بالناس، و كثر دعاء الناس على السالمىّ.

قلت: و بالجملة فهم أحسن حالا من أهل دمشق، و إن أخذ منهم نصف مالهم، و أيش يعمل السالمىّ! مسكين، و قد ندبه السلطان لإخراج عسكر ثان من الديار المصرية لقتال تيمور. انتهى.

ثمّ خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى و على الأمير يشبك الشعبانى، و استقرّا مشيرى الدّولة و مدبّرى أمورها.

ثمّ فى ثالث عشره خلع على القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى [قاضى العسكر باستقراره] قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية بعد موت قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى، و على القاضى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۴۹

جمال الدين عبد اللّه الأقفهسى باستقراره قاضى قضاة المالكيّة بالديار المصرية عوضا عن القاضى نور الدين علىّ بن الجلال بحكم وفاته.

و فيه قدم من الشام من المماليك المنقطعين ثلثمائة مملوك بأسوإ حال: من المشى و العرى و الجوع.

ثم فى حادى عشرينه حضر إلى القاهرة قاضى القضاة موفّق الدين أحمد بن نصر اللّه الحنبلىّ من دمشق بأسوإ حال، و قدم أيضا قاضى قضاة دمشق علاء الدين على بن أبى البقاء الشافعىّ، و حضر كتاب تيمور لنك للسلطان على يد بعض المماليك السلطانيّة يتضمّن طلب أطلمش، و أنه إذا قدم عليه أرسل من عنده من الأمراء و النوّاب و غيرهم، و قاضى القضاة صدر الدين المناوى الشافعى، و يرحل عن دمشق، فطلب أطلمش من البرج بالقلعة، و أطلق و أنعم عليه بخمسة آلاف درهم، و أنزل عند الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير، و عيّن للسفر معه قطلوبغا العلائى، و الأمير محمد بن سنقر.

ثم خرج إلى تيمور الأمير بيسق الشيخى الأمير آخور رسولا من السلطان بالإفراج عن أطلمش و أشياء أخر، هذا و يلبغا السالمى يجدّ فى تحصيل الأموال، و أخذ فى عرض أجناد الحلقة، و ألزم من كان منهم قادرا على السفر بالخروج إلى الشام لقتال تيمور، و ألزم العاجز عن السفر بحضور بديل، أو تحصيل نصف مغلّه

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۰

فى السّنة، و ألزم أرباب الغلال المحضّرة للبيع فى المراكب بسواحل القاهرة أن يؤخذ منهم عن كلّ إردب درهم [و أن يؤخذ من كلّ مركب من المراكب التى تسير فيها الناس مائة درهم].

ثم فى يوم الثلاثاء أوّل شهر رجب أمر السالمىّ أن تضرب دنانير مازنة الدينار مائة مثقال و مثقال، و منها ما زنته تسعون مثقالا و مثقال، ثم ما دون ذلک، إلى أن وصل منها دينار زنته عشرة مثاقيل، فضرب من ذلک جملة دنانير.

ثم فى ثالثه خلع السلطان على علم الدين يحيى بن أسعد المعروف بأبى كمّ باستقراره وزيرا بديار مصر عوضا عن فخر الدين ماجد بن غراب.

ثم ورد الخبر أن دمرداش المحمّدى نائب حلب تخلّص من تيمور، و جمع جموعا من التركمان، و أخذ حلب و قلعتها من التمريّة، و قتل منهم جماعة كبيرة.

ثم خلع السلطان على شاهين الحلبى نائب مقدّم المماليک باستقراره فى تقدمة المماليک السلطانية عوضا عن صواب المعروف بچنكل، و استقرّ الطواشى فيروز من جرجى مقدّم الرّفرف نائب المقدّم.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۱

ثم حضر فى سابع شهر رجب من عربان البحيرة إلى خارج القاهرة ستّة آلاف فارس، و حضر من عربان الشرقيّة من عرب ابن بقر ألفان و خمسمائة فارس، و من العيساويّة و بنى وائل ألف و خمسمائة فارس، فأنفق فيهم يلبغا السالمى الأموال ليتجهّزوا لحرب تيمور.

ثم حضر فى ثامنه قاصد الأمير نعير، و ذكر أنه جمع عربانا كثيرة و نزل بهم على تدمر، و أنّ تمرلنک رحل من ظاهر دمشق إلى القطيّفة.

هذا و قد التفت أهل الدولة إلى يلبغا السالمى و العمل فى زواله حتى تمّ لهم ذلک.

فلما كان رابع عشر شهر رجب المذكور قبض على يلبغا السالمى و على شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة أستادار الوالد الذى كان ولى الوزر قبل تاريخه، و سلّما لسعد الدين إبراهيم بن غراب ليحاسبهما على الأموال المأخوذة من الناس فى الجبايات.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۵۲

قلت: فصار حاله كالمثل السائر «أفقرنى فيمن أحبّ و لا استغنى».

ثم فى ثامن عشره استقرّ سعد الدين إبراهيم بن غراب المذكور أستادارا عوضا عن السالمى مضافا لما بيده من وظيفتى نظر الجيش و الخاصّ.

ثم فى خامس شعبان برز الأمراء المعيّنون للسفر لقتال تيمور بمن عيّن معهم من المماليک السلطانيّة و أجناد الحلقة إلى ظاهر القاهرة، و هم الّذين كانوا بالقاهرة فى غيبة السلطان بدمشق، و تقدّم الجميع الأمير تمراز الناصرىّ الظاهرىّ أمير مجلس، و الأمير آقباى من حسن شاه الظاهرى حاجب الحجّاب، و من أمراء الطبلخانات: الأمير جرباش الشيخى، و الأمير تمان تمر و الأمير صوماى الحسنى، و امتنع الأمير جكم من السّفر.

و فى اليوم قدم الأمير شيخ المحمودىّ نائب طرابلس فارّا من أسر تيمور إلى الديار المصرية، و أخبر برحيل تيمور إلى بلاده، فرسم السلطان بإبطال السفر، و رجع كل أمير إلى داره من خارج القاهرة.

ثم فى الغد قدم دقماق المحمّدى نائب حماة فارّا أيضا من تيمور.

و فیه طلب الوالد و خلع علیه باستقراره فی نیابة دمشق ثانیا علی کره منه، و کانت شاغرة من یوم قدوم تیمور دمشق.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٥٣

ثم أخلع علی الأمیر شیخ المحمودی باستقراره فی نیابة طرابلس علی عادته، و علی الأمیر دقماق المحمّدی باستقراره فی نیابة حماة علی عادته.

ثم أخلع السلطان علی الأمیر تمربغا المنجکی باستقراره فی نیابة صفد و علی الأمیر تنکزبغا الحططی بنیابة بعلبکّ.

ثم نودی بالقاهرة ألّا یقیم بها أحد من الأعاجم، و أمهلوا ثلاثة أیّام، و هدّد من تخلّف منهم بالقاهرة، فلم یخرج أحد، و أکثر الناس من الکتابة فی الحیطان:

«من نصرة الإسلام، قتل الأعجام»، کل ذلک و أحوال مصر غیر مستقیمة.

و أما البلاد الشامیّة فحصل بها جراد عظیم بعد خروج اللّنک منها، فزادت خرابا علی خراب.

قلت: و لنذکر هنا نبذة یسیرة من أخبار تیمور لنک و نسبه و کثرة عساکره و عظم دهائه و مکره؛ لیکون الناظر فی هذا الکتاب علی علم من أخباره و أحواله، و إن کان فی ذلک نوع تطویل و خروج عن المقصود، فهو لا یخلو من فائدة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٥٤

فنقول: هو تمرلنک و قیل تیمور؛ کلاهما بمعنی واحد، و الثانی أفصح. [و هو] باللغة الترکیة الحدید بن أیتمش قنلغ بن زلکی بن سنیا بن طارم طربن طغریل بن قلیج ابن سنقور بن کنجک بن طغر سبوقا بن التاخان المغولیّ الأصل الترکیّ من طائفة جغتای الطاغیة تیمور، کورکان، أعنی باللغة العجمیة صهر الملوک.

مولده سنة ثمان و عشرین و سبعمائة بقریة تسمّی خواجا أیلغار من عمل کشّ أحد مدائن ما وراء النهر، و بعد هذه البلدة عن مدینة سمرقند یوم واحد، و یقال:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٥٥

إنه رؤی یوم ولد کأن شیئا یشبه الخوذة تراءی طائرا فی جوّ السماء، ثم وقع إلی الأرض فی فضاء کبیر، فتطایر منه جمر و شرر حتی ملأ الأرض. و قیل: إنه لما خرج من بطن أمّه وجدت کفّاه مملوءتین دما، فوجدوا أنه تسفک علی یدیه الدماء.

قلت: و کذا وقع.

و قیل: إن والده کان إسکافا. و قیل: بل کان أمیرا عند السلطان حسین صاحب مدینة بلخ، و کان أحد أرکان دولته، و إن أمه من ذریّة جنکزخان.

و قیل: کان للسلطان حسین المذکور أربعة وزراء، فکان أبو تیمور أحدهم، و ولی تیمور بعد موته مکانه عند السلطان حسین. و أصل تیمور من قبیلة برلاص.

و قیل: إن أوّل ما عرف من حال تیمور أنه کان یتجرّم، فسرق فی بعض اللیالی غنمة و حملها لیهرب بها، فانتبه الراعی و ضربه بسهم فأصاب کتفه، ثم ردفه بآخر فلم یصبه، ثم بآخر فأصاب فخذه و عمل فیه الجرح الثانی الذی فی فخذه حتی عرج منه؛ و لهذا سمی تمرلنک، لأن «لنک» باللغة العجمیّة أعرج، و أما اسمه الحقیقیّ ف (تمر) بلا «لنک»، فلما أعرج [تمر] أضیف إلیه «لنک».

و لما تعافی أخذ فی التجرّم علی عادته و قطع الطریق، و صحبه فی تجرّمه جماعة عدّتهم أربعون رجلا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٥٦

و کان تیمور لنک یقول لهم فی تلک الأیام: لا بد أن أملک الأرض و أقتل ملوک الدنیا؛ فیسخر منه بعضهم، و یصدّقه البعض، لما یرونه من شدّة حزمه و شجاعته.

و قیل: إنه تاه فی بعض تجرّماته مدّة أیام إلی أن وقع علی خیل السلطان حسین المقدّم ذکره، فأنزله الجشاریّ صاحب مرج الخیل

عنده، و عطف عليه و آواه و أتى إليه بما يحتاجه من طعام و شراب. و كان لتيمور معرفة تامّة فى جياد الخيل فأعجب الجشارىّ منه ذلك، فاستمرّ به عنده إلى أن أرسل معه بخيول إلى السلطان حسين و عرّفه به، فأنعم عليه و أعاده إلى الجشارى، فلم يزل عنده حتّى مات، فولّاه السلطان حسين عوضه على جشاره، و لا زال يترقّى بعد ذلك من وظيفة إلى أخرى حتى عظم و صار من جملة الأمراء. و تزوّج بأخت السلطان حسين، و أقام معها مدّة إلى أن وقع بينهما فى بعض الأيّام كلام، فعايرته بما كان عليه من سوء الحال، فقتلها و خرج هاربا، و أظهر العصيان على السلطان حسين، و استفحل أمره، و استولى على ما وراء النهر، و تزوّج ببنات ملوكها، فعند ذلك لقّب ب «بكوركان»، و قد تقدم الكلام على اسم كوركان. و لا زال أمره ينمو و أعماله تتّسع إلى أن خافه السلطان حسين، و عزم على قتاله، و بلغه ذلك فخرج هاربا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٥٧

ثم قوى أمره بعد سنة ستّين و سبعمائة، فلمّا كثر عسكره بعث إلى ولاة بلخشان و كانا أخوين قد ملكا بعد موت أبيهما يدعوهما إلى طاعته؛ فأجاباه، و كانت المغل قد نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين، و كان كبيرهم الخان قمر الدين فتوجّه السلطان حسين إليهم و قاتلهم، فأرسل تيمور يدعوهم إليه، فأجابوه و دخلوا تحت طاعته، فقويت بهم شوكته.

ثم قصده السلطان حسين ثانيا فى عسكر عظيم حتى وصل إلى ضاغلغا، و هو موضع ضيّق يسير الراكب فيه ساعة، و فى وسطه باب إذا أغلق و أحمى لا يقدر عليه أحد، و حوله جبال عالية، فملك العسكر فم هذا الدّربند من جهة سمرقند، و وقف تيمور بمن معه على الطريق الآخر، و فى ظن العسكر أنهم حصروه و ضيقوا عليه، فتركهم و مضى فى طريق مجهولة، فسار ليلة فى أو عار مشقة حتى أدركهم فى السحر و قد شرعوا فى تحميل أثقالهم، على أن تيمور قد انهزم و هرب خوفا منهم، فأخذ تيمور يكيدهم بأن نزل هو و من معه عن خيولهم [و تركوها ترعى فى تلك المروج و ناموا كأنهم من جملة العسكر فمرت بهم خيولهم] و هم يظنون أنهم منهم قد قصدوا الراحة، فلما تكامل مرور العسكر ركب تيمور بمن معه أقفيتهم، و هم يصيحون و أيديهم تدقهم دقا بالسيوف، فاختبط الناس و انهزم السلطان حسين بمن معه لا يلوى أحد على أحد، حتى وصل إلى بلخ فاحتاط تمر [لنك] على ما كان معه، و لمّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٥٨

من بقى من العسكر عليه، فعظم جمعه، و كثر ماله، و استولى على الممالك، و لا زال حتى قبض على السلطان حسين بعد أن أمّنه و قتله، فهذا أوّل عظمته.

و الثانية واقعته مع تقتمش خان ملك التتار، فإنه لما واقعه بأطراف تركستان قريبا من نهر خجند، و اشتد الحرب بينهما و كثرت القتلى فى عسكر تيمور حتى كادت تفنى، و عزم تيمور على الهزيمة، فإذا هو بالمعتقد السيد الشريف بركة قد أقبل على تيمور، فقال له تيمور و قد جهده البلاء: يا سيّدى جيشى انكسر، فقال له السيد الشريف بركة المذكور: لا تخف، ثم نزل عن فرسه و تناول كفّا من الحصى ثم ركب فرسه و رمى بها فى وجوه جيش تقتمش و صرخ قائلا بأعلى صوته «ياغى قجتى». يعنى باللّغة التركية العدوّ هرب، فصرخ بها أيضا تيمور كمقالة الشريف بركة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٥٩

فامتلأت آذان التمرية بصرختهما و أتوه بأجمعهم بعد ما كانوا ولّوا هاربين، فكّر بهم تيمور ثانيا فى عسكر تفتمش و ما منهم أحد إلا و هو يصرخ «ياغى قجتى»، فانهزم عند ذلك عسكر تقتمش خان و ركبت التمرية أقفيتهم و غنموا منهم من الأموال ما لا يدخل تحت حصر، فاستولى على غالب بلاد تقتمش خان.

و الثالثة واقعته مع شيره على صاحب مازندران و كيلان و بلاد الرىّ و العراق و كسره و قبض عليه و قتله و ملك جميع بلاده، ثم قصته مع شاه شجاع صاحب شيراز و تزوّج بنت شاه شجاع لابن تيمور، و مهادنة شاه شجاع له إلى أن مات شاه شجاع، و اختلفت أولاده و قوى شاه منصور على اخوته فمشى عليه تيمور هذا، فلقيه شاه منصور فى ألفى فارس لا غير.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۰

و شاه منصور هذا هو أفرس من قاتل تيمور من الملوک بلا مدافعة، فإنه برز إليه فى ألفى فارس و عساكر تيمور نحو المائة ألف.

و عند ما برز له شاه منصور فر من عسكره أمير يقال له محمد بن أمين الدين إلى تيمور بأكثر العساكر، فبقى شاه منصور فى أقل من ألف فارس، فقاتل بهم تيمور يومه إلى الليل.

ثم مضى كل من الفريقين إلى معسكره، فركب شاه منصور فى الليل و بيّت التمرية، فقتل منهم نحو العشرة آلاف فارس.

ثم انتخب شاه منصور من فرسانه خمسمائة فارس، فأصبح و قاتل بهم من الغد و قصد بهم تيمور حتى أزاله عن موقفه، و هرب تيمور و اختفى بين حرمه، فأحاط بهم التمرية مع كثرة عددهم و هو يقاتلهم حتى كلّت يداه و قتلت أبطاله، فانفرد عن أصحابه و ألقى نفسه بين القتلى، فعرفه بعض التمرية فقتله، و أتى برأسه إلى تيمور، فقتل تيمور قاتله أسفا عليه. و استولى تيمور أيضا على جميع ممالك العجم بأسرها بعد شاه منصور.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۱

هذا و قد استوعبنا واقعة شاه منصور بأوسع من ذلک فى تاريخنا (المنهل الصافى).

إذ هو كتاب تراجم.

ثم أخذ تيمور فى الاستيلاء على مملكة بعد مملكة حتى ملک العراقين، و هرب منه السلطان أحمد بن أويس، و أخرب غالب العراق: مثل بغداد و البصرة و الكوفة و أعمالهم، ثم ملک غالب أقاليم ديار بكر، و أخرب بها أيضا عدّة بلاد.

ثم قصد البلاد الشاميّة فى سنة ثمان و تسعين و سبعمائة، ثم رجع خائفا من الملک الظاهر برقوق إلى بلاده، فبلغه موت فيروز شاه ملک الهند عن غير ولد، و أن أمر الناس بمدينة دلّى فى اختلاف، و أنه جلس على تخت الملک بدلّى وزير يقال له ملّو

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۲

فخالف عليه أخو فيروز شاه، و اسمه سارنک خان متولّى مدينة مولتان، فلمّا سمع تيمور هذا الخبر اغتنم الفرصة و سار من سمرقند فى ذى الحجّة سنة ثمانمائة إلى مولتان و حاصر ملكها سارنک خان ستّة أشهر، و كان فى عسكر سارنک خان ثمانمائة فيل حتى ملكها.

ثم سار تيمور إلى مدينة دلّى و هى تخت الملک، فخرج لقتاله صاحبها ملّو المذكور و بين يديه عساكره و معهم الفيلة، و قد جعل على كلّ فيل برجا فيه عدّة من المقاتلة، و قد ألبست تلک الفيلة العدد و البركستوانات، و علّق عليها من الأجراس و القلاقل ما يهول صوته ليجفل بذلک خيول الجغتاى، و شدّوا فى خراطيمها عدّة من السيوف المرهفة، و سارت عساكر الهند من وراء الفيلة لتنفّر هذه الفيلة خيول التمرية بما عليها، فكادهم تيمور و حسب حسابهم بأن عمل آلافا من الشوكات الحديد مثلّثة الأطراف، و نثرها فى مجالات الفيلة، و جعل على خمسمائة جمل أحمال قصب محشوّة بالفتائل المغموسة بالدّهن، و قدّمها أمام عسكره، فلمّا تراءى الجمعان و زحف الفريقان للحرب، أضرم تيمور فى تلک الأحمال النار و ساقها على الفيلة.

فركضت تلک الأباعر من شدّة حرارة النار، ثم نخسها سوّاقوها من خلف. هذا و قد كمن تيمور كمينا من عسكره.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۳

ثم زحف بعساكره قليلا [قليلا] وقت السحر. فعندما تناوش القوم للقتال لوى تيمور رأس فرسه راجعا يوهم القوم أنه قد انهزم منهم و يكفّ عن طريق الفيلة كأنّ خيوله قد جفلت منها، و قصد المواضع التى نثر فيها تلک الشوكات الحديد التى صنعها، فمشت حيلته على الهنود، و مشوا بالفيلة و هم يسوقونها خلفه أشدّ السّوق حتى داست على تلک الشوكات الحديد، فلما وطئتها نكصت على أعقابها.

ثم التف تيمور بعساكره عليها بتلک الجمال، و قد عظم لهيبها على ظهورها، و تطاير شررها فى تلک الآفاق، و شنع زعاقها من شدّة النخس فى أدبارها.

فلما رأت الفيلة ذلک جفلت و كرّت راجعة على العسكر الهندى، فأحست بخشونة الشوكات التى طرحها تيمور فى طريقها، فبركت و

صارت فى الطريق كالجبال مطروحة على الأرض لا تستطيع الحركة، و سالت أنهار من دمائها؛ فخرج عند ذلك الكمين [من عسكر تيمور] من جنبى عسكر الهنود، ثم حطم تيمور بمن معه فتراجعت الهنود و تراموا بالسهام.

ثم إنهم تضايقوا و تقاتلوا بالرماح ثم بالسيوف و الأطبار، و صبر كلّ من الفريقين زمانا طويلا، إلى أن كانت الكسرة على الهنود بعد ما قتل أعيانهم و أبطالهم، و انهزم باقيهم بعد أن ملّوا من القتال، فركب تيمور أقفيتهم حتى نزل [على] مدينة دلّى و حصرها [مدّة حتى] أخذها [من جوانبها] بعد مدّة عنوة، و استولى على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۴

تخت ملكها و استصفى ذخائرها، و فعلت عساكره فيها على عادتهم القبيحة من الأسر و السّبى و القتل و النّهب و التخريب.

و بينما هم فى ذلك بلغ تيمور موت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، و موت القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس من بلاد الروم، فرأى تيمور أنه بعد موتهما ظفر بمملكتيهما، و كان أن يطير بموتهما فرحا، فنجز أمره و ولّى مسرعا بعد أن استناب بالهند من يثق به من أمرائه، و سار حتى وصل سمرقند، ثم خرج منها عجلا فى أوائل سنة اثنتين و ثمانمائة، فنزل خراسان.

ثم مضى منها إلى تبريز فاستخلف بها ابنه ميران شاه، ثم سار حتى نزل قرا باغ [فى سابع عشر] شهر ربيع الأوّل، فقتل و سبى، ثم رحل منها و نزل تفليس [فى يوم الخميس ثانى] جمادى الآخرة و عبر بلاد الكرج، و أسرف فيها أيضا فى القتل و السبى، ثم قصد بغداد ففرّ منه [صاحبها] السلطان أحمد بن أويس [فى ثامن عشر شهر رجب] إلى قرا يوسف فعاد تيمور من بغداد و صيّف ببلاد التركمان ثم سار إلى [ماردين فعصى صاحبها عليه الملك الظاهر مجد الدين عيسى، فتركه تيمور و مضى إلى]

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۵

سواس و قد أخذها الأمير سليمان بن أبى يزيد بن عثمان، فحصرها تيمور ثمانية عشر يوما حتى أخذها فى خامس المحرّم من سنة ثلاث و ثمانمائة، و قبض على مقاتلتها و هم ثلاثة آلاف نفر، فحفر لهم سردابا و ألقاهم فيه و طمّهم بالتراب بعد ما كان حلف لهم ألّا يريق لهم دما و قال: أنا على يمينى ما أرقت لهم دما، ثم وضع السيف فى أهل البلد و أخربها حتى محا رسومها.

ثم سار إلى بهسنا فنهب ضواحيها و حصر قلعتها ثلاثة و عشرين يوما حتى أخذها، و مضى إلى ملطية فدكّها دكّا، و سار حتى نزل قلعة الروم فلم يقدر عليها، فتركها و قصد عين تاب، ففرّ منه نائبها الأمير أركماس الظاهرى، و هو غير أركماس الدّوادار فى الدولة الأشرفية.

ثم قصد حلب و وقع له بها و بدمشق ما تقدّم ذكره إلى أن خرج من البلاد الشاميّة.

و كان رحيله عن دمشق فى يوم السبت ثالث شعبان من سنة ثلاث و ثمانمائة المذكورة، و اجتاز على حلب و فعل بها ما قدر عليه ثانيا، ثم سار منها حتى نزل على ماردين يوم الاثنين عاشر شهر رمضان من السنة، و وقع له بها أمور، ثم رحل عنها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۶

و أوهم أنه يريد سمرقند يورّى بذلك عن بغداد، و كان السلطان أحمد بن أويس قد استناب ببغداد أميرا يقال له فرج، و توجّه هو و قرا يوسف نحو بلاد الروم، فندب تيمور على حين غفلة أمير زاده رستم و معه عشرون ألفا لأخذ بغداد.

ثم تبعه بمن بقى معه و نزل على بغداد، و حصرها حتى أخذها عنوة فى يوم عيد النحر من السنة، و وضع السيف فى أهل بغداد.

حدّثنى الأمير أسنباى الزّردكاش الظاهرى برقوق- و كان أسر عند تيمور و حظى عنده، و جعله زرد كاشه عند أخذ بغداد و حصارها- بأشياء مهولة، منها أنه لمّا استولى على بغداد ألزم جميع من معه أن يأتيه كلّ واحد منهم برأسين من رءوس أهل بغداد، فوقع القتل فى أهل بغداد و أعمالها، حتى سالت الدماء أنهارا، حتى أتوه بما أراد، فبنى من هذه الرءوس مائة و عشرين مئذنة، فكانت عدّة من قتل فى هذا اليوم من أهل بغداد تقريبا مائة ألف إنسان. و قال المقريزى: تسعين ألف إنسان، و هذا سوى من قتل فى أيّام الحصار، و سوى من قتل فى يوم دخول تيمور إلى بغداد، و سوى من ألقى نفسه فى الدّجلة فغرق، و هو أكثر من ذلك.

قال: و كان الرجل المرسوم له بإحضار رأسين إذا عجز عن رأس رجل قطع رأس امرأة من النساء و أزال شعرها و أحضرها، قال: و كان بعضهم يقف بالطرقات و يصطاد من مرّ به و يقطع رأسه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۷

ثم رحل تيمور من بغداد و سار حتى نزل قراباغ بعد أن جعلها دكّا خرابا، ثم كتب إلى أبى يزيد بن عثمان صاحب الروم أن يخرج السلطان أحمد بن أويس و قرا يوسف من ممالك الروم و إلّا قصده و أنزل به ما نزل بغيره، فردّ أبو يزيد جوابه بلفظ خشن إلى الغاية، فسار تيمور إلى نحوه، فجمع أبو يزيد بن عثمان عساكره من المسلمين و النصارى و طوائف التّتر.

فلمّا تكامل جيشه سار لحربه، فأرسل تيمور قبل وصوله إلى التتار الذين مع أبى يزيد بن عثمان يقول لهم: نحن جنس واحد، و هؤلاء تركمان ندفعهم من بيننا، و يكون لكم الروم عوضهم، فانخدعوا له و واعدوه أنهم عند اللقاء يكونون معه.

و سار أبو يزيد بن عثمان بعساكره على أنه يلقى تيمور خارج سيواس، و يردّه عن عبور أرض الروم، فسلك تيمور غير الطريق، و مشى فى أرض غير مسلوكة، و دخل بلاد ابن عثمان، و نزل بأرض مخصبة وسيعة، فلم يشعر ابن عثمان إلّا و قد نهبت بلاده. فقامت قيامته و كرّ راجعا، و قد بلغ منه و من عسكره التعب مبلغا أوهن قواهم، و كلّت خيولهم، و نزل على غير ماء، فكادت عساكره أن تهلك، فلمّا تدانوا للحرب كان أوّل بلاء نزل بابن عثمان مخامرة التتار بأسرها عليه، فضعف بذلك عسكره، لأنّهم كانوا معظم عسكره، ثم تلاهم ولده سليمان و رجع عن أبيه عائدا إلى مدينة برصا بباقى عسكره، فلم يبق مع أبى يزيد إلا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۸

نحو خمسة آلاف فارس، فثبت بهم حتى أحاطت به عساكر تيمور، و صدمهم صدمة هائلة بالسيوف و الأطبار حتى أفنوا من التمرية أضعافهم، و استمرّ القتال بينهم من ضحى يوم الأربعاء إلى العصر، فكلّت عساكر ابن عثمان، و تكاثروا التمرية عليهم يضربونهم بالسيوف لقلّتهم و كثرة النّمرية، فكان الواحد من العثمانية يقاتله العشرة من التمرية، إلى أن صرع منهم أكثر أبطالهم، و أخذ أبو يزيد بن عثمان أسيرا قبضا باليد على نحو ميل من مدينة أنقرة، فى يوم الأربعاء سابع عشرين ذى الحجّة سنة أربع و ثمانمائة بعد أن قتل غالب عسكره بالعطش، فإن الوقت كان ثامن عشرين أبيب بالقبطىّ و هو تموز بالرومىّ، و صار تيمور يوقف بين يديه فى كل يوم ابن عثمان و يسخر منه و ينكيه بالكلام، و جلس تيمور مرّة لمعاقرة الخمر مع أصحابه و طلب ابن عثمان طلبا مزعجا، فحضر و هو يرسف فى قيوده و هو يرجف، فأجلسه بين يديه و أخذ يحادثه، ثم [وقف تيمور] و سقاه من يد جواريه اللّائى أسرهنّ تيمور، ثم أعاده إلى محبسه.

ثم قدم على تيمور إسفنديار أحد ملوك الروم بتقادم جليلة، فقبلها و أكرمه و ردّه إلى مملكته [بقسطمونية]، هذا و عساكر تيمور تفعل فى بلاد الروم و أهلها تلك الأفعال المقدّم ذكرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۶۹

و أما أمر سليمان بن أبى يزيد بن عثمان، فإنه جمع المال الذى كان بمدينة برصا، و جميع ما كان فيها و رحل إلى أدرنة و تلاحق به الناس، و صالح أهل إستانبول، فبعث تيمور فرقة كبيرة من عساكره صحبة الأمير شيخ نور الدين إلى برصا فأخذوا ما وجدوا بها، ثم تبعهم هو أيضا بعساكره.

ثم أفرج تيمور عن محمد و عن أولاد ابن قرمان من حبس أبى يزيد بن عثمان، و خلع عليهما و ولّاهما بلادهما، و ألزم كلّ واحد منهما بإقامة الخطبة، و ضرب السّكّة باسمه و اسم السلطان محمود خان المدعو صرغتمش.

ثم شتا فى معاملة منتشا و عمل الحيلة فى قتل التتار الّذين أتوه من عسكر ابن عثمان حتى أفناهم عن آخرهم.

و أما أبو يزيد بن عثمان، فإنه استمر فى أسر تيمور من ذى الحجّة سنة أربع، إلى أن مات بكربته و قيوده، فى أيام من ذى القعدة سنة خمس و ثمانمائة، بعد أن حكم ممالك الروم نحو تسع سنين.

و كان من أجلّ الملوک حزما و عزما و شجاعة، رحمه اللّه تعالى. و هو المعروف بيلدرم بايزيد.

ثم توجّه تيمور من بلاد الروم و قد تعلّقت آماله بأخذ بلاد الصين، فأخذه اللّه قبل أن يصل، و لولا خشية الإطالة لذكرنا أمره و ما وقع له بطريق الصين إلى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ٢٧٠

أن توفّى [لعنه اللّه] و لكن أضربنا عن ذلک خشية الإطالة، و أيضا قد ذكرناه فى ترجمته فى (المنهل الصافى) مستوفاة، فلتنظر هناک.

و كانت وفاة تيمور فى يوم الأربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع و ثمانمائة و هو نازل بالقرب من أترار، و أترار بالقرب من آهنگران، و معنى آهنگران باللغة العربية الحدّادون.

و لما مات لبسوا عليه المسوح، و لم يكن معه أحد من أولاده سوى حفيده سلطان خليل بن ميران شاه بن تيمور، فتسلطن موضع جدّه تيمور فى حياة والده ميران شاه المذكور، فاستولى خليل المذكور على خزائن جدّه و بذل الأموال، و تم أمره. انتهى ما أوردناه من قصة تيمور لنک على سبيل الاختصار.

و لنعد إلى ما نحن بصدده من ترجمة السلطان الملک الناصر فرج بن برقوق [رحمه اللّه].

و لما كان يوم الأحد أوّل شوّال أفرج السلطان عن الأمير يلبغا السالمى و هو متضعّف بعد ما عصر و أهين إهانة بالغة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ٢٧١

و فى هذه الأيّام كثر احتراز الأمراء بعضهم من بعض، و تحدّث الناس بإثارة فتنة.

ثم فى سابع شوّال المذكور استقرّ الأمير طولو من على باشاه الظاهرى فى نيابة إسكندرية عوضا عن الأمير أرسطاى، و استقر الأمير بشباى من باكى الظاهرى حاجبا ثانيا على خبز سودون الطيّار، إمرة طبلخاناه، و استقر كلّ من سودون الطيار و ألطنبغا من سيدى حجّابا بحلب لأمر اقتضى ذلک.

ثم استدعى السلطان الأمراء بقلعة الجبل، و قال لهم: قد كتبنا مناشير جماعة من الخاصكية بأمريّات ببلاد الشام من أوّل شهر رمضان، فلم لا يسافروا؟ و كلّ ذلک بتعليم يشبک الدوادار، فقال الأمير نوروز الحافظى ما فى هذا مصلحة، إذا أرسل السلطان هؤلاء من يبقى عنده من مماليک أبيه الأعيان؟ و وافق نوروز سودون المارداني. فقال السلطان: من ردّ مرسومى فهو عدوّى، فسكت الأمراء و أمر السلطان بالمناشير أن تبعث إلى أربابها.

فلما نزلت إليهم امتنعوا من السفر، و منهم من ردّ منشوره، فغضب السلطان و أصبح الجماعة يوم الأحد، و قد اتفقوا مع الأمراء و ساروا للأمير نوروز الحافظى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج ١٢، ص: ٢٧٢

و تحدّثوا معه فى عدم سفرهم، فاعتذر إليهم، و بعثهم لسودون الماردانى رأس نوبة النوب فحدّثوه فى ذلک، و ما زالوا به حتى ركب للأمير يشبک الشعبانى الدوادار و حدّثه فى ألّا يسافروا، فأغلظ يشبک فى ردّ الجواب عليه، و هدّدهم بالتوسيط إن امتنعوا من السفر.

ثم أمره أن يطلع إلى السلطان و يسأله فى [ذلک فطلع سودون الماردانىّ إلى السلطان]، و سأله فى إعفائهم من السفر، و أعلمه أنه قد اتفق منهم نحو الألف تحت القلعة، و هم مجتمعون، فبعث السلطان إليهم بعض الخاصكية يقول لهم: نحن ما خلّيناكم بلا رزق بل عملناكم أمراء، فما هو إلّا أن نزل إليهم و كلّمهم فى ذلک، ثاروا عليه و سبّوه ثم ضربوه حتى كاد يهلک، فبينما هم فى ضربه، و إذا بالأمير قطلوبغا الحسنى الكركى و الأمير آقباى الكركى الخازندار نزلا من القلعة، فمال عليهم المماليک يضربونهم بالدّبابيس إلى أن سقط قطلوبغا الكركى، و تكاثر عليه مماليكه و حملوه إلى بيته، و نجا آقباى الكركى الخازندار و التجأ إلى بيت الأمير يشبک الدوادار، و ماجت البلد و غلّقت الأسواق، فنودى بعد العصر من اليوم المذكور بطلوع الأمراء و المماليک السلطانيّة فى الغد إلى القلعة، و من لم يطلع حلّ ماله و دمه للسلطان.

ثم طلع الأمير يشبك، و نوروز الحافظى، و آقباى الكركى الخازندار، و قطلوبغا الكركى إلى القلعة بعد عشاء الآخرة، و باتوا بالقلعة إلّا نوروزا فإنّه أقام معهم ساعة عند السلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٧٣

ثم نزل إلى داره و طلع أيضا فى الليل غالب المماليك السلطانية.

و أصبحوا يوم الاثنين تاسع شوال، فطلع جميع الأمراء و المماليك إلا الأمير جكم من عوض، و سودون الطيّار، و قانّى باى العلائى، و قرقماس الأينالى، و جمق و تمربغا المشطوب، فى عدّة من المماليك السلطانية الأعيان، منهم يشبك العثمانى، و قمج و برسبغا و طرباى و بقية خمسمائة مملوك، و الجميع لبسوا السلاح و آلة الحرب و وقفوا تحت القلعة حتى تضحّى النهار. ثم مضوا إلى بركة الحبش و نزلوا عليها.

و أما أهل القلعة، فإن يشبك بعث فى الحال نقيب الجيش إلى الشيخ لاچين الجركسى أحد الأجناد، فقبض عليه و حمله إلى بيت آقباى حاجب الحجّاب، فوكّل به آقباى من أخرجه من القاهرة إلى بلبيس ليسافر إلى الشام.

ثم قبض على سودون الفقيه، أحد دعاة الشيخ لاچين، و أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها.

و استمرّ الأمير جكم و رفقته ببركة الحبش إلى ليلة الأربعاء، فاستدعى الأمير يشبك سائر الأمراء، فلما صاروا بالقلعة وكّل بهم من يحفظهم، فاستمرّوا على ذلك حتى مضى جانب من الليل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٧٤

ثم نزل الطلب إلى الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير من السلطان ليطلع إلى عند الأمراء، و فى عزمهم أنه إذا طلع قبضوا عليه، فمّ لسودون طاز بعض الخاصكية يسمّى قانى باى، و قال له: فز بنفسك؛ فلم يكذّب سودون طاز الخبر، و أخذ الخيول السلطانية التى بالإسطبل السلطانى، و ركب بمماليكه، و سار حتى لحق بالأمير جكم ببركة الحبش، و بلغ السلطان ذلك، فارتجّ القصر السلطانيّ، و قام كلّ أمير و نزل إلى داره و لبس آلة الحرب بمماليكه، و دقّت الكوسات و طلعوا إلى القلعة.

فلما أصبح نهار الأربعاء نزل السلطان من القصر إلى الإسطبل، و بعث إلى الأمير جكم من عوض بأن يتوجّه إلى صفد نائبا بها، فردّ جكم الجواب «نحن مماليك السلطان، و هو أستاذنا و ابن أستاذنا، و لو أراد قتلنا ما خالفناه، غير أننا لنا غرماء يدعنا نحن و إيّاهم، ثم بعد ذلك مهما أراد السلطان يفعل فينا، فنحن بين يديه». فلمّا عاد الرسول بذلك بكى الأمير يشبك الدوادار، و تكلم هو و الأمير آقباى الكركى الخازندار و قطلوبغا الكركى مع السلطان، و دار بينهم كلام كثير، حتى بعث السلطان بالأمير نوروز الحافظى و القاضى الشافعى و ناصر الدين المعلّم الرمّاح أمير آخور إلى الأمير جكم فى طلب الصلح، فنزلوا إليه و كلّموه فى ذلك، فامتنع جكم من الصلح هو و من معه و قالوا: لابدّ لنا من غرمائنا، و أخذوا عندهم الأمير نوروز الحافظى، و عاد القاضى الشافعى و ناصر الدين الرمّاح بالجواب، فعند ذلك قال السلطان ليشبك: دونك و غرماءك؛ فطلب يشبك المساعدة من السلطان عليهم، فلم يفعل، فنزل يشبك إلى داره و قد اختلّ أمره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٧٥

ثم عاد إلى القلعة ليطلع إلى السلطان فلم يمكّن منها، و تخلّى عنه المماليك السلطانية؛ فلم تكن غير ساعة حتى أقبل جكم و سودون طاز و نوروز فى عددهم و أصحابهم.

و صاحب الموكب نوروز و جكم عن يساره، و سودون طاز عن يمينه، و ساروا نحو يشبك، فنادى يشبك: «من قاتل معى من المماليك السلطانية فله عشرة آلاف درهم» فأتاه طائفة، و خرج من بيته و صفّ عساكره، فحمل عليه نوروز بمن معه، و صدمه صدمة واحدة كسره فيها؛ فانهزم إلى داره و قاتل بها ساعة، ثم هرب منها، فنهبت داره و دار قطلوبغا الكركيّ.

و كان بيت يشبك دار منجك اليوسفى الملاصقة لمدرسة [السلطان] حسن و هى الآن على ملك تمربغا الظاهرى الدوادار، و دار

قطلوبغا [الکرکی] البیت الـذی تجـاهه، و قبض علی آقبای الکرکی الخازنـدار، فشـفع فیه السـلطان، فترک فی داره إلی یوم الخمیس ثانی عشره، فرکب الأمیر جکم إلیه، و أخذه و طلع به إلی الإسطبل السلطانیّ و قیّده.

ثم قبض علی الأمیر قطلوبغا الکرکی الحسنی من بیت الأمیر یلبغا الناصری و قیّده.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۶

ثم قبض علی جرکس القاسـمی المصارع من عنـد سودون الجلب، و قیّـده و بعث الثلاثـة إلی الإسـکندریة، و الثلاثـة أمراء ألوف من أصـحاب یشـبک، و سافروا إلی الإسکندریة فی لیلة السبت رابع عشر شوّال المذکور من سنة ثلاث و ثمانمائة، و کتب جکم بإحضار سودون الفقیه من الإسکندریة.

و سودون الفقیه هـذا هو حمو الملک الظاهر ططر، و جـدّ الملک الصالـح محمد ابن ططر الآتی ذکرهما. و طلب جکم الأمیر یشـبک الشـعبانی الدوادار فلم یقدر علیه إلی لیلة الاثنین سادس عشـره دلّ علیه أنه فی تربة بالقرافة، فنزل إلیه جکم فلمّا أحیط بیشبک [و هو] فی التربة المذکورة ألقی نفسه من مکان مرتفع، فشجّ جبینه، و قبض علیه الأمیر جکم، و أحضـره إلی بیت الأمیر نوروز الحافظی، فقیّد و سیّر من لیلته إلی الإسکندریة فسجن بها.

و فی یوم الاـثنین خلع علی سـعد الـدین إبراهیم بن غراب باسـتمراره [فی وظـائفه] و هو أحـد أصـحاب یشـبک بعـد أن اجتهـد غـایة الاجتهاد فی رضا جکم علیه فلم یقدر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۷

ثم فی ثامن عشـره أخلع السـلطان علی الأمیر شیخ المحمودی نائب طرابلس باستمراره علی نیابته، و هی خلعة السفر، و کان له من یوم قدم من أسر تیمور بالقاهرة فی عمل مصالحه، و کذلک الأمیر دقماق نائب صفد خلع علیه خلعة السفر.

و کان دقماق أولا نائب حماة، ثم صار الآن فی نیابة صفد، و أذن لهما بالسفر إلی محلّ کفالتهما.

و فی تـاسع عشـره خلع السـلطان الملـک الناصـر علی الأمیر جکم باسـتقراره دوادارا کبیرا عوضا عن یشـبک الشـعبانی، بحکم حبسـه بالإسـکندریة، و علی سودون من زاده باسـتقراره خازندارا، عوضا عن آقبای الکرکی، و علی أرغون من یشـبغا باستقراره شادّ الشراب خاناه، عوضا عن قطلوبغا الکرکی، و أخلع علی بیسق الشـیخی خلعة إمرة الحاج علی العادة، و رسم له أن یقیم بعد انقضاء الحجّ بمکّة لعمارة ما بقی من المسجد الحرام.

ثم فی سادس عشرین شوّال أخلع السلطان علی الأمیر یونس الحافظی باستقراره فی نیابة حماة بعد عزل الأمیر عمر بن الهیدبانی، و فی هذا الیوم أنعم علی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۷۸

الأـمیر جکم من عوض الـدوادار بإقطـاع یشـبک الشـعبانی الـدوادار، و علی سودون الطیّـار بإقطـاع الأـمیر جکـم، و أنعم بإقطاع آقبای الکرکیّ علی قـانی بـای العلائـی، و بإقطـاع قطلوبغـا الکرکی علی تمربغا من باشاه المعروف بالمشـطوب، و بإقطاع جرکس القاسـمی المصارع علی سودون من زاده بستّین فارسا.

ثم فی أوّل ذی القعدة ألزم سـعد الدین بن غراب بتجهیز نفقة الممالیک السلطانیة، فالتزم أن یحمل منها مائة ألف دینار، و ألزم الوزیر ناصر الدین محمد بن سنقر، و تاج الدین عبد الرزاق بن أبی الفرج، و یلبغا السالمی بمائة ألف دینار، فشرع الجمیع فی تجهیزها.

ثم قبض علی السالمی و صودر، و عذّب بأنواع العذاب، ثم أفرج عنه بعد مدّة، و استمرّ الحال علی أن جکم صار متحدّثا فی المملکة.

ثم فی رابع ذی الحجة اختفی سعد الدین بن غراب، و أخوه فخر الدین ماجد، و لم یعرف خبرهما. فاستقرّ ناصر الدین محمد بن سنقر فی الأستداریّة، عوضا عن سعد الدین بن غراب، مضافا لما معه من الذخیرة و الأملاک.

ثم استعفی سودون من زاده من وظیفة الخازنداریة، و أخلع علی الوزیر علم الدین أبی کمّ باستقراره فی نظر الخاصّ مضافا علی الوزر

عوضا عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٧٩

؟؟؟ الدين بن غراب، و أخلع على سعد الدين بن أبى الفرج بن بنت الملكى، صاحب ديوان الجيش، و استقرّ فى نظر الجيش عوضا عن ابن غراب.

ثم فى تاسع ذى الحجة ورد كتاب مشايخ تروجة يتضمن قدوم سعد بن غراب إليهم، و معه مثال سلطانىّ باستخراج الأموال، و مسيرهم معه إلى الإسكندريّة لإخراج يشبك و الأمراء من سجن الإسكندرية، و إحضارهم إلى القاهرة. فأخلع السلطان على رسولهم، و كتب على يده مثالا سلطانيّا بالقبض على ابن غراب و من معه، و إرسالهم إلى القاهرة. ثم قدم كتاب نائب الإسكندرية بأن سعد الدين ابن غراب طلب زعران الإسكندرية، فخرج إليه أبو بكر المعروف بعلام الخدّام بالزّعر إلى تروجة، فأعطى لكل واحد منهم مبلغ خمسمائة درهم، و قرّر معهم قتل النائب، فبلغ ذلك النائب، فلما قدموا إلى الإسكندرية قبض على جماعة منهم و قتل بعضهم و قطع أيدى بعضهم، و ضرب علّام الخدّام بالمقارع، و أنه أيضا ظفر بكتاب ابن غراب لبعض تجار الإسكندرية، و فيه أن يجتمع بالنائب و يؤكّد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٨٠

عليه ألّا يقبل ما يرد عليه من أمراء مصر فى أمر يشبك الدوادار و من معه من الأمراء، و أن يجعل باله لا يجرى عليه مثل ما جرى على ابن عرّام فى قتله الأمير بركة.

ثم وردت كتب مشايخ تروجة بسؤال الأمان لابن غراب، فكتب له السلطان أمانا، و كتب الأمراء ما خلا الأمير جكم، فإنه كتب إليه كتابا و لم يكتب إليه أمانا، فقدم إلى القاهرة فى حادى عشرينه فى الليل، و نزل عند صديقه جمال الدين يوسف أستادار بجاس، و هو يومئذ أستادار الأمير سودون طاز أمير آخور، فتحدّث له مع سودون طاز و أوصله إليه، فأكرمه و أنزله عنده يومى الثلاثاء و الأربعاء، حتى استرضى له الأمراء، و أحضره فى يوم الخميس ثالث عشرينه إلى مجلس السلطان، و خلع عليه باستقراره فى وظائفه القديمة: الأستادارية، و نظر الجيش، و الخاص.

و نزل إلى بيت الأمير جكم الدوادار، فمنعه جكم من الدخول إليه و ردّه و ما زال يسعى ابن غراب حتى دخل إليه مع الأمير سودون من زادة، و قبّل يده فلم يكلّمه كلمة، و أعرض عنه، فلم يزل حتى أرضاه بعد ذلك، ثم فى يوم الخميس سلخ ذى الحجة أنفق ابن غراب تتمّة النفقة على المماليك السلطانية.

فأعطى كل واحد ألف درهم، و عند ما نزل من القلعة أدركه عدّة من المماليك السلطانية و رجموه بالحجارة يريدون قتله، فبادر إلى بيت الأمير نوروز و استجار به حتى أجاره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٨١

[ما وقع من الحوادث سنة ٨٠۴]

ثم فى محرم سنة أربع و ثمانمائة، كتب الأمراء بمصر لأمراء دمشق بالقبض على الوالد، فكتب للوالد بذلك بعض أعيان أمراء مصر، فسبق ذلك المثال السلطانى، فركب الوالد من دار السعادة بدمشق فى نفر من مماليكه فى ليلة الجمعة ثانى عشرين المحرم و خرج إلى حلب، فتعين لنيابة دمشق عوضا عن الوالد، الأمير آقبغا الجمالى الأطروش أتابك دمشق و كتب بانتقال دقماق نائب صفد إلى نيابة حلب، عوضا عن دمرداش المحمّدى بحكم عصيانه و انضمامه على الوالد لمّا قدم عليه من دمشق، و استقر الأمير تمربغا المنجكى فى نيابة صفد عوضا عن دقماق.

و أما الوالد رحمه اللّه فإنه لمّا سار إلى حلب وجد الأمير دمرداش نائب حلب قد قبض على الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر أمير التركمان، فأمره الوالد

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۲

بإطلاقه، فاطلقه، و اتفق الجمیع علی الخروج عن طاعة السلطان بسبب من حوله من الأمراء، و اجتمع علیهم خلائق من الترکمان و غیرهم علی ما سیأتی ذکره.

ثم وقع بین أمراء مصر، و هو أن سودون الحمزاوی وقع بینه و بین أکابر الأمراء، مثل نوروز، وجکم، و سودون طاز، و تمربغا المشطوب، و قانی بای العلائی، فانقطعوا الجمیع عن الخدمة السلطانیة من أول صفر، و عزموا علی إثارة فتنة، فلبس سودون الحمزاوی آلة الحرب فی داره، و اجتمع علیه من یلوذ به.

و کان الأمراء المذکورون، قد عیّنوا قبل ذلک للخروج من دیار مصر ثمانیة انفس، و هم سودون الحمزاوی المذکور، و سودون بقجة و هما من أمراء الطبلخانات و رءوس نوب، و أزبک الدوادار، و سودون بشتو و هما من أمراء العشرات، و قانی بای الخازندار، و بردبک و هما من الخاصکیة، و آخرین، و لما لبس الحمزاوی مشت الرسل بینهم فی الصلح إلی أن وقع الاتفاق علی خروج سودون الحمزاوی إلی نیابة صفد، و إقامة الباقین بمصر من غیر حضورهم إلی الخدمة السلطانیة.

ثم فی سابع عشرین صفر المذکور، أخلع علی سودون الحمزاوی بنیابة صفد و بطل ولایة تمربغا المنجکی من صفد.

و فی هذا الشهر، حضر الأمیر ألطنبغا العثمانی نائب صفد کان، و الأمیر عمر ابن الطحّان نائب غزّة کان، من أسر تیمور لنک، و ذکرا أنّهما فارقاه من أطراف بغداد.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۳

ثم فی یوم الاثنین نصف شهر ربیع الأوّل من سنة أربع و ثمانمائة، طلع الأمیر نوروز الخدمة السلطانیة، بعد ما انقطع عنها زیادة علی شهر، فخلع علیه خلعة الرضا.

ثم فی ثامن عشره، طلع الأمیر جکم من عوض الدوادار الخدمة بعد ما انقطع عنها مدّة شهرین و خلع علیه أیضا، هذا و دقماق نائب حلب، و أقبغا الأطروش نائب الشأم فی الاستعداد و جمع الترکمان و العشیر لقتال الوالد و دمرداش.

ثم خرج الوالد و دمرداش من حلب إلی ظاهرها لانتظار دقماق و قتاله.

ثم إن السلطان فی شهر ربیع الآخر أخلع علی جمق رأس نوبة باستقراره دوادارا ثانیا عوضا عن چرکس المصارع، و کانت شاعرة من یوم مسک چرکس المذکور، و استقرّ مبارک شاه الحاجب وزیرا عوضا عن علم الدین یحیی المعروف بأبی کمّ، و قبض علی أبی کم و سلّم لشادّ الدواوین للمصادرة.

و فی العشر الأخیر من هذا الشهر استقر جلال الدین عبد الرحمن بن شیخ الإسلام سراج الدین عمر البلقینی قاضی قضاة الدیار المصریة بعد عزل القاضی ناصر الدین الصالحی، و هذه أول ولایة جلال الدین البلقینی.

ثم فی ثامن جمادی الأولی استقر الأمیر ألطنبغا العثمانی نائب صفد کان، فی نیابة غزّة عوضا عن الأمیر صرق بعد عزله.

ثم ابتدأت الفتنة بین الأمراء، و طال الأمر و انقطع جکم و نوروز عن الخدمة السلطانیة أیاما کثیرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۴

و دخل شهر رمضان و انقضی، و لم یحضروا الهناء بالعید، و لا صلّوا صلاة العید مع السلطان.

و استهلّ شوّال فقویت فیه القالة بین الأمراء، و أرجف بوقوع الحرب غیر مرّة.

فلما کان یوم الجمعة ثانی شوّال رکب الأمراء للحرب بالسلاح، و نزل الملک الناصر إلی الإسطبل السلطانیّ عند سودون طاز الأمیر أخور، و رکب الأمیر نوروز وجکم، و خصمهما سودون طاز، و وقع الحرب بینهم من بکرة النهار إلی العصر.

فلما کان آخر النّهار بعث السلطان بالخلیفة المتوکّل علی اللّه و القضاة الأربعة إلی الأمیر نوروز فی طلب الصّلح، فلم یجد نوروز بدّا من الصلح و ترک القتال، و خلع عنه آلة الحرب، فکفّ الأمیر جکم أیضا عن الحرب، و کان ذلک مکیدة من سودون طاز، فإنه

خاف أن يغلب و يسلمه السلطان إلى أخصامه، فتمّت مكيدته بعد ما كاد أن يؤخذ، لقوّة نوروز و جكم بمن معهما من الأمراء و الخاصكيّة، و سكنت الفتنة، و بات الناس فى أمن و سكون.

فلما كان يوم السبت ركب الخليفة و القضاة، و حلّفوا الأمراء بالسمع و الطاعة للسلطان، فطلع الأمير نوروز إلى الحدمة فى يوم الاثنين خامس شوّال، و خلع عليه السلطان، و أركبه فرسا بسرج ذهب و كنبوش زركش.

ثم طلع الأمير جكم فى ثامنه و هو خائف و لم يطلع قانى باى و لا قرقماس، و طلبا فلم يوجدا فجهز إليهما خلعتان، على أن يكون قانى باى نائبا بحماه، و قرقماس حاجبا بدمشق، و نزل جكم بغير خلعة فكاد أن يهلكك لكونه لم يخلع عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٨٥

و عند ما جلس بداره نزل إليه جرباش الشيخى رأس نوبة، و بشباى الحاجب الثانى يطلبان قانى باى منه ظنا أنه اختفى عنده، فأنكر أن يكون عنده و صرفهما بجواب ملفّق.

ثم ركب من ليلته بمن معه من الأمراء و المماليك و أعيانهم قمش الخاصكى الخازندار، و يشبك الساقى، و هو الذى صار أتابكا فى دولة الأشرف برسباى، و يشبك العثمانى، و ألطنبغا جاموس، و جانبياى الطيبى، و برسبغا الدوادار، و طرباى الدوادار، و ساروا الجميع إلى بركة الحبش خارج القاهرة، و لحق بهم فى الحال قانى باى، و قرقماس الرماح، و أرغز، و قبجق، و نحو الخمسمائة مملوك من المماليك السلطانية، و غيرهم و أقاموا جميعا ببركة الحبش إلى ليلة السبت عاشر شوال فأتاهم الأمير نوروز، و سودون من زاده رأس نوبة، و تمربغا المشطوب، فى نحو الألفين من المماليك السلطانية و غيرهم، و أقاموا جميعا ببركة الحبش إلى ليلة الأربعاء رابع عشر شوال، و أمرهم فى زيادة و قوّة، بمن يأتيهم أوّلا بأوّل من الأمراء و المماليك السلطانية.

و فى الليلة المذكورة، دبّر سودون طاز أمره و طلع إلى السلطان، و أنزله إلى الإسطبل السلطانىّ و بات به.

فلمّا أصبح بكرة يوم الأربعاء المذكور، ركب السلطان فيمن معه من الأمراء و الخاصكية و نزل من القلعة، و سار نحو بركة الحبش من باب القرافة، بعد ما نادى فى أمسه بالعرض، و اجتمع إليه جميع عساكره، و قد صف سودون طاز عساكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٨٦

السلطان، فلما قارب بركة الحبش، ركب نوروز و جكم بمن معهما أيضا، من الأمراء و المماليك السلطانية، فصدمهم سودون طاز بالعسكر السلطانىّ صدمه كسرهم فيها، و أسر الأمير تمربغا المشطوب، و سودون من زاده، و على بن إينال و أرغز، و هرب نوروز و جكم فى عدّة كثيرة من الأمراء و المماليك إلى بلاد الصعيد، و عاد السلطان و معه الأمراء و سودون طاز مظفّرا منصورا، و قيّد سودون طاز الأمراء الممسوكين، و بعثهم إلى الإسكندرية فى ليلة السبت سابع عشره، و سار نوروز و جكم إلى أن وصلا إلى منية القائد، ثم عادوا إلى طموه و نزلوا على ناحية منبابة، من برّ الجيزة تجاه بولاق، و طلب الأمير يشبك الشعبانى الدوادار من سجن الإسكندرية، فقدم يوم الاثنين تاسع عشره إلى قلعة الجبل، و معه خلائق ممن خرج إلى لقائه، فقبّل الأرض و نزل إلى داره، كل ذلك و الأمراء بالجيزة.

فلما كان ليلة الثلاثاء عشرين شوّال ركب الأمير نوروز نصف الليل و عدّى النيل، و حصر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس، و كان قد تحدّث هو و إينال باى من قجماس مع السلطان فى أمر نوروز حتى أمّنه و وعده بنيابة دمشق، و كان ذلك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٨٧

أيضا من مكر سودون طاز، فمشى ذلك على نوروز و حضر، فاختلّ عند ذلك أمر جكم، و تفرّق منه من كان معه، و صار فريدا، فكتب إلى الأمير بيبرس الأتابك يسأله فى الحضور، فبعث إليه الأمير أزبك الأشقر رأس نوبة، و الأمير بشباى الحاجب، و قدما به ليلة الأربعاء حادى عشرين شوّال إلى باب السلسلة من الإسطبل السلطانى؛ فتسلمه عدوّه الأمير سودون طاز، و أصبح و قد حضر الأمير يشبك و سائر الأمراء للسلام عليه، فلما كانت ليلة الخميس ثانى عشرينه، قيّد و حمل إلى الإسكندرية، فسجن بها فى البرج الذى كان

سجن يشبك الدوادار فيه، و سكن يشبك مكانه و على إقطاعه بعد ما حبس بالإسكندرية نحوا من سنة، و استقرّ دوادارا على عادته عوضا عن جكم المذكور؛ على ما سيأتى ذكره.

و أما أمر البلاد الشأميّة فإن دقماق جمع جموعه من العساكر و التركمان لقتال الوالد و دمرداش نائب حلب، و سار إلى جهة الوالد، فخرج إليه الوالد و على مقدّمته دمرداش، و صدموه صدمة واحدة انكسر فيها بجموعه و ولّوا الأدبار، و نهب ما معهم. و عاد دقماق منهزما إلى دمشق، و استنجد بنائبها الأمير آقبغا الجمالى الأطروش، و كتب أيضا دقماق لجميع نوّاب البلاد الشامية بالحضور و القيام بنصرة السلطان، و جمع من التركمان و العربان جمعا كبيرا، و خرج معه غالب العساكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۸

الشأمية، و عاد إلى جهة حلب بعساكر عظيمة، و الوالد و دمرداش فى مماليكهم لا غير؛ مع جدب البلاد الحلبية، و خراب قراها، فإنه عقيب توجه تيمور بسنة واحدة و أشهر.

فلما قارب دقماق بعساكره حلب أشار دمرداش على الوالد بالتوجه إلى بلاد التركمان من غير قتال، فقال الوالد لا بدّ من قتالنا معه، فإن انتصرنا و إلا توجهنا إلى بلاد التركمان بحق، فتوجّها لدقماق بمماليكهما، و قد صف دقماق عساكره و اقتتلا قتالا شديدا، و ثبت كل من الفريقين و قد أشرف دقماق على الهزيمة.

و بينما هو فى ذلك خرج من عسكر الوالد و دمرداش جماعة إلى دقماق، فانكسرت عند ذلك الميمنة.

ثم انهزم الجميع إلى نحو بلاد التركمان، فلم يتبعهم أحد من عساكر دقماق، و ملك دقماق حلب، و استمرّ الوالد و دمرداش ببلاد التركمان؛ على ما سيأتى ذكره.

و أما ما وقع بمصر فإنه لما حبس جكم من عوض بالإسكندرية، أخلع على نوروز الحافظى فى بيت بيبرس فى يوم الأربعاء بنيابة دمشق، و توجه إلى داره.

فلما كان من الغد فى يوم الخميس قبض عليه و حمل إلى باب السلسلة فقيد به و حمل من ليلته، و هى ليلة الجمعة ثالث عشرين شوال إلى الإسكندرية، فسجن بها، و غضب لذلك الأميران بيبرس الأتابك، و إينال باى من قجماس، و تركا طلوع الخدمة السلطانية أياما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۱۲؛ ص۲۸۸

أرضيا و طلعا إلى الخدمة، و راحت على نوروز، و اختفى الأمير قانى باى العلائى و قرقماس الرمّاح، فلم يعرف خبرهما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۸۹

فلما كان يوم الاثنين ثالث ذى القعدة، أنعم السلطان بإقطاع الأمير نوروز على الأمير إينال العلائى المعروف بحطب رأس نوبة بعد أن أخرجوا منه النحريرية.

و أنعم السلطان بإقطاع قانى باى العلائى على الأمير علّان جلّق، و بإقطاع تمربغا المشطوب على الأمير بشباى الحاجب الثانى، فلم يرض به، فاستقر باسم قطلوبغا الكركى، و كان إقطاعه قبل حبسه بالإسكندرية، و هو إلى الآن لم يحضر من سجن الإسكندرية. و بقى بشباى على طبلخانته.

و أنعم بإقطاع جكم من عوض على الأمير يشبك الشعبانى الدوادار، و هو إقطاعه أيضا قبل حبسه بالإسكندرية.

و أنعم على الأمير بيغوت بإمرة طبلخاناة، و على أسنبغا المصارع بإمرة طبلخاناة و على سودون بشتا بإمرة طبلخاناة.

ثم فى سادس ذى القعدة، قدم الأمراء من سجن الإسكندرية من أصحاب يشبك، و هم الأمير آقباى طاز الكركى الخازندار، و قطلوبغا الحسنى الكركى و چركس القاسمى المصارع، و صعدوا إلى القلعة، و قبّلوا الأرض بين يدى السلطان ثم نزلوا إلى بيوتهم، ثم رسم السلطان بانتقال الأمير شيخ المحمودى الساقى من نيابة طرابلس إلى نيابة دمشق، بعد عزل الأمير آقبغا الجمالى الأطروش، و توجّهه إلى القدس بطّالا.

و لما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة لعب الأمراء الكرة فى بيت الأتابك بيبرس، فاجتمع على باب بيبرس من المماليك السلطانية نحو الألف مملوك يريدون الفتك بسودون طاز.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٩٠

و عند ما خرج سودون طاز من بيت بيبرس هموا به، فتحاوطته أصحابه و مماليكه، و ساق سودون حتى لحق بباب السلسلة، و امتنع بالإسطبل السلطانى حيث هو سكنه، و وقع كلام كثير. ثم خمدت الفتنة.

فلما كان رابع عشرينه، خلع السلطان على الأمير يشبك الشعبانى باستقراره دوادارا على عادته، عوضا عن الأمير جكم من عوض بحكم حبسه.

ثم فى يوم السبت رابع عشر ذى الحجة خلع السلطان على الأمير آقباى الكركى باستقراره خازندارا على عادته.

ثم فى سلخ ذى الحجة استقر الأمير جمق الدوادار الثانى فى نيابة الكرك، و استقر الأمير علّان جلّق أحد مقدّمى الألوف بديار مصر فى نيابة حماة، بعد عزل يونس الحافظى، فشقّ ذلك على سودون طاز.

ثم كتب للأمير دمرداش أمانا، و أنه يستقر فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير شيخ المحمودى المنتقل إلى نيابة دمشق، و كتب للأمير على بك بن دلغادر بنيابة عين تاب، و للأمير عمر بن الطحان بنيابة ملطية.

و كانت الأخبار وردت بجمع التركمان و نزولهم مع دمرداش إلى حلب، و أن دقماق نائب حلب اجتمع معه نائب حماة و الأمير نعير، و أن تيمور لنك نازل على مدينة سيواس، و لم يحجّ أحد فى هذه السنة من الشام و لا من العراق.

[ما وقع من الحوادث سنة ٨٠٥]

و فى يوم ثالث المحرم من سنة خمس و ثمانمائة أنعم السلطان بإقطاع علان جلّق المستقر فى نيابة حماة على الأمير چركس القاسمى المصارع، و بإقطاع جمق المستقر فى نيابة الكرك على آقباى الكركىّ الخازندار، و زيد عليه قرية سمسطا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٩١

هذا و الكلام يكثر بين الأمراء و المماليك، و الناس فى تخوّف من وقوع فتنة.

فلما كان سابع المحرم نزل الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير من الإسطبل السلطانى بأهله و مماليكه إلى داره، و عزل نفسه عن الأمير آخوريّة، و صار من جملة الأمراء.

ثم فى هذا الشهر قدم الوالد إلى دمشق بأمان كان كتب له من قبل السلطان مع كتب جميع الأمراء.

فلما وصل إلى دمشق خرج الأمير شيخ المحمودى إلى تلقّيه، حتى عاد معه إلى دمشق و أنزله بالقرمانية، و أكرمه غاية الإكرام بحيث إنه جاءه فى يوم واحد ثلاث مرات.

ثم خرج الوالد بعد أيام من دمشق يريد الديار المصرية، فخرج الأمير شيخ أيضا لوداعه، و سار حتى وصل [إلى] مصر فى سلخ المحرم. بعد ما خرج الأمراء إلى لقائه، و طلع إلى القلعة، و قبّل الأرض بين يدى السلطان، فأخلع السلطان عليه كامليّة بمقلب سمّور، و أركبه فرسا بسرج ذهب و كنبوش زركش.

ثم نزل إلى داره و معه سائر الأمراء؛ و ظهر الأمير قرقماس الرّماح، فشفع فيه الوالد، فإنه كان أنّبه، فقبل السلطان شفاعته.

و أما أمر سودون طاز، فإنه أقام بداره إلى ليلة الاثنين ثالث عشر صفر من سنة خمس و ثمانمائة المذكورة، خرج من القاهرة بمماليكه و حواشيه إلى المرج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٩٢

و الزيات بالقرب من خانقاه سرياقوس ليقيم هناك حتى يأتيه من وافقه و يركب على أخصامه و يقهرهم و يعود إلى وظيفته.

و کان خبر سودون طاز أنه لما وقع بینه و بین یشبک أولا و صار من حزب نوروز و جکم و قبضوا علی یشبک و أصحابه من الأمراء و سجنوا بثغر الاسکندریة حسبما تقدم ذکره، صار تحکّم مصر له و یشارکه فی ذلک نوروز و جکم فثقلا علیه، و أراد أن یستبدّ بالأمر و النهی وحده، فدبّر فی إخراجهما حتی تم له ذلک، ظنا منه أنه ینفرد بالأمر بعدهما، فانتدب إلیه یشبک الشعبانی الدوادار و أصحابه لما کان فی نفوسهم منه قدیما بعد مجیئهم من حبس الاسکندریة، لأنه کان انحصر لخروجهم من الحبس.

و کان الملک الناصر یمیل إلی یشبک و قطلوبغا الکرکی، لأنّ کل واحد منهما کان لالته.

و کان الأمیر آقبای طاز الکرکی الخازندار یعادی سودون طاز قدیما و یقول «طاز واحد یکفی بمصر، فأنا طاز و هو طاز ما تحملنا مصر» و اتفقوا الجمیع علیه، و ظاهرهم السلطان فی الباطن، فتلاشی أمر سودون طاز لذلک، و ما زالوا فی التدبیر علیه حتی نزل من الإسطبل السلطانی، خوفا علی نفسه من کثرة جموع یشبک الدوادار، و جرأة آقبای الخازندار الکرکی؛ فعندما نزل ظن أن السلطان یقوم بناصره، فلم یلتفت السلطان إلیه، و أقام هذه المدّة من جملة الأمراء،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۳

فشق علیه عدم تحکمه فی الدولة، و کفه عن الأمر و النهی، و کان اعتاد ذلک، فخرج لتأتیه الممالیک السلطانیة و غیرهم، فإنه کان له علیهم أیاد و إحسان زائد عن الوصف- لیحارب بهم یشبک و طائفته، و یخرجهم من الدیار المصریة، أو یقبض علیهم کما فعل أوّلا و یستبدّ بعدهم بالأمر، فجاء حساب الدهر غیر حسابه، و لم یخرج إلیه أحد غیر أصحابه الذین خرجوا معه، و أخلع السلطان علی الأمیر إینال بای من قجماس باستقراره عوضه أمیر آخورا کبیرا فی یوم الاثنین عشرین صفر، و بعث السلطان إلی سودون طاز بالأمیر قطلوبغا الکرکی یأمره بالعود علی إقطاعه و إمرته من غیر إقامة فتنة، و إن أراد البلاد الشأمیة فله ما یختاره من النیابات بها، فامتنع من ذلک و قال: لا بدّ من إخراج آقبای طاز الکرکی الخازندار أوّلا إلی بلاد الشام، فلم یوافق السلطان علی إخراج آقبای، و بعث إلیه ثانیا بالأمیر بشبای الحاجب الثانی فلم یوافق، فبعث إلیه مرة ثالثة فلم یرض، و أبی إلا ما قاله أوّلا من إخراج آقبای، فلما یئس السلطان منه رکب بالعساکر من قلعة الجبل، و نزل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۴

جمیع عساکره بالسلاح و آلة الحرب فی یوم الأربعاء سادس شهر ربیع الأوّل، فلم یثبت سودون طاز، و رحل بمن معه و هم نحو الخمسمائة من الممالیک السلطانیة و ممالیکه، و قد ظهر الأمیر قانی بای العلائی و لحق به من نحو عشرة أیام، و صار من حزبه، فتبعه السلطان بعساکره و هو یظن أنه توجه إلی بلبیس.

و کان سودون عند ما وصل إلی سریاقوس نزل من الخلیج و مضی إلی جهة القاهرة و عبر من باب البحر بالمقس، و توجّه إلی المیدان، و هجم قانی بای العلائی فی عدّة کبیرة علی الرّمیلة تحت القلعة لیأخذ باب السلسلة، فلم یقدر علی ذلک، و مر السلطان الملک الناصر و هو سائق علی طریق بلبیس، و تفرّقت عنه العساکر و تاهوا فی عدّة طرق.

و بینما السلطان فی ذلک بلغه أن سودون طاز توجه إلی نحو القاهرة و هو یحاصر قلعة الجبل، فرجع بأمرائه مسرعا یرید القلعة حتی وصل إلیها بعد العصر، و قد بلغ منه و من عساکره التعب مبلغا عظیما، و نزل السلطان بالمقعد المطلّ علی الرّمیلة من الإسطبل بباب السلسلة، و ندب الأمراء و الممالیک لقتال سودون طاز، فقاتلوه فی الأزقّة طعنا بالرّماح ساعة فلم یثبت، و انهزم بمن معه، و قد جرح من الفریقین جماعة کثیرة، و حال اللیل بینهم، و تفرّق أصحاب سودون طاز عنه، و توجّه کلّ واحد إلی داره، و بات السلطان و من معه علی تخوّف، و أصبح من الغد فلم یظهر لسودون طاز و لا قانی بای خبر، و دام ذلک إلی اللیل، فلم یشعر الأمیر یشبک و هو جالس بداره بعد عشاء الآخرة إلا و سودون طاز دخل علیه فی ثلاثة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۵

أنفس، و ترامی علیه، فقبله و زاد فی إکرامه و أنزله عنده، و أصبح یوم الجمعة کتب سودون طاز وصیّته و أقام بدار یشبک إلی لیلة

الأحد عاشره، فأنزل فى حرّاقة و توجه إلى [ثغر] دمياط بطّالا بغير قيد، و رتّب له بها ما يكفيه، بعد أن أنعم عليه الأمير يشبك بألف دينار مكافأة له على ما كان سعى فى أمره حتّى أخرجه من حبس الإسكندرية و عوّده إلى وظيفته و إبقائه فى قيد الحياة، فإن جكم الدوادار كان أراد قتله عند ما ظفر به، و حبسه بالإسكندرية لولا سودون طاز هذا.

و أمّا قانى باى هذا فإنه اختفى ثانيا فلم يعرف له خبر، و سكنت الفتنة.

فلمّا كان خامس عشرين شهر ربيع الأوّل قدم الأمير سودون الحمزاوى نائب صفد إلى القاهرة باستدعاء من السلطان صحبة الطواشى عبد اللطيف اللّالا بسعى الأمير آقباى طاز الكركى الخازندار فى ذلك لصداقة كانت بينهما.

و اخلع السلطان على الأمير شيخ السليمانى شاد الشراب خاناه، و استقرّ فى نيابة صفد عوضا عن سودون الحمزاوى، و أنعم السلطان على سودون الحمزاوى بإمرة مائة و تقدمة ألف بالقاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۶

ثم أنعم السلطان على الوالد بإمرة مائة و تقدمة [ألف]، و أزيد مدينة أبيار من الديوان المفرد، و رسم له أن يجلس رأس ميسرة.

ثم أخرج الأمير قرقماس الرمّاح إلى دمشق على إقطاع الأمير صرق. و أخلع السلطان على سودون الحمزاوى المعزول عن نيابة صفد باستقراره شادّ الشراب خاناه عوضا عن شيخ السليمانى المسرطن المنتقل إلى نيابة صفد، فلم يقم سودون الحمزاوى فى المشدية إلا أياما، و مرض صديقه الأمير آقباى الكركى الخازندار و مات، فولّى الخازندارية عوضه فى يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة.

ثم فى ليلة الأربعاء ثالث عشرين [جمادى الآخرة] غمز على قانى باى العلائى فى دار فكبس عليها، و أخذ منها، و قيّد و حمل إلى الإسكندرية.

و فى هذه الأيام ورد الخبر أن سودون طاز خرج من ثغر دمياط يوم الخميس رابع عشرين جمادى الآخرة فى طائفة، و أنه اجتمع عليه جماعة كبيرة من العربان و المماليك، فندب السلطان لقتاله الوالد و الأمير تمراز الناصرى أمير مجلس و سودون الحمزاوى فى عدة أمراء أخر، و خرجوا من القاهرة، فبلغهم أنه عند الأمير [علم الدين سليمان بن] بقر بالشرقية جاءه ليساعده على غرضه، فعند ما أتاه أرسل [ابن] بقر إلى الأمراء يعلمهم بأن سودون طاز عنده، فطرقه الأمراء و قبضوا عليه و أحضروه إلى القلعة فى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۷

ثم أصبح السلطان فى يوم الخميس أول شهر رجب، سمّر خمسة من المماليك السلطانية ممن كان مع [الأمير] سودون طاز، أحدهم سودون الجلب الآتى ذكره فى عدة أماكن، ثم جانبك القرمانى حاجب حجّاب زماننا هذا، فاجتمع المماليك السلطانية لإقامة الفتنة بسببهم: و تكلّم الأمراء مع السلطان فى ذلك، فخلّى عنهم، و قيّدوا و سجنوا بخزانة شمائل، و نفى سودون الجلب إلى قبرس بلاد الفرنج من الإسكندرية.

ثم فى ثالث شهر رجب حمل سودون طاز مقيّدا إلى الإسكندرية، و سجن بها عند غريمه الأمير جكم من عوض الدوادار.

و فى هذا الشهر و رد الخبر من دمشق أنه أقيمت الجمعة بالجامع الأموى و هو خراب، و كان بطّل منه صلاة الجمعة من بعد كائنة تيمور، و أن الأمير شيخا المحمودى نائب دمشق سكن بدار السعادة بعد أن عمرت، و كانت حرقت أيضا فى نوبة تيمور، و أن سعر الذهب زاد عن الحدّ، فأجيب: بأن الذهب [قد] زاد سعره بمصر أيضا، حتى صار سعر المثقال الهرجة بخمسة و ستين درهما، و الدينار المشخّص، بستّين درهما.

ثم عقد السلطان للأمير سودون الحمزاوى على أخته خوند زينب بنت الملك الظاهر برقوق، و عمرها نحو الثمان سنين، فصارت أخوات السلطان الثلاث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۲۹۸

کل واحدة مع أمیر من أمرائه، فخوند سارّة زوجة الأمیر نوروز الحافظی، و خوند بیرم زوجة الأمیر إینال بای بن قجماس، و خوند زینب و هی أصغر هن مع سودون الحمزاوی هذا.

ثم فی یوم الاثنین سادس عشرین شهر رجب أخلع السلطان علی قاضی القضاة کمال الدین عمر بن العدیم باستقراره فی قضاء الحنفیة بالدیار المصریة بعد أن عزل القاضی أمین الدین عبد الوهاب الطرابلسی بسفارة الوالد لصحبة کانت بینهما من حلب.

ثم فی لیلة الثلاثاء سابع عشرین شهر رجب المذکور أرسل السلطان إلی الإسکندریة الأمیر أقبردی و الأمیر تنبک من الأمراء العشرات فی ثلاثین مملوکا من الممالیک السلطانیة، فوصلوها فی تاسع شعبان، و أخرجوا الأمیر نوروز الحافظی، و جکم من عوض، و سودون طاز، و قانی بای العلائی من سجن الإسکندریة و أنزلوهم فی البحر المالح، و ساروا بهم إلی البلاد الشأمیة، فحبس نوروز وقانی بای فی قلعة الصّبیبة من عمل دمشق. و حبس جکم فی حصن الأکراد من عمل طرابلس، و حبس سودون طاز فی قلعة المرقب، و لم یبق بسجن الإسکندریة من الأمراء غیر سودون من زاده، و تمربغا المشطوب.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٢٩٩

ثم حوّل جکم بعد مدّة إلی قلعة المرقب عند غریمه سودون طاز.

ثم فی ثامن عشر شوّال خلع السلطان علی الأمیر بکتمر الرّکنی أمیر سلاح باستقراره رأس نوبة الأمراء عوضا عن نوروز الحافظی، و استقرّ الأمیر تمراز الناصریّ أمیر مجلس عوضه أمیر سلاح، و استقرّ سودون الماردانی رأس نوبة النّوب أمیر مجلس عوضا عن تمراز، و استقرّ سودون الحمزاوی رأس نوبة النوب عوضا عن سودون الماردانی، و أخلع السلطان علی الأمیر طوخ باستقراره خازندارا عوضا عن سودون الحمزاوی.

ثم فی خامس عشرین ذی القعدة أفرج عن سعد الدین إبراهیم بن غراب و أخیه فخر الدین ماجد، و کان السلطان قبض علیهما من شهر رمضان، و ولّی وظائفهما جماعة، و استمرّا فی المصادرة إلی یومنا هذا، و کان الإفراج عنهما بعد ما التزم سعد الدین بن غراب بحمل ألف ألف درهم [فضة] و فخر الدین بثلاثمائة ألف درهم، و نقلا إلی السالمیّ لیستخرج الأموال منهما ثم یقتلهما.

و کان ابن قایماز أهانهما و ضرب فخر الدین و أهانه، فلم یعاملهما السالمیّ [بمکروه] و لم ینتقم منهما، و خاف سوء العاقبة، فعاملهما من الاحسان و الإکرام بما لم یکن ببال أحد، و ما زال یسعی فی أمرهما حتی نقلا من عنده لبیت شادّ الدّواوین ناصر الدین محمد بن جلبان الحاجب، و هذا بخلاف ما کانا فعلا مع السالمیّ، فکان هو المحسن و هم المسیئون.

ثم أخلع السلطان علی یلبغا السالمیّ باستقراره أستادارا، و عزل ابن قایماز، و هذه ولایة یلبغا السالمیّ الثانیة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٠٠

ثم فی سابع ذی الحجّة من سنة خمس أخرج السلطان الأمیر أسنبغا المصارع، و الأمیر نکبای الأزدمری و هما من أمراء الطبلخاناه بمصر إلی دمشق، و إینال المظفّری و آخر. و هما من الأمراء العشرات، و رسم للاربعة بإقطاعات هناک، لأمر اقتضی ذلک، فساروا إلی القلعة.

فلما کان یوم تاسع عشرین ذی الحجّة أغلق الممالیک السلطانیّة باب القصر من قلعة الجبل علی من حضر من الأمراء، و عوّقوهم بسبب تأخّر جوامکهم، فنزل الأمراء من باب السرّ، و لم یقع کبیر أمر، و أمر السلطان لیلبغا السالمیّ أن ینفق علیهم فنفق علیهم.

[ما وقع من الحوادث سنة ٨٠٦]

ثم فی یوم الثلاثاء رابع المحرّم من سنة ستّ و ثمانمائة عزل یلبغا السالمی عن الأستاداریة، و أعید إلیها رکن الدین عمر بن قایماز، و قبض علی السالمی و سلّم إلیه.

ثم فی ثامنه أخلع السلطان علی الصاحب علم الدین یحیی أبی کمّ و استقرّ فی الوزارة و نظر الخاصّ معا عوضا عن تاج الدین بن

البقری و استقر ابن البقری علی ما بیده من وظیفتی نظر الجیش و نظر دیوان المفرد، فلم یباشر أبو کمّ الوزر غیر ثمانیة أیام و هرب و اختفی، فأعید تاج الدین بن البقری إلیها، هذا و السالمیّ فی المصادرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۱

و فی هذه السنة کان الشراقی العظیم بمصر، و عقبه الغلاء المفرط ثم الوباء، و هذه السنة هی أوّل سنین الحوادث و المحن التی خرّب فیها معظم الدیار المصریة و أعمالها، من الشراقی، و اختلاف الکلمة، و تغییر الولاة بالأعمال و غیرها.

ثم فی شهر ربیع الأول کتب بإحضار دقماق نائب حلب، و فیه اختفی الوزیر تاج الدین بن البقری، فخلع علی سعد الدین بن غراب و استقر فی وظیفتی الأستاداریة و نظر الجیش، و صرف ابن قایماز، و خلع علی تاج الدین رزق اللّه و أعید إلی الوزارة.

و فی خامس صفر کتب باستقرار الأمیر آقبغا الجمالی الأطروش فی نیابة حلب عوضا عن دقماق، فلما بلغ دقماق أنه طلب إلی مصر هرب من حلب.

ثم قدم الخبر علی السلطان بأنّ قرا یوسف بن قرا محمد قدم إلی دمشق. فأنزله الأمیر شیخ المحمودی بدار السعادة و أکرمه.

و کان من خبر قرا یوسف أنه حارب السلطان غیاث الدین أحمد بن أویس و أخذ منه بغداد.

فلما بلغ تیمور ذلک بعث إلیه عسکرا، فکسرهم قرا یوسف، فجهّز إلیه تیمور جیشا ثانیا فهزموه، ففرّ بأهله و خاصّیته إلی الرّحبة، فلم یمکّن منها و نهبته العرب، فسار إلی دمشق، فوافی بها السلطان أحمد بن أویس و قد قدمها أیضا قبل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۲

تاریخه، و أخبر الرسول أیضا أن قانی بای العلائی هرب من سجن الصّبیبة، فتأخر نوروز بالسجن و لم یعرف أین ذهب.

ثم فی یوم الثلاثاء خلع السلطان علی بدر الدین حسن بن نصر اللّه الفوّی و استقرّ فی نظر الخاص عوضا عن ابن البقری، و هذه أوّل ولایة الصاحب بدر الدین ابن نصر اللّه للوظائف الجلیلة.

ثم فی عاشره اختفی الوزیر تاج الدین، و فی ثالث عشره أعید ابن البقری للوزر علی عادته و نظر الخاص، و صرف ابن نصر اللّه، هذا و الموت فاش بین الناس و أکثر من کان یموت الفقراء من الجوع.

ثم فی آخر جمادی الآخرة رسم بالقبض علی السلطان أحمد بن أویس، و قرا یوسف بدمشق، فقبض علیهما الأمیر شیخ و سجنهما.

ثم فی یوم الاثنین ثامن عشر شهر رجب قدم إلی القاهرة سیف الأمیر آقبغا الجمالی الأطروش نائب حلب بعد موته، فرسم السلطان بانتقال الأمیر دمرداش المحمدی نائب طرابلس إلی نیابة حلب، و حمل إلیه التقلید و التشریف الأمیر سودون المحمدی المعروف تلی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۳

و فی أثناء ذلک ورد الخبر بأن الأمیر دقماق نزل علی حلب و معه جماعة من الترکمان فیهم الأمیر علی بک بن دلغادر، و فرّ منه أمراء حلب، فملک دقماق حلب، و رسم السلطان بانتقال الأمیر شیخ السلیمانی المسرطن نائب صفد إلی نیابة طرابلس، و حمل إلیه التقلید و التشریف الأمیر أقبردی، و رسم باستقرار الأمیر بکتمر جلّق أحد أمراء دمشق فی نیابة صفد عوضا عن شیخ السلیمانی المسرطن، و خرج الأمیر إینال المأمور بقتل الأمراء المسجونین بالبلاد الشامیة، و قبل وصول إینال المذکور أفرج الأمیر دمرداش نائب طرابلس عن الأمیر جکم و عن سودون طاز، و کانا ببعض حصون طرابلس و سار بهما إلی حلب، و هذا أوّل أمر جکم و ظهوره بالبلاد الشامیة علی ما سنذکره إن شاء اللّه تعالی.

ثم فی یوم الخمیس سابع عشر ذی الحجة قبض السلطان علی الأمیر بیبرس الدوادار الثانی، و علی الأمیر جانم من حسن شاه، و علی الأمیر سودون المحمدی تلی، و حملوا إلی سجن الإسکندریة، و استقر الأمیر قرقماس أحد أمراء الطبلخانات دوادارا ثانیا عوضا عن بیبرس المذکور.

[ما وقع من الحوادث سنة ۸۰۷]

ثم فی صفر من سنة سبع و ثمانمائة، وقع بين الأمير يشبك الشعبانى و بين الأمير إينال باى بن قجماس الأمير آخور كبير و سبب ذلك: أن الأمير يشبك الشعبانى الدوادار صار هو مدبّر الدولة و بيده جميع أمورها من الولاية و العزل، فصار له بذلك عصبة كبيرة، فأحبوا عصبته عزل إينال باى من الأمير اخورية، لاختصاصه بالسلطان الملك الناصر لقرابته منه ثم لمصاهرته، فإنه كان تزوج بخوند

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۴

بيرم بنت الملك الظاهر برقوق، و سكن بالإسطبل السلطانى على عادة الأمير اخورية، فصار السلطان ينزل عنده و يقيم ببيت أخته و يعاقره الشراب، فعظم أمر إينال باى لذلك، فخافه حواشي يشبك، و أحبوا أن يكون جركس القاسمى المصارع عوضه أمير اخورا، و اتفقوا مع يشبك على ذلك، فانقطعوا عن حضور الخدمة السلطانية من جمادى الأولى، فاستوحش السلطان منهم. و تمادى الحال إلى يوم الجمعة، فأمر السلطان لإينال باى أن ينزل للأمراء المذكورين و يصالحهم، فمنع جماعة من المماليك السلطانية إينال باى أن ينزل، و اشتد ما بينهم من الشر حتى خاف السلطان عاقبة ذلك، و باتوا مترقبين وقوع الحرب بينهما، و كان السلطان رسم للأمير يشبك أن يتحول من داره قبل تاريخه، فإنها مجاورة لمدرسة السلطان حسن، فامتنع يشبك من ذلك

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۵

فساء ظن السلطان به، ثم استدعى السلطان القضاة فی يوم السبت ثانى صفر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس ليصلحوا بين إينال باى و بين يشبك و رفقته، فلم يقع صلح بين الطائفتين، و تسوّر بعض أصحاب يشبك على مدرسة السلطان حسن، فتحقّق السلطان عند ذلك ما كان يظنّه بيشبك، و يحذّره منه إينال باى و غيره، و أخذ كلّ أحد من الطائفتين فی أهبة الحرب، و السلطان من جهة إينال باى، و أصبحوا جميعا يوم الأحد لابسين السلاح، و طلع أعيان الأمراء إلى السلطان، و هم الأتابك بيبرس، و الوالد، و بكتمر رأس نوبة الأمراء، و سودون الماردانى أمير مجلس، و آقباى حاجب الحجّاب، و طوخ الخازندار فی آخرين من مقدّمى الألوف و الطبلخانات و العشرات و المماليك السلطانيّة.

و كان مع يشبك من أمراء الألوف سبعة، و هم الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح، و يلبغا الناصرى، و إينال حطب العلائى، و قطلوبغا الكركى، و سودون الحمزاوى رأس نوبة النوب، و طولو، و جركس المصارع، و انضم معهم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأستادار، و محمد بن سنقر البكجرىّ، و ناصر الدين محمد بن على ابن كلبك، فی جماعة من الأمراء و المماليك السلطانية، و تجهّز يشبك للحرب، و أعدّ بأعلى مدرسة السلطان حسن مدافع النفط و المكاحل و الأسهم للرمى على الإسطبل السلطانىّ و على من يقف تحته من الرميلة، و اجتمع عليه خلائق، و نزل السلطان أيضا من القصر إلى الإسطبل السلطانى، و جلس بالمقعد و اجتمع عليه أكابر أمرائه و خاصّكيته، و وقع القتال بين الطائفتين و الحصار و الرمى بالمدافع من بكرة يوم الأحد إلى ليلة الخميس سابعه، و قد ظهر أصحاب السلطان على البشبكيّة، و حصروهم و القتال مستمرّ بينهم، و أمر يشبك فی إدبار، و حال السلطان فی استظهار، إلى أن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۶

كانت ليلة الخميس المذكورة، فاتفق الأمير يشبك مع أصحابه، و ركب نصف الليل، و خرج بمن معه من الأمراء من الرميلة على حميّة، و مرّوا من تحت الطبلخاناه إلى جهة الشام، فلم يتبعهم أحد من السلطانيّة، و نودى بالقاهرة فی آخر الليلة المذكورة بالأمان، و منع أهل الفساد و الزّعر من النّهب، و مرّ يشبك بمن معه من الأمراء و المماليك إلى قطيا، فتلقّاه مشايخ عربان العائذ بالتقادم، و سار إلى العريش و قد بلغ خبره إلى غزّة، فتلقّاه نائب غزّة الأمير خير بك بعساكر غزّة، فدخلها يوم الأربعاء ثالث عشر صفر و نزل بها.

ثم بعث الأمير طولو إلى الأمير شيخ المحمودى نائب الشام يعلمه الخبر، و سار طولو يريد دمشق حتى قدم دمشق يوم الأحد ثامن عشره، فخرج الأمير شيخ إليه، و تلقّاه و أعلمه طولو الخبر، فشقّ ذلك عليه، و وعده بالقيام بنصرته ليشبك.

و كان فی ثامن عشر الشهر الخارج قدم الأمير دقماق المحمّدى دمشق فأكرمه الأمير شيخ.

و خبر دقماق و سبب قدومه إلى دمشق، أنه لمّا فرّ من حلب، و جمع التركمان و أخذ حلب، و قدم الأمير دمرداش المحمّدى نائب طرابلس عليه و قد ولى نيابة حلب بعد أن أطلق دمرداش و سودون طاز و جكم، و سار بهما من طرابلس إلى حلب لقتال التركمان، و واقع التركمان بعد أن قتل سودون طاز، فانكسر دمرداش، و ملك جكم حلب منه بعد أمور صدرت يطول شرحها، فكتب السلطان إلى دقماق يخيّره فى أىّ بلد يقيم؟ فاختار الشام، فقدمها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۷

و لما بلغ الأمير شيخ ما وقع ليشبك بعث بالأمير ألطنبغا حاجب الحجّاب بدمشق و الأمير شهاب الدين أحمد بن اليغمورىّ، و جماعة أخر من الأعيان إلى الأمير يشبك، و معهم أربعة أحمال قماش و مال، و كتب شيخ على أيديهم مطالعات للأمير يشبك يرغّبه فى القدوم عليه، و أنه يقوم بنصرته و يوافقه على غرضه.

فلمّا بلغ يشبك ذلك رحل من غزّة فى ليلة الاثنين خامس عشرينه، بعد ما أقام بها ثلاثة عشر يوما، و أخذ ما كان بها من حواصل الأمراء و عدّة خيول، و بعث إليه أهل الكرك و الشّوبك بعدّة تقادم، بعد ما كان عرض من معه من المقاتلة فكانوا ألفا و ثلاثمائة و خمسة و عشرين فارسا، و تلقّاه بعد مسيره من غزّة بمشايخ بلاد الساحل، و حمل إليه الأمير بكتمر جلق نائب صفد عدّة تقادم- و قدم عليه ابن بشارة فى عدّة من مشايخ العشير.

ثم جهز إليه الأمير شيخ نائب الشام جماعة لملاقاته طائفة بعد أخرى.

ثم خرج إليه شيخ المذكور من دمشق حتى وافاه، فلمّا تقاربا ترجّل الأمير شيخ عن فرسه، فلمّا عاينه يشبك ترجّل هو و أصحابه و سلّم عليه، ثم سلّم على الأمراء و جلسا قليلا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۸

ثم ركبا، و سار يشبك المذكور و قد ألبسه شيخ هو و جميع من معه من الأمراء الخلع بالطّرز العريضة، و عدّتهم أحد و ثلاثون أميرا من الطبلخانات و العشرات سوى من تقدّم ذكرهم من أمراء الألوف، و دخلوا [دمشق] يوم الثلاثاء رابع شهر رجب.

و لمّا طال جلوسهم بدمشق سألهم الأمير شيخ عن خبرهم، فأعلموه بما كان و ذكروا له أنهم مماليك السلطان و فى طاعته، لا يخرجون عنها أبدا، غير أنّ إينال باى نقل عنهم للسلطان ما لا يقع منهم، فتغيّر خاطر السلطان عليهم حتى وقع ما وقع و أنهم ما لم ينصفوا منه و يعودوا لما كانوا عليه و إلّا فأرض اللّه واسعة، فوعدهم بخير، و قام لهم بما يليق بهم، حتى قيل إنه بلغت نفقته عليهم نحو مائتى ألف دينار مصريّة. ثم كتب شيخ إلى السلطان يسأله فى أمرهم.

و أمّا أمر السلطان الملك الناصر، فإنّه لما أصبح و قد انهزم يشبك بمن معه إلى جهة الشام، كتب بالإفراج عن الأمير سودون من زاده، و تمربغا المشطوب، و صرق و كتب [إلى الأمير نوروز بالحضور إلى الديار المصرية ليستقرّ على عادته] و كتب للأمير جكم أمانا توجّه به طغاى تمر مقدّم البريديّة.

ثم فى ثامن عشره خلع على عدّة من الأمراء بعدّة وظائف، فأخلع على سودون الماردانى أمير مجلس باستقراره دوادارا عوضا عن يشبك الشعبانى المقدّم ذكره، و على الأمير سودون الطّيار الأمير آخور الثانى، و استقرّ أمير مجلس عوضا عن سودون الماردانى، و على آقباى حاجب الحجّاب باستقراره أمير سلاح عوضا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۰۹

عن تمراز الناصرى، و خلع على أبى كمّ، و استقرّ فى وظيفة نظر الجيش عوضا عن ابن غراب، و على ركن الدين عمر بن قايماز، باستقراره أستادارا عوضا عن ابن غراب أيضا.

ثم فى تاسع عشره، قدم سودون من زاده و تمربغا المشطوب و صرق من سجن الإسكندرية و قبّلوا الأرض بين يدى السلطان و نزلوا إلى دورهم.

و فی حادی عشرینه خلع السلطان علی الأمیر یشبک بن أزدمر باستقراره رأس نوبة النّوب عوضا عن سودون الحمزاوی.

ثم ألزم السلطان مباشری الأمراء المتوجّهین إلی الشام بمال، فقرّر علی موجود الأمیر یشبک مائة ألف دینار، و علی موجود تمراز مائة ألف دینار، و علی موجود سودون الحمزاوی ثلاثین ألف دینار، و علی موجود قطلوبغا الکرکیّ عشرین ألف دینار، و رسم السلطان أن یکون الدینار بمائة درهم، ثم افتقد السلطان الممالیک السلطانیة ممن توجه مع الأمیر یشبک فکانوا مائتی مملوک.

ثم قدم الخبر علی السلطان أنّ الأمیر نوروز قدم إلی دمشق من قلعة الصّبیبة، فتلقّاه الأمیر شیخ و أکرمه، و ضربت البشائر لقدومه بدمشق، فعظم ذلک علی السلطان.

ثم فی یوم الثلاثاء رابع شهر رجب طلب السلطان جمال الدین یوسف البیری أستادار بجاس و أخلع علیه باستقراره أستادارا عوضا عن ابن قایماز، بعد ما رسم علی جمال الدین المذکور فی بیت شادّ الدواوین محمد بن الطبلاوی یوما و لیلة، و استمرّ یتحدّث فی استاداریة الأتابک بیبرس فإنه کان خدم عنده لیحمیه من الوزر و الأستاداریة، فلم ینهض بیبرس بذلک.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۰

ثم قدم الخبر بأن الأمیر شیخا أفرج عن قرا یوسف.

و أما خبر جکم مع دمرداش و کیف ملک منه حلب، و قد قدّمنا ذکر ذلک مجملا من غیر تفصیل، فإن جکم لما أطلقه دمرداش و أخذه صحبته إلی حلب، و قاتل معه الترکمان و وقع لهما أمور حاصلها أن جکم تخوّف من دمرداش و فرّ منه إلی جهة الترکمان، و انضم علیه سودون الجلب بعد مجیئه من بلاد الأفرنج، و الأمیر حمق نائب الکرک کان و غیره من المخامرین.

ثم وافقه ابن صاحب الباز أمیر الترکمان بترکمانه، فعاد جکم و قاتل دمرداش، و وقع بینهما أمور و حروب إلی أن ملک جکم طرابلس، و أرسل إلیه الأمیر شیخ نائب الشام، و الأمیر یشبک و رفقته یستمیلونه لیقدم علیهم دمشق و یوافقهم علی قتال المصریین، فأجابهم إلی ذلک، و خرج من طرابلس کأنه یرید التوجه إلی دمشق.

فلما وصل حماة أخذ نائبها الأمیر علان بمن انضم علیه و توجه بهم إلی دمرداش و قاتله حتی هزمه و أخذ منه مدینة حلب، و فرّ دمرداش بجماعة من أمراء حلب إلی بلاد الترکمان.

و لما ملک جکم حلب أنعم بموجود دمرداش علی علّان نائب حماة، و أقرّه علی نیابة حماة علی عادته، فصار مع جکم حلب و طرابلس و حماة، و أخذ یسیر مع الرعیة أحسن سیرة، فأحبه الناس و جری علی ألسنتهم «جکم حکم، و ما ظلم» و استمرّ جکم بحلب إلی أن أرسل إلیه الأمیر شیخ نائب الشام الأمیر سودون الحمزاوی، و الأمیر سودون الظریف، فتوجها إلی جکم علی أنه بطرابلس.

ثم أرسل الأمیر شیخ الأمیر شرف الدین موسی الهیدبانی حاجب دمشق إلی حلب رسولا إلی دمرداش یستدعیه إلی موافقته هو و من عنده من الأمراء.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۱

و کان قد ورد کتاب دمرداش علی شیخ و یشبک أنه معهما، و متی دعواه حضر إلیهما؛ فهذا ما کان من أمر جکم، و بقیة خبر قدومه یأتی إن شاء اللّه تعالی فیما بعد.

ثم إن الأمیر شیخا نائب الشام عین جماعة من الأمراء لیتوجهوا لأخذ صفد، فخرج الأمیر تمراز الناصریّ أمیر سلاح، و الأمیر چارکس القاسمی المصارع، و الأمیر سودون الظریف بعد عوده من طرابلس، و ساروا بعسکرهم لأخذ صفد من بکتمر جلّق، بحیلة أنهم یسیرون إلی جشار الأمیر بکتمر جلق کأنهم یأخذوه فإذا أقبل علیهم بکتمر لیدفعهم عن جشاره قاطعوا علیه و أخذوا مدینة صفد منه، فتیقظ بکتمر لذلک و ترک لهم الجشار، فساقوه من غیر أن یتحرک بکتمر من المدینة و عادوا إلی دمشق و أخبروا الأمراء بذلک، فاستعد شیخ لأخذ صفد و عمل ثلاثین مدفعا و عدّة مکاحل و منجنیقین، و جمع الحجّارین و النقّابین و آلات الحصار، و خرج من دمشق یوم الثلاثاء سابع عشر شعبان و معه جمع کبیر من عسکر مصر و الشام من جملتهم قرا یوسف بجماعته، و جماعة السلطان أحمد

بن أويس [متملک بغداد] و جماعة من التركمان الجشارية، و أحمد بن بشارة بعشرانه و عيسى بن الكابولىّ بعشرانه، و نادى شيخ بدمشق قبل خروجه منها: من أراد النهب و الكسب فعليه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۲

بمصر، فاجتمع عليه خلائق، و سار معه مائة جمل تحمل مكاحل و مدافع و آلات الحصار، و ولى الأمير ألطنبغا العثمانى نيابة صفد كما كان أولا، و سار شيخ بمن معه من العساكر حتى وافى مدينة صفد، فأرسل شيخ بالأمير علّان إلى بكتمر جلّق يكلّمه فى تسليم مدينة صفد، فلم يذعن إليه بكتمر و أبى إلا قتاله، و قال: ماله عندى إلا السيف؛ فحينئذ ركب شيخ و يشبك بمن معهما و أحاطا بقلعة صفد، و حصراها من جميع جهاتها، و قد حصنها بكتمر و شحنها بالرجال، و قام يقاتل شيخا أتم قتال فاستمر الحرب بينهم أياما كثيرة خرج فيها من أصحاب شيخ نحو ثلاثمائة رجل، و قتل أزيد من خمسين نفسا.

و بينما هم فى قتال صفد إذ ورد عليهم الخبر بقدوم جكم إلى دمشق، ففرحوا بذلك، و لم يمكنهم العود إلى دمشق إلا عن فيصل من أمر صفد.

و كان خروج جكم من حلب فى حادى عشر شهر رمضان، و سار حتى قدم دمشق، و قد حضر إليه شاهين دوادار الأمير شيخ يستدعيه، فإن شيخا كان أرسله إليه قبل خروجه إلى صفد بعد عود سودون الحمزاوى و سودون الظريف من طرابلس، و قبل خروج جكم من حلب سلّم قلعتها إلى الأمير شرف الدين موسى ابن يلدق، و عمل حجّابا و أرباب وظائف، و عزم على أنه يتسلطن و يتلقب بالملك العادل.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۳

ثم بدا له تأخير ذلك، و قدم دمشق لمرافقة شيخ و يشبك و من معهما، و وصل إلى دمشق و معه الأمير قانى باى و تغرى بردى القجقارى و جماعة كبيرة، فخرج من بدمشق من أمراء مصر و الشام جميعهم إلى لقائه، و أنزل بالميدان، فسلم جكم على الأمراء سلام السلاطين على الأمراء، و أخذ يترفع عليهم ترفعا زائدا أوجب تنكرهم عليه فى الباطن، إلاـ أن الضرورة قادتهم إلى الانقياد إليه، فأكرموه على رغمهم، و أنزلوه و كلّموه فى القيام معهم، فأجاب، و أمرهم أن يكتبوا ليشبك و شيخ بقدومه إلى دمشق، فكتبوا إلى يشبك و شيخ بذلك، و أخذ جكم فى إظهار شعار السلطنة مع خدمه و أصحابه، فشق على الأمراء ذلك، و ما زالوا به بالملاطفة حتى ترك ذلك إلى وقته، و أقام معهم بدمشق إلى ليلة الأحد سابع عشرين شهر رمضان من سنة سبع و ثمانمائة المذكورة، فخرج من دمشق و توجه مخفّا إلى طرابلس ليجمع عساكر طرابلس، و ترك ثقله بدمشق، و ورد عليه الخبر أن دمرداش لما فر منه ركب البحر و توجه إلى دمياط.

ثم قدم إلى مصر فى رابع عشرين شهر رمضان المذكور فهدأ سرّجكم بذلك عن أمر حلب.

و أما يشبك و شيخ بمن معهما من الأمراء و العساكر لما طال عليهم القتال على مدينة صفد، و عجزوا عن أخذها، تكلموا فى الصلح مع بكتمر حتى تم لهم ذلك، و اصطلحوا و تحالفوا، و نزل إليهم بكتمر جلّق فى يوم الاثنين حادى عشرين شهر رمضان بعد أن كانت مدة القتال بينهم [على صفد] اثنين و عشرين يوما، و عاد شيخ إلى دمشق و هو مجروح، و يشبك الشعبانى و هو مجروح أيضا، و چاركس المصارع و هو مجروح.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۴

و أما عساكرهم فغالبهم أثخنته الجراح، فعندما أقاموا بدمشق قدم عليهم الأمير جكم من طرابلس بعد أن أرسلوا يستحثونه على سرعة المجىء إليهم غير مرة فخرجوا لتلقّيه و سلّموا عليه، و عادوا به إلى دمشق و هما فى غاية الحنق من جكم، و هو أنه لما وافاهما جكم ترجّل إليه الأمير يشبك عن فرسه إلى الأرض، و سلّم عليه فلم يعبأ به جكم، و لا التفت إليه، لأنه كان غريمه فيما تقدّم ذكره، فشق ذلك على الأمير شيخ، و لام يشبك على ترجّله.

ثم عتب شيخ جكم على ما وقع منه فى عدم إنصاف يشبك، و نزل جكم بالميدان و جلس فى صدر المجلس، و جلس يشبك عن يمينه، و شيخ عن يساره، فكاد شيخ و يشبك أن يهلكا فى الباطن، و لم يسعهما إلا الإذعان لتمام أمرهما.

ثم أمرهم جكم ألّا يفعلوا شيئا إلا بمشاورته، فاتفقوا على منع الدعاء للسلطان الملك الناصر فرج بمنابر دمشق، فوقع ذلك للخطباء، و ذكروا اسم الخليفة فى الخطبة فقط.

و كان الأمير شيخ قبل قدوم جكم إلى دمشق أفرج عن السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد من سجن دمشق، و أنعم عليه بمائة ألف درهم فضة و ثلاثمائة فرس.

و أنعم أيضا على قرا يوسف بمائة ألف و ثلاثمائة فرس، و أخرج عدة كبيرة من أمراء مصر إلى جهة غزة [بعد أن حمل إلى كل منهم مائة ألف درهم فضة] و هم: الأمير تمراز الناصرىّ، و ابنه الأمير سودون بقجة، و سودون الحمزاوى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۵

و يلبغا الناصرى، و إينال حطب، و چاركس المصارع بعد أن حمل شيخ أيضا إلى كل منهم مائة ألف درهم فضة، و لم يتأخر بدمشق من أعيان الأمراء إلّا الأمير يشبك الدوادار و الأمير شيخ نائب الشام، و أقاما فى انتظار الأمير جكم [حتى قدم عليهما جكم] حسبما تقدّم ذكره، و بعد قدوم جكم أجمعوا على المسير إلى جهة مصر، و برزوا بالخيام إلى قبة يلبغا فى يوم رابع عشر ذى القعدة.

ثم خرج الأمير شيخ و الأمير يشبك و قرا يوسف من دمشق فى يوم عشرينه و ساروا إلى الخربة فافترقوا منها. فتوجه يشبك و قرا يوسف إلى صفد لقتال نائبها بكتمر جلق ثانيا، فإنه بلغهم أنه مستمر على طاعة السلطان. و توجه شيخ إلى قلعة الصّبيبة و بها ذخائره و حريمه.

فلما بلغ بكتمر جلق مجىء العسكر لقتاله استعد هو أيضا لقتالهم، و قد قوى قلبه، فإنه بلغه أن علّان نائب حماة دخل فى طاعة السلطان و خالف الأمراء، و كذلك شيخ السليمانى المسرطن نائب طرابلس، فإنه دخل فى طاعة السلطان، و استولى على طرابلس و استفحل أمره، و أن الأمير شيخا السليمانى نائب طرابلس بعد أخذ طرابلس قدم عليه البريد بولاية قانى باى على طرابلس، فخرج منها شيخ السليمانى إلى حماة، فأشار عليه علّان نائب حماة أنه لا يسلّم طرابلس لقانى باى حتى يراجع السلطان و يعلمه بما يترتب على عزله من الفساد، فعاد شيخ إلى طرابلس، فبهذه الأخبار ثبت بكتمر جلق على طاعة السلطان و قتال الأمراء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۶

و لما قارب يشبك، و قرا يوسف صفد أخرج بكتمر كشّافته بين يديه، و نزل جسر يعقوب، فالتقى كشافته بأصحاب يشبك و قرا يوسف، فاقتتلوا قتالا شديدا ظهر فيه الصفديون، و أخذوا من الشاميين عشرة أفراس، فعاد يشبك و قرا يوسف إلى طبرية، و نزلوا بها حتى قدم عليهم الأمير شيخ نائب الشام.

ثم ساروا جميعا إلى غزة، و قد تقدّمهم الأمير جكم و نزل على الرملة.

و أما أمراء الديار المصرية فإن السلطان الملك الناصر لما تحقق اتفاق الأمير شيخ المحمودى نائب الشام مع يشبك و رفقته، و بلغه أخبارهم مفصّلا، استشار الأمراء فى أمرهم فأجمعوا على خروج السلطان لقتالهم، فتجهّز السلطان، و علّق جاليش السفر فى ثانى ذى القعدة بالطبلخاناة السلطانية على العادة.

ثم أنفق فى رابعه على المماليك السلطانية على كل مملوك خمسة آلاف درهم.

و كان صرف الذهب يوم ذاك مائة درهم المثقال، فصرف لكل واحد منهم تسعة و أربعين مثقالا، و احتاج السلطان فى النفقة المذكورة حتى اقترض من مال أيتام الأمير قلمطاى الدوادار عشرة آلاف مثقال، و رهن عندهم جوهرا، و جعل كسب ذلك ألف دينار و مائتى دينار، و أخذ منهم أيضا نحو ستة عشر ألف مثقال و باعهم بها بلدة من أعمال الجيزة تسمى البراجيل، و أخذ من [تركة] التاجر برهان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۷

الدین المحلّی و غیره مالا کثیرا، و وزّع له قاضی القضاة شمس الدین الأخنائی الشافعی خمسمائة ألف درهم علی ترکات خارجة عن المودع، و کانت نفقة السلطان علی خمسة آلاف مملوک.

ثم عزل السلطان الأخنائی عن قضاء الشافعیة بقاضی القضاة جلال الدین عبد الرحمن البلقینی، و عزل ابن خلدون بقاضی القضاة جمال الدین یوسف البساطیّ المالکی.

ثم قدم الخبر علی السلطان بنزول الأمراء علی مدینة غزة، و أخذهم الإقامات المجهّزة للعساکر السلطانیة.

و کانت غزة قد غلابها الأسعار لقلّة الأمطار، و بلغت الویبة القمح مائة و عشرین درهما، فعند ذلک جد السلطان الملک الناصر فی حرکة السفر، و الاستعداد للحرب.

و أما أمر الأمراء فإنه خرج جالیشهم من مدینة غزة إلی جهة الدیار المصریة فی یوم الأحد ثانی ذی الحجة.

ثم سار من الغد الأمیر شیخ و یشبک و جکم ببقیة عساکرهم، و استنابوا بغزة الأمیر ألطنبغا العثمانی.

ثم قدم الخبر علی جناح الطیر من بلبیس بنزول الأمراء علی قطیا، فکثرت حرکات العسکر بالقاهرة، و خرجت مدوّرة السلطان إلی الرّیدانیّة خارج القاهرة، و اختبط العسکر و اضطرب لسرعة السفر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۸

ثم رکب السلطان من قلعة الجبل بأمرائه و عساکره فی یوم السبت ثامن ذی الحجة من سنة سبع و ثمانمائة، و سار حتی نزل بالریدانیة خارج القاهرة، و بات بها، و قد أقام من الأمراء بباب السلسلة بکتمر الرکنی رأس نوبة الأمراء و جماعة أخر بالقاهرة.

و بینما السلطان بالریدانیة ورد علیه الخبر بنزول الأمراء بالصالحیة فی یوم التّرویة و أخذوا ما کان بها من الإقامات السلطانیة، فرحل السلطان من الریدانیة فی یوم الأحد تاسعه، و نزل العکرشة، ثم سار منها لیلا، و أصبح ببلبیس و ضحّی بها، و أقام علیها یومی الاثنین و الثلاثاء، و رحل من مدینة بلبیس بکرة نهار الأربعاء، و نزل علی منزلة السعیدیة، فأتاه کتب الأمراء الثلاثة، و هم: جکم، و شیخ، و یشبک بأن سبب حرکتهم ما جری بین الأمیر یشبک و بین إینال بای بن قجماس، و طلبوا منه أن یخرج إینال بای المذکور و دمرداش المحمدی نائب حلب من مصر، و أن یعطی لکلّ من یشبک و جکم و شیخ و من معهم بمصر و الشام ما یلیق بهم من النیابات و الإقطاعات لتخمد هذه الفتنة باستمرارهم علی الطاعة، و لحقن الدماء و یعمر بذلک ملک السلطان، و إن لم یکن ذلک تلفت أرواح کثیرة، و خرّبت بیوت عدیدة.

و کانوا أرادوا هذه المکاتبة من الشام، و لکن خشوا أن یظنّ بهم العجز، فإنه ما منهم إلا من جعل الموت نصب عینیه، فلم یلتفت السلطان إلی ذلک، و لم یأمر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۱۹

بکتابة جواب لهم، و کان ذلک مکیدة من الأمراء حتی کبسوا علی السلطان فی لیلة الخمیس و هم فی نحو ثلاثة آلاف فارس و أربعمائة ترکمانی من أصحاب قرا یوسف.

و بینما السلطان علی منزلة السعیدیة ورد الخبر علی الوالد من بعض أصحابه ممن هو صحبة الأمراء، أن الأمراء اتفقوا علی تبییت السلطان و الکبس علیه فی هذه اللیلة، فأعلم الوالد السلطان و حرّضه علی الرکوب بعساکره من وقته، فمال إلیه السلطان، فأخذ الأمیر بیغوت و غیره یستبعد ذلک، و لا زالوا بالسلطان حتی فتر عزمه عن الرکوب، فعاد الوالد إلی وطاقه، و أمر جمیع ممالیکه بالرکوب بآلة الحرب.

و بینما هو فی ذلک إذ ثارت غبرة عظیمة و هجّة فی الناس، و قبل أن یسأل السلطان عن الخبر طرقه الأمراء علی حین غفلة، فرکب السلطان فی اللیل بمن معه و اقتتل الفریقان قتالا شدیدا من بعد عشاء الآخرة إلی بعد نصف اللیل، جرح فیه جماعة کثیرة من

الطائفتين، و قتل الأمير صرق الظاهرى صبرا بين يدى الأمير شيخ المحمودى نائب الشام، لأن السلطان كان ولاه عوضه نائب الشام، و انهزم السلطان و ركب و سار عائدا على الهجن إلى جهة الديار المصرية، و معه سودون الطيار و سودون الأشقر، و ساقوا إلى أن وصلوا إلى القلعة، و تفرقت العساكر السلطانية و انهزموا و تركوا أثقالهم و خيامهم، و سائر أموالهم غنمها الشاميون، و وقع فى قبضة الأمراء من المصريين الخليفة و القضاة، و الأمير شاهين الأفرم، و الأمير خير بك نائب غزة، و نحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية و غيرهم، و قدم المنهزمون من السلطانية إلى القاهرة فى يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة، و لم يحضر السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٢٠

و لا الأمراء الكبار، فكثر الإرجاف و ماج الناس، و انتهبت عدة حوانيت حتى قدم السلطان قريب العصر و معه الأمراء، و قد قاسى من [مرّ] العطش و التعب مالا يوصف، فسر الناس بقدومه، و طلع إليه الأمراء و العساكر و باتوا تلك الليلة، و أصبح السلطان يتهيأ للقاء الأمراء، و قبض على يلبغا السالمىّ و سلّمه لجمال الدين البيرىّ الأستادار، فعاقبه و صادره، و شرع أمر السلطان كل يوم فى زيادة لعدم قدوم العسكر الشامى إلى القاهرة.

فلما كان آخر نهار الأحد نزلت الأمراء بالريدانية خارج القاهرة.

ثم أصبحوا فى بكرة نهار الاثنين ركبوا و زحفوا على القاهرة، فأغلقت أبواب المدينة و تعطلت الأسواق عن المعايش، و مشوا حتى وصلوا قريبا من دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، فقاتلهم السلطانية من بكرة نهار الاثنين المذكور إلى بعد الظهر، فلما أذّن الظهر أقبل جماعة كثيرة من الأمراء إلى جهة السلطان طائعين: منهم الأمير يلبغا الناصرى، و آسنباى أمير ميسرة الشام المعروف بالتركمانى، و سودون اليوسفى، و إينال حطب، و جمق، فلما وقع ذلك اختل أمر الأمراء، و عزم جماعة منهم على العود إلى البلاد الشامية فحمل ما خف من أثقاله و عاد، و فعل ذلك جماعة كبيرة بعد أن أفرج شيخ عن الخليفة و القضاة و غيرهم، فتسلّل عند ذلك الأمير يشبك الشعبانى الدوادار، و الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح، و الأمير جاركس القاسمى المصارع، و الأمير قطلوبغا الكركى فى جماعة أخر، و اختفوا بالقاهرة و ظواهرها.

فلما وقع ذلك ولى الأمير جكم و الأمير شيخ و الأمير طولو و قرا يوسف فى طائفة يسيرة، و قصدوا البلاد الشأمية، فلم يتبعهم أحد من عسكر السلطان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٢١

ثم نادى السلطان بالأمان لكل أحد، فطلع إليه جماعة، فقبض عليهم و قيّدهم و بعث بهم إلى سجن الإسكندرية، و خمدت الفتنة، و انجلت هذه الواقعة عن إتلاف مال كثير من العسكرين، ذهب فيها من الخيل و البغال و الجمال و السلاح و الثياب ما لا يدخل تحت حصر من غير فائدة.

ثم أخذ الملك الناصر فى تمهيد أمور دولته و إصلاح الدولة و المفرد، فقبض على الصاحب تاج الدين بن البقرى، و سلّمه لجمال الدين الأستادار، و استقرّ عوضه فى الوزارة فخر الدين ماجد بن غراب.

و كان أخوه سعد الدين إبراهيم بن غراب مع العسكر الشامى، فلما قدم معهم اختفى بالقاهرة، ثم ترامى على الأمير إينال باى بن قجماس، فجمع بينه و بين السلطان ليلا، و وعده بستين ألف دينار.

و أصبح يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة طلع سعد الدين بن غراب إلى القلعة فخلع عليه السلطان و جعله مشيرا.

ثم فى ثالث عشرينه خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى، و كان ممن قدم مع العسكر، باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن الأمير شيخ المحمودى، و على بكتمر جلّق باستقراره على نيابة صفد، و على سلامش حاجب غزّة بنيابة غزّة.

و أما جكم و شيخ فإنهما قدما غزّة فى نحو خمسمائة فارس أكثرهم من التركمان أصحاب قرا يوسف، و قد غنموا شيئا كثيرا، و تفرّقت عساكر شيخ، و تلفت أمواله و خيوله، و مضى إلى دمشق، فخرج إليه الأمير بكتمر جلق و الأمير شيخ السليمانى المسرطن نائب

طرابلس، فهرب منهما، فتتبّعاه إلى عقبة فيق، فنجا بنفسه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٢٢

فلم يدركاه، و دخل دمشق و هو فى أسوأ حال، فوجد السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد قد فرّ من دمشق إلى جهة بلاده فى ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة، و كان قد تأخر بدمشق و لم يتوجه إلى نحو الديار المصرية صحبة الأمراء.

ثم إن شيخا أوقع الحوطة على بيوت الأمراء الذين خامروا عليه و توجهوا إلى مصر، و أخذ فى إصلاح أمره و لمّ شعثه.

و أما جكم فإنه لما فارق حلب كان بها عدّة من أمرائها، و رفعوا سنجق السلطان بقلعة حلب، فاجتمع إليهم العسكر، فحلف بعضهم لبعض على طاعة السلطان و قدم ابنا شهدى الحاجب و نائب القلعة من عند التركمان البياضية إلى حلب، و قام بتدبير أمور حلب الأمير يونس الحافظى، و امتدت أيدى عرب العجل ابن نعير و تراكمين ابن صاحب الباز إلى معاملة حلب، فقسموها، و لم يدعوا لأحد من الأمراء و الأجناد شيئا، كل ذلك قبل قدوم جكم إليها من مصر.

و أما السلطان فإنه رسم فى أواخر ذى الحجة بانتقال الأمير علّان اليحياوى نائب حماة إلى نيابة حلب عوضا عن جكم، و حمل إليه التقليد و التشريف الأمير إينال الخازندار، و استقرّ الأمير دقماق المحمدى فى نيابة حماة عوضا عن علّان المذكور، و استقرّ الأمير بكتمرجلق نائب صفد فى نيابة طرابلس عوضا عن شيخ السليمانى المسرطن، و توجه بتقليده الأمير جرباش العمرى، و استقر عوضه فى نيابة صفد الأمير بكتمر الركنى رأس نوبة الأمراء درجة إلى أسفل.

[ما وقع من الحوادث سنة ٨٠٨]

ثم فى ثالث المحرم سنة ثمان و ثمانمائة قدم مبشر الحاج و أخبر بأنه كان أشيع بمكة المشرفة قدوم تيمور لنك إليها، فاستعد صاحب مكة لذلك، فلم يصحّ ما أشيع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٢٣

ثم قدم رسل الأمير شيخ نائب الشام إلى السلطان بديار مصر، و هم شهاب الدين أحمد بن حجّى أحد خلفاء الحكم بدمشق، و الشريف ناصر الدين محمد بن على نقيب الأشراف، و الشيخ المعتقد محمد بن قويدار، و الأمير يلبغا المنجكى، و معهم كتبه تتضمن الترقق و الاعتذار عما وقع منه، و تسأل استقراره على عادته فى نيابة دمشق، فلم يلتفت السلطان إلى قوله، و منع رسله من الاجتماع بأحد.

ثم فى رابع عشرين المحرم سار الأمير نوروز الحافظى إلى نيابة دمشق و خرج الأمراء لوداعه، و نزل بالريدانية و معه متسفرّه الأمير برد بك الخازندار.

ثم وقعت الوحشة بين السلطان و بين الأمير إينال باى بن قجماس الأمير آخور، فقبض السلطان فى يوم الاثنين سادس صفر على الأمير يشبك بن أزدمر رأس نوبة النوب، و على الأمير تمر، و على الأمير سودون، و هما من إخوة سودون طاز، فاختفى الأمير إينال باى أمير آخور و معه الأمير سودون الجلب، و أحاط السلطان بدورهم، ثم قيّد الأمراء و أرسلهم إلى سجن الإسكندرية.

و أما إينال باى فإنه دار على جماعة من الأمراء ليركبوا معه، فلم يؤهّله أحد لذلك، فاختفى إلى يوم الجمعة عاشره، فظهر، و طلع به الأتابك بيبرس إلى القلعة، فكثر الكلام بين الأمراء حتى آل الأمر إلى مسك إينال باى و إرساله إلى ثغر دمياط بطّالا.

ثم فى خامس عشرين صفر فرّق السلطان إقطاعات الأمراء الممسوكين، فأنعم بإقطاع إينال باى على الوالد، و زاده إمرة طلبخاناه، و أنعم بإقطاع الوالد على الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب كان، و بإقطاع دمرداش على الأمير أزبك الإبراهيمى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٢٤

و جميع هذه الإقطاعات تقادم ألوف، لكن شيئا أحسن من شىء فى كثرة المغلّ.

و أنعم على الأمير بيبرس الصغير الدوادار بتقدمة ألف قبل أن تكمل لحيته، و على الأمير بشباى الحاجب بتقدمة ألف، و على الأمير علّان بتقدمة ألف، و على الأمير قراجا بإمرة عشرين، و أنعم بطبلخانات سودون الجلب على الأمير أيتمش الشعبانى.

ثم أخلع على الأمير جرباش الشيخى رأس نوبة ثانى باستقراره أمير آخورا كبيرا عوضا عن إينال باى.

و أما الأمير شيخ فإنه توجه صحبة الأمير جكم و قرا يوسف لحرب نعير.

ثم اختلفوا، فمضى جكم إلى طرابلس، و توجه قرا يوسف إلى جهة الشرق عائدا إلى بلاده، و عاد الأمير شيخ من البقاع و نزل سطح المزّة و معه خواصّه فقط.

ثم توجه إلى الصّبيبة هاربا من نوروز الحافظى، فدخل نوروز إلى دمشق فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين صفر من غير مدافع لضعف الأمير شيخ عن مقاومته و قتاله.

و أما السلطان، فإنه أخلع على الأمير بشباى الحاجب باستقراره رأس نوبة النوب عوضا عن يشبك بن أزدمر، و أخلع على الأمير أرسطاى باستقراره حاجب الحجّاب بعد بشباى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٢٥

ثم فى يوم الثلاثاء وقع بالديار المصرية فتنة، و كثر الكلام بين الأمراء إلى أن اتفق جماعة من المماليک الجركسية و سألوا السلطان القبض على الوالد و على الأمير دمرداش المحمدى، و على الأمير أرغون من بشبغا و جماعة أخر من كون السلطان اختص بهم، و تزوّج بكريمتى على كره من الوالد، و كونه أيضا أعرض عن الجراكسة و أمسک إينال باى، فخافوا أن تقوى شوكة هؤلاء عليهم، و اتفقوا و اجتمعوا على الأتابک بيبرس، و تأخروا عن الخدمة السلطانية، و كثر كلام القوم فى ذلک إلى أن طلب السلطان الأمراء و استشارهم فيما يفعل، فقال له دمرداش:

المصلحة [تقتضى] قتالهم، و أنا كفء هؤلاء الجراكسة، و السلطان لا يتحرک من مجلسه فنهره الوالد و قال له ما معناه: نقاتل من؟ نقاتل خشداشيّتک، كلّنا مماليک السلطان و مماليک أبيه مهما شاء السلطان فعل فينا و فيهم.

هذا و قد ظهر الملل على السلطان من كثرة الفتن، و لحظ الوالد منه ذلک، فإنه قال فيما بعد: سمعته يقول فى ذلک اليوم: وددت لو كنت كما كنت و لا أكون سلطانا.

ثم أمر السلطان الوالد أن يختفى حتى ينظر السلطان فى مصلحته، و أمر دمرداش أيضا بذلک، و انفض المجلس من غير إبرام أمر.

ثم أصبح الناس يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الأول من سنة ثمان المذكورة، و قد ظهر الأمير يشبک الشعبانى الدوادار، و الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح، و الأمير جاركس القاسمى المصارع، و الأمير قانى باى العلائى، و كانوا مختفين بالقاهرة من يوم واقعة السعيدية.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج١٢، ص: ٣٢٦

و خبر ظهورهم أن الأتابک بيبرس ركب إلى السلطان، و أخبره بمواضع الأمراء المذكورين، و وافقه على مصالحة الجراكسة و إحضار الأمراء من اختفائهم، و الإفراج عن إينال باى و غيره، فرضى السلطان بذلک، و تقرر الحال على ذلک، و طلع الأمراء المذكورون من الغد فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل المذكور، فأخلع السلطان على الأمير سودون المحمّدى باستقراره أمير آخورا كبيرا عوضا عن جرباش الشيخى، و عوده إلى إقطاعه إمرة طبلخاناة و وظيفته رأس نوبة.

ثم فى عاشره طلع الأمير يشبک الدوادار و الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح و الأمير جاركس القاسمى المصارع و جماعة أخر إلى القلعة، و قبّلوا الأرض بين يدى السلطان، فأخلع عليهم خلع الرضا، و نزل كل واحد إلى داره.

ثم فى خامس عشرة قدم الأمير قطلوبغا الكركى، و إينال حطب، و سودون الحمزاوى، و يلبغا الناصرى، و أسندمر الناصرى، و تمر من سجن الإسكندرية، و هؤلاء الذين كان السلطان نادى لهم بالأمان بعد وقعة السعيدية، فلما طلعوا له قبض عليهم و سجنهم بالإسكندرية و هم رفقة يشبک و شيخ و جكم.

ثم قدم الأمير إينال باى بن قجماس من ثغر دمياط و معه تمان تمر الناصرى.

ثم قدم الأمير يشبک بن أزدمر أيضا من سجن الإسكندرية.

ثم أمسک السلطان القاضى فتح الدين فتح اللّه كاتب السرّ، و ولّى عوضه سعد الدين إبراهيم بن غراب، و ألزم فتح الدين بحمل ألف ألف درهم.

ثم ظهر الأمير دمرداش [نائب حلب] من اختفائه، فأخلع السلطان عليه نيابة غزّة، فسار فى يوم السبت رابع عشرينه، و خلع السلطان أيضا على يشبک بن

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۷

أزدمر بنيابة ملطيّة، فامتنع من ذلک، فأكره حتى لبس الخلعة، و وكّل به الأمير أرسطاى الحاجب و الأمير محمد بن جلبان الحاجب حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة.

ثم بعث السلطان إلى الأمير أزبک الإبراهيمى الظاهرى المعروف بخاص خرجى،- و كان تأخّر عن طلوع الخدمة- بأن يستقرّ فى نيابة طرسوس، فأبى أن يقبل و التجأ إلى بيت الأمير إينال باى، فاجتمع طائفة من المماليک و مضوا إلى يشبک بن أزدمر، و ردّوه فى ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل و قد وصل قريبا من سرياقوس، و ضربوا الحاجب المرسّم عليه، و صار العسكر فرقتين، و أظهر المماليک الجراكسة الخلاف، و وقفوا تحت القلعة يمنعون من يقصد الطلوع إلى السلطان، و جلس الأتابک بيبرس بجماعة من الأمراء فى بيته، و صار السلطان بالقلعة و عنده عدّة أمراء، و تمادى الحال على ذلک يوم الخميس و الجمعة و السبت و السقالة بينهم.

فلما كان يوم السبت نزل السلطان من القلعة إلى باب السلسلة، و اجتمع عنده بعض الأمراء لإصلاح الأمر، فلم يفد ذلک، و باتوا على ما هم عليه، و أصبحوا يوم الأحد خامس عشرينه و قد كثروا و طلبوا من السلطان الوالد أرغون من بشبغا.

و كان الوالد قد ظهر من يوم أخرج دمرداش إلى نيابة غزة، فلم يستجر أحد يتكلم فى خروجه من القاهرة، و استمر على إمرته، فأبى الملک الناصر أن يرسله إليهم،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۸

فقال الوالد: هذا أمر يطول، و لا بدّ من النزول، فنزل إليهم و معه أرغون، و كلّم الأمراء فى سبب طلبهم إياه، و خشّن للأتابک بيبرس فى القول، فإنه كان مسفّر الوالد لما ولى نيابة حلب فى أيام الملک الظاهر برقوق، فلم يتكلّم بيبرس و لا غيره بكلمة واحدة، و سكت الجميع.

فلما طال المجلس قال الوالد: ما تتكلموا، فعندها تكلّم شخص من الخاصكية الظاهرية يقال له: قرمش الأعور، و هو الذى قطع رأسه فى دولة الملک الأشرف برسباى من أجل جانى بک الصوفى حسبما يأتى ذكره، و قال قرمش: ياخوند، المقصود أنک تخرج من الديار المصرية حتى تسكن هذه الفتنة، ثم تعود بعد أيام أو يعطيک السلطان ما تختار من البلاد. فقال الوالد: بسم اللّه حتى أشاور السلطان ثم أسافر، و خرج فلم يجرؤ أحد أن يقبضه و لا يرسّم عليه، و عاد إلى بيته و لم يطلع إلى السلطان.

و كان سكنه بالبيت الذى بباب الرّميلة تجاه مصلّاة المؤمنىّ، و أقام به يومه و تجهّز و خرج فى الليل فى نحو مائة مملوک من خواصّه، فلم يقف له أحد على خبر، و سار من البرّية إلى القدس الشريف فى دون الخمسة أيام، و لم يجتز بقطيا خوفا من تسليط العربان عليه.

و كان لما خرج من بيت بيبرس أرسل إليه السلطان يعلمه أنه أيضا يريد يختفى و يترک السلطنة، فلهذا جدّ الوالد فى السير لئلا يخرج القوم فى أثره و يقبضون عليه.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۱۲، ص: ۳۲۹

فلما كان وقت الظهر من يوم خروج الوالد من مصر و هو يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأوّل فقد السلطان الملک الناصر فرج بن برقوق من قلعة الجبل و لم يعرف له خبر.

و سبب ترکه السلطنة أنه کان فی یوم النوروز جلس السلطان مع جماعة من الأمراء و الخاصکیة من ممالیک أبیه، و شرب معهم حتی سکر، ثم ألقی بنفسه إلی فسقیّة هناک، فألقی الجماعة أنفسهم معه، و قد غلب علی السلطان السکر، و صار یسبح معهم فی الماء و یمازحهم، و ترک الوقار، فجاء من خلفه الأمیر أزبک الإبراهیمی المعروف بخاصّ خرجی، و قیل غیره، و أزبک الأشقر، و أغمّه فی الماء مرارا و هو یمرق من تحته کأنه یمازحه حتی قبض علیه و غرّقه فی الماء حتی کادت نفسه تزهق، ففطن به بعض ممالیک أبیه من الأروام ممن کان معهم أیضا فی الفسقیة، و خلّصه منه، و أفحش فی سبّ أزبک المذکور، و أراد قتله، فمنعه السلطان من ذلک، و قال: کان یلعب معی، و أسرّها فی نفسه.

ثم طلع السلطان من الفسقیّة، و ذهب کل واحد إلی حال سبیله، فذکر السلطان بعد ذلک للوالد ما وقع له مع أزبک المذکور، و أمره أن یکتم ذلک لوقته، فأخذ الوالد یزوّل عنه ذلک و یهوّنه علیه.

ثم عرّف السلطان جماعة من أکابر أمراء الجراکسة بذلک، فلم یلتفتوا لقوله و قالوا: لم یرد بذلک إلّا مباسطة السلطان، فعند ذلک تحقّق السلطان أنهم یریدون قتله، و کان ذلک بعد خروج الأمراء من السجن و ظهور یشبک و رفقته، و قد کثروا و عظم جمعهم، فلم یجد الملک الناصر بدّا من أن یفوز بنفسه و یترک لهم ملک مصر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۳۳۰

و لما أراد النزول من القلعة لیختفی بالقاهرة قام و معه بکتمر مملوک القاضی سعد الدین بن غراب، و یوسف بن قطلوبک صهر ابن غراب، و نزلوا من باب السرّ الذی یلی القرافة، و ساروا علی برکة الحبش، و نزلوا منها فی مرکب، و ترکوا الخیل و تغیّبوا نهارهم کلّه فی البحر حتی دخل اللیل، فساروا بالمرکب إلی بیت سعد الدین ابن غراب و هو فیما بین الخلیج و برکة الفیل بالقرب من قنطرة طقزدمر، فلم یجدوه فی داره، فمروا علی أقدامهم حتی باتوا فی بیت بالقاهرة لبعض معارف بکتمر.

ثم بعثوا لابن غراب بمجیء السلطان إلی عنده، فهیأ له سعد الدین مکانا من داره، و أنزله فیه من غیر أن یعلم أحد به.

و أما الأمراء، فإنه لمّا بلغهم ذهاب السلطان الملک الناصر [خرج المذکور] فی یوم الأحد خامس عشرین شهر ربیع الأوّل من سنة ثمان و ثمانمائة، بادروا بالطلوع إلی القلعة، و هم طائفتان: الطائفة التی کانت خالفت السلطان الملک الناصر، و رکبوا علیه و قاتلوه أیاما، ثم توجهوا إلی الشام و عادوا إلی الدیار المصریة و صحبتهم جکم و شیخ و قرا یوسف و واقعوه بالسعیدیة، و کسروه. ثم اختفوا؛ و رأسهم یشبک الشعبانی الدوادار بمن کان معه من الأمراء و قد مر ذکرهم فی عدّة مواضع، و الطائفة الأخری کبیرهم بیبرس الأتابک، و سودون الماردانی الدوادار الکبیر، و إینال بای و غیرهم.

فلما طلعوا الجمیع إلی القلعة، منعهم الأمیر سودون تلی المحمدی الأمیر آخور الکبیر من الطلوع إلی القلعة، فصاروا یتضرّعون إلیه من نصف النهار إلی بعد

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج ۱۲، ص: ۳۳۱

غروب الشمس، حتی مکّنهم من العبور من باب السلسلة، فطلعوا و معهم الخلیفة المتوکل علی اللّه و القضاة الأربعة، و تکلموا فیمن ینصّبوه سلطانا، حتی اتّفقوا علی سلطنة الأمیر عبد العزیز بن الملک الظاهر برقوق، فإنه ولی عهد أخیه فی السلطنة حسبما قرّره والده الملک الظاهر برقوق قبل وفاته، فطلبوه من الدّور السلطانیة، فمنعته أمه خوند قنّق بای أوّلا، ثم دفعته لهم فأحضروه، و تم أمره، و تسلطن حسبما نذکره فی محلّه من ترجمته، و خلع الملک الناصر فرج من السلطنة و سنّه نحو سبع عشرة سنة تخمینا، فکانت مدّة تحکم الملک الناصر علی مصر من یوم مات أبوه الملک الظاهر برقوق إلی یوم خلع ست سنین و خمسة أشهر و أحد عشر یوما [و اللّه أعلم].

«انتهی الجزء الثانی عشر من النجوم الزاهرة، و یلیه إن شاء اللّه تعالی الجزء الثالث عشر، و أوّله: السنة الأولی من سلطنة الملک الناصر فرج بن الظاهر برقوق الأولی علی مصر».

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹